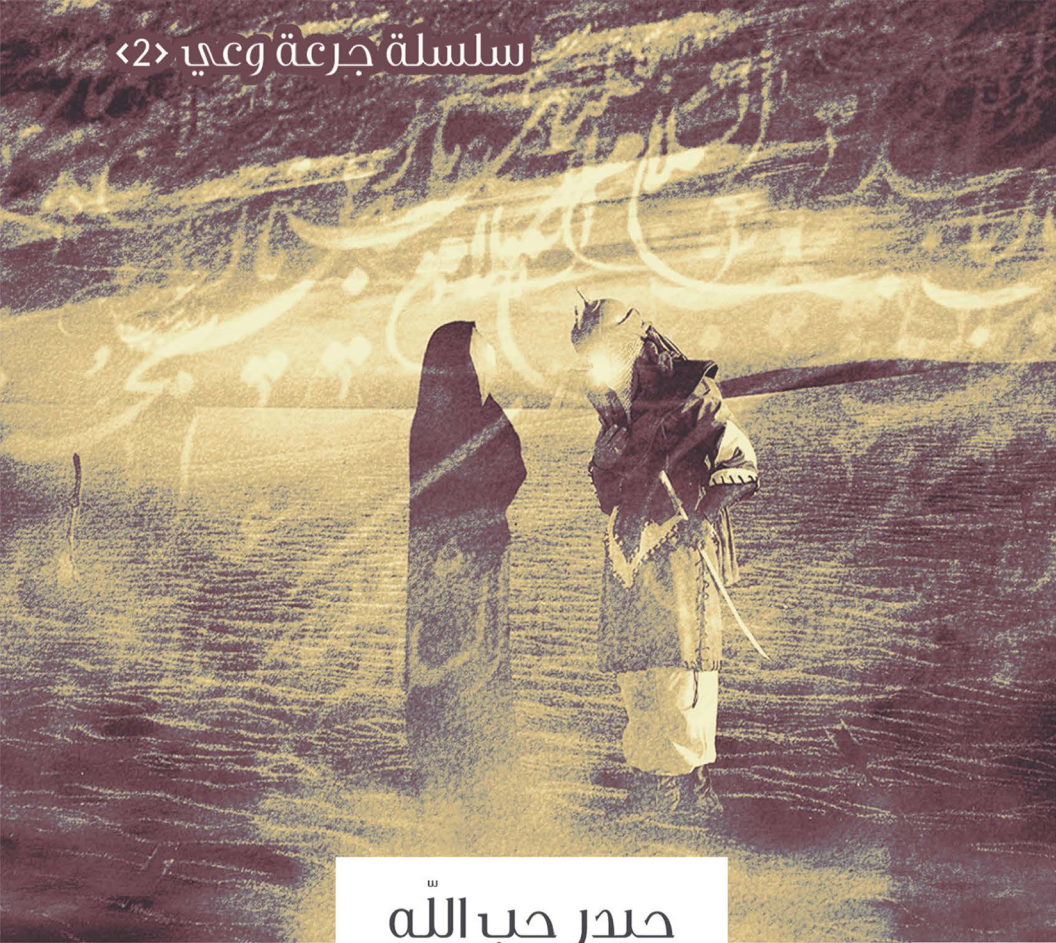


سلسلة جرعة وعي <2>



حيدر حب الله

# عاشورائيات

الجزء الثاني [أسئلة وإجابات]

إعداد: خليفة بن أحمد



دار الولد  
لصناعة النشر



الرويس، شارع الرويس، بيروت - لبنان  
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133  
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com  
P.O. Box: 307/25 | www.daralwalaa.com

ISBN 978-614-420-663-8

### عاشورائيات [الجزء الأول] دراسات ومقالات

المؤلف: حيدر حب الله.  
إعداد: خليفة بن أحمد.

الناشر: دار الولاء لصناعة النشر.  
الطبعة: الأولى بيروت-لبنان ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م.

تنفيذ طباعي  
**eight**  
press &  
production

www.eightproduction.com | 00961 3 017 565

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

حيدر حب الله

# عاشوراء ثيات

الجزء الثاني  
أسئلة وإجابات

إعداد  
خليفة بن أحمد





## إهداء

إلى من زرع في القلب والعقل حب الحسين عليه السلام  
وسعى للإصلاح، وأرشد إلى الفلاح والانفتاح  
ودل على علماء الوعي.. والدي عليه السلام

خليفة









## المحتويات

- تقديم الشيخ د. حيدر حب الله ..... ١١  
مقدمة..... ١٣

## القسم الأول

### عاشوراء في العقيدة والتاريخ والحديث

- ١٧..... بين علم الإمام بموته بالسمّ - مثلاً - وإقدامه على شربه!!  
٢٢..... ما مدى صحّة حديث الريان بن شبيب مع الإمام الرضا في بداية دخول شهر محرّم الحرام؟  
٢٤..... معنى الوراثة في زيارة وارث المشهورة.....  
٢٥..... هل خطبة الإمام الحسين عليه السلام «خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة» ثابتة؟  
٢٨..... هل (كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء) حديث شريف أم لا أصل لها؟  
٢٩..... ما قيمة سند زيارة عاشوراء وفقاً لنظريات السيد الخوئي؟  
٥٦..... هل صحّ حديث: (يعبّر خادم الحسين كما تعبّر الزانية)؟  
٥٧..... مع حديث: «إذا هلّ هلال المحرّم نشرت الملائكة قميص الحسين.. فنراه نحن وشيعتنا»  
٥٨..... معنى «الموت أولى من ركوب العار، والعار أهون من دخول النار»  
٦٠..... تعليق لغوي على نقد متني لنصوص نطح السيدة زينب رأسها.....  
٦٢..... نقل مواقف لغير المسلمين حول الإسلام دون توثيق بما يثير سخرية الآخرين!!  
٦٧..... معنى عزاء الله في حديث: «يا أختاه تعزّي بعزاء الله»  
٦٩..... (نطح) الإمام زين العابدين رأسه بالجدار على شهادة والده.....  
٧١..... ألا يمكن تفسير روايات المشي لزيارة الحسين بالذهاب، لا بخصوص المشي على القدمين؟  
٧٣..... ما وجه الربط بين العزاء الحسيني والثورة مع أنّ كل الروايات تطالب بالحزن.....  
٧٦..... زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين.....  
٨٢..... حكم الصور المنسوبة للمعصومين والمنتشرة في الأسواق.....

## القسم الثاني عاشوراء وفقه العزاء

- استفهامات حول الجزع والظواهر المفرطة في العزاء الحسيني..... ٨٧
- مدى الحاجة للسؤال عن شرعية الطقوس الشعبية الدينية غير المخالفة للدين..... ٩٠
- ما هو رأيكم الشخصي في التطبير؟..... ٩٦
- الموقف من نهي من يقلد القائل بحرمة التطبير شخصاً يقلد القائل باستحبابه..... ٩٧
- حكم النهي عن المنكر في قضايا الخلاف الاجتهادي والتقليدي..... ١٠٣
- ظاهرة التطبير في العتبات المشرفة في كربلاء وتنجيسها كل عام!..... ١٠٨
- نقاط الاختلاف المركزية في قضية الشعائر الحسينية..... ١١٣
- رسائل مثيرة بأعمال دينية خاصة عبر وسائل التواصل الاجتماعي..... ١١٦
- النطح والتطين و.. وشعائر عاشوراء!..... ١٢٠
- زمان ركعتي الزيارة قبل أو بعد الزيارة؟..... ١٢٤
- هل شهر صفر شهر حزن وبكاء، أم أنه يختلف عن شهر محرم الحرام؟..... ١٢٦
- شهر صفر ليس شهر حزن، تعليقات على انتقادات..... ١٢٨

## القسم الثالث عاشوراء، فكر وثقافة

- عاشوراء والجدل المتكرر كل عام ما هو الموقف من هذا الجدل؟..... ١٤١
- هل تصححون نسبة كتاب (الملحمة الحسينية) للشيخ المطهري؟ وهل تصححون بقرائه؟..... ١٥١
- الموقف من بعض القنوات الفضائية المذهبية..... ١٥٢
- بين يدي عاشوراء ماذا علينا أن نفعل؟ وكيف نستفيد منها؟..... ١٥٦
- استغراق حركة الإصلاح الديني في جزئيات الخلافات العقدية والشعائرية..... ١٦٨
- تعليق على كلام د. مصطفى محمود حول الإسلام الطقوسي والشعائري..... ١٧٦
- هل الحسين شعار المرحلة؟ وماذا عن هدر الأموال في عاشوراء؟!..... ١٧٩
- أسباب المبالغة بالشعائر والندوبات وتقديمها على الواجبات..... ١٨٨
- أشعار بعض الشعراء والمدّاحين ومسألة الغلو..... ١٩٦
- سعة مفهوم (هيهات منّا الذلّة) في الحياة الاجتماعية والمدنية..... ٢٠٢
- المنبر الديني والأزمة الطائفية والمذهبية..... ٢٠٥
- الإصلاح والتجديد في الشعائر الحسينية..... ٢٠٧
- الوعي التاريخي والتأسيس لفهم إنساني للسيرة..... ٢٠٩

٢١١	بين الفهم السياسي والنصوص النبويّة المخبرة بشهادة الحسين .....
٢١٧	هل استشهد وهب الأنصاري مع الحسين نصرانياً أم مسلماً؟ .....
٢١٨	رواية الغرائب التاريخيّة ثم تكلف تأويلها! .....
٢٢٣	رواية تاريخيّة حول حزن الإمام الكاظم في شهر محرم .....
٢٢٧	كيفية إثبات انتساب مرقد ما لنبيّ أو إمام أو وليّ .....
٢٣٣	كيف نواجه الفتنة بين التيارات والعلماء في القضايا المذهبيّة والشعائريّة؟ .....
٢٤٠	الاختلاف في نقل قرآء العزاء للمرويات الضعيفة أو للسان الحال .....
٢٥٠	التعامل المالي لقرآء العزاء في موسم عاشوراء وغيره .....
٢٦٥	حكم الإزعاج بالأصوات العالية، وماذا عن المساجد والحسينيّات؟ .....
٢٧١	البعد الاجتماعي في رفع الأدعية و.. عبر مكبرات الصوت .....

## القسم الرابع كلمات واقتباسات

٢٧٧	<b>أولاً: كلمات</b> .....
٢٧٧	العقل البراغماتي والعقل المبدئي .....
٢٧٨	دعوة للإماميّة للانفتاح على زيد الشهيد .....
٢٧٩	مجالس العزاء وحالة بعض العقلايين .....
٢٨٠	الحاجة لتوثيق ما قيل في الحسين عند غير المسلمين .....
٢٨١	رسالة لأخي المطبّر .....
٢٨٢	الوحدة المذهبية عنوان عاشوراء هذا العام .....
٢٨٤	للقضيّة الحسينية رحلتان بين الماضي والحاضر .....
٢٨٥	بين الحفاظة والتفكير، وبين العلامة والخطيب .....
٢٨٦	وقفه احترام للشيخ الوائلي رحمه الله .....
٢٨٧	كلمتان حول المشكلة الأخيرة في (الشعائر) .....
٢٩٢	عذراً شيخنا الوائلي! .....
٢٩٧	<b>ثانياً: اقتباسات</b> .....
٣١٩	<b>المصادر</b> .....
٣٢٠	<b>صدر للمؤلّف</b> .....



## تقديم الشيخ د. حيدر حب الله

سبق لي - والتوفيق من الله - أن كانت لديّ بعض المشاركات والكتابات المتواضعة المتفرقة حول القضية الحسينية وما يتصل بها من وقائع تاريخية وشعائر دينية، وقد حاولت في هذه الأعمال أن أقدم فهمي البسيط لهذه الأمور من بعض الزوايا، وإلا فالدراسات والبحوث ذات الصلة أوسع من أن تختصرها بضع كلمات.

وقد سعى أخونا الفاضل العزيز الأستاذ خليفة بن أحمد (رعاه الله تعالى) لكي يجمع متفرقات مساهماتي هذه ويصنّفها ضمن كتاب مرتبةً على فصول، ليتسنى للمتابعين من الإخوة والأخوات الاطلاع عليها. إنني إذ أشكره من عميق قلبي على هذا الجهد الطيب، أسأل الله له التوفيق في كلّ أموره وأن يحشره مع الأنبياء والصالحين، مع محمّد وآله الطاهرين.

كما يسعدني أن تلقى هذه المشاركات نصيبها من التأمل والتقويم والنقد من قبل القراء الأعزاء؛ علّ ذلك يسهم في تطوّر أفكارنا جميعاً إن شاء الله، والله ولي التوفيق.

حيدر محمّد كامل حبّ الله

١٨ - ٩ - ١٤٤٢ هـ

٣٠ - ٤ - ٢٠٢١ م



## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

إن الحديث عن عاشوراء الحسين عليه السلام حديث ذو شجون، لا بد أن يكون العقل حاضرًا فيه مع العاطفة والعبرة مع العبرة؛ وذلك من أجل أن تزيد فاعلية عاشوراء في تربية الفرد والأمة.

ومساهمة في نشر المعرفة والوعي وتقديم ما فيه خدمة للنهضة الحسينية؛ تم العمل على جمع ما له صلة بعاشوراء مما دونه ساحة الشيخ الدكتور حيدر حب الله (وفقه الله) في فترات مختلفة من دراسات ومقالات، وإجابات وكلمات؛ ليكون هذا الكتاب بين يدي القارئ مرجعاً جامعاً نافعاً إن شاء الله تعالى، وهو للتداول والنقد البناء كما يعبر ساحة الشيخ عادة في أكثر من مورد.

وفي تقديري مما يمتاز به سماحة الشيخ المؤلف -بالإضافة إلى علو همته في التعلم والتّعليم والتّأليف - حسن الإدارة النفسية والسلوكية لبلوغ المعرفة وخدمتها، والجرأة في طرح ما توصل إليه في أبحاثه استنتاجاً أو ترجيحاً أو توقفاً، فحري بنا الاستفادة من منهجه هذا ونتاجه العلمي، ومن نظرائه ذوي العلم والوعي والخلق النبيل.

إن هذا الكتاب (عاشورائيات) هو الإصدار الثاني من سلسلة جرة وعي، ويتكون من جزئين، تضمن الجزء الأول دراسات ومقالات حول عاشوراء الحسين عليه السلام، أما الجزء الثاني فقد احتوى أسئلة وإجابات، كلمات واقتباسات ذات صلة بالمناسبة.

ختامًا، جزيل الشكر والامتنان للأستاذ الشيخ حب الله على

جھیل تعاونہ فی إنجاز هذا العمل مع خالص الدعوات له بالتوفيق  
والسداد في خدمة الإسلام، كما أشكر أسرتي وكل من كان داعماً  
ومحفزاً، ولا يفوتني شكر الإخوة الكرام الذين عملوا على تنسيق  
وإخراج هذا الكتاب، أسأل الله لهم ولنا التوفيق والرشاد، وأن يثبت  
أقدامنا جميعاً للسیر على نهج الحسين عليه السلام ويرزقنا شفاعته يوم الورد  
إنه سمیع مجیب وهو أرحم الراحمین.

خليفة بن أحمد

١٥/٩/١٤٤٢هـ





القسم الأول  
عاشوراء في العقيدة والتاريخ والحديث



## بين علم الإمام بموته

بالسّم - مثلاً - وإقدامه على شربه!!<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: يقال بأنّ للأئمة عليهم السلام علماً حضورياً، ومنه علمهم بالغيب، ويندرج تحت هذا (إن صحّ هذا الكلام) علمهم بمكان ووقت وكيفية استشهادهم عليهم السلام. إلا أنّ السؤال الذي يطرأ في الذهن: كيف ومع علمهم هذا يُقبلون على ذلك المكان؟ ألا يُعتبر هذا من قبيل إلقاء النفس في التهلكة؟

◆ الجواب: هذه الإشكاليّة قديمة جديدة معاً، بل قد وردت في بعض أسئلة أصحاب الأئمة لهم عليهم السلام، وتعرّض لها بعض العلماء منذ قديم الأيام. ولكي نفهم خارطة الموضوع بطريقة علميّة، سوف أقوم ببعض التقسيّات البسيطة لكي نصل إلى حلّ لهذه المشكلة المفترضة، فنقول:

تارةً نقول بأنّ الأنبياء والأئمة لا يعلمون الغيب ولا يعلمون عن موتهم شيئاً، فهنا لا محلّ لتساؤلكم ويرتفع الإشكال، ومرةً أخرى نتحدّث عن علمهم بالغيب بما في ذلك العلم بموتهم، وهنا توجد أقوال وآراء وفرضيّات تنتج عنها نتائج مختلفة، لا بأس بعرض أهمّها لنعرف أنّ إشكالكم على أيّها يرد وعلى أيّها لا يرد:

١. القول بأنّهم يعلمون وفاتهم إجمالاً لا تفصيلاً، وهو ما ذهب إليه بعض العلماء، مثل ما يفهم من بعض كلمات الشيخ المفيد وابن شهر آشوب والعلامة الحلي وغيرهم، كالقول بأنّ الإمام الحسين عليه السلام يعلم بأنّه سوف يموت شهيداً في كربلاء وأنّ النبي أخبر بذلك، وهذا ما دلّت عليه العديد من الروايات، لكنّه

(١) حيدر حب الله، إضاءات في الفكر والدين والاجتماع ٣: ٦٣

لا يعلم متى بالضبط سيكون ذلك، فعندما سافر إلى العراق خارجاً من مكة المكرمة كان يعلم بأن نهايته في كربلاء، لكنّ الأحاديث لا تقول بأنّ النبي أخبر متى ستكون هذه الحادثة، هل في عام ٦٠ أو ٦١ أو ٦٢ أو ٨٠هـ.

فالإمام تحرّك عالماً بأنّ شهادته في كربلاء لكنّه ليس عالماً بأنّ هذه الشهادة ستكون في نفس هذا العام الذي خرج فيه أو في الذي يليه، فخرج ليقرب النظام الفاسد كما هي وظيفته الشرعية، عالماً بأنّه سيقتل في كربلاء لكن من الممكن أن يقتل بعد عشرين عاماً لا الآن، والأحاديث التي يستند إليها بعض العلماء لإثبات علمه بقتله من خلال مثل إخبارات النبي عن ذلك وأنّه على هذا الأساس خرج ليموت، لا تفيد غالبيتها إن لم يكن جميعها هنا، إذ غاية ما تفيد أنّه يعلم بأنّ نهاية حياته هي الشهادة في كربلاء، أمّا أنّ هذه النهاية ستقع في هذا العام بالتحديد فهذا ما لم تخبر عنه هذه المجموعة من النصوص (وطبعاً هي غير مثل رواية: شاء الله أن يراني قتيلاً و...).

نعم، ربما في الطريق بدأت تتجمّع عنده القرائن التي ترفع من احتمال أنّ ما أخبر به الرسول سيكون في هذا العام، لاسيّما عندما وصل إلى كربلاء وسأل عن اسمها ونحو ذلك.

إذن، ففي فرضيّة العلم الإجمالي بالوفاة لا تنافي بين هذا العلم وبين حركة المعصوم، ولا يلزم من ذلك الإلقاء في التهلكة أساساً، فهذا مثل أن يقال لك بأنّك سوف تموت يوماً ما في حادث سير، فهل يحكم العقل بحرمة ركوبك لأيّ سيارة؟!

٢. فرضيّة العلم التفصيلي بالوفاة، سواء كان علماً حصولياً أم

حضورياً، وهنا يمكن فرض حالات متعددة تبعاً لاختلاف النظريات وأبرزها:

أ. فرضية العلم التفصيلي التعليقي، وهي التي تنتج عن الرأي القائل بأن المعصوم لا يعلم الغيب بنحو الفعلية، بل هو لو أراد المعرفة علم، وفي هذه الحال ليس هناك تنافٍ بين هذا الرأي وبين إقدامه على أسباب موته على تقدير أنه لم يطلب معرفة موته فيكون حاله حالنا من حيث عدم المعرفة. نعم لو طلب فعلم تفصيلاً جاء الإشكال وسيأتي التعليق.

ب. فرضية العلم التفصيلي الفعلي والتعليقي معاً، وهي النظرية التي ذهب إليها بعض العلماء مثل الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وهي تقول - خلافاً لبعض كلمات العلامة الطباطبائي - بأن المعصوم يعلم بزمان وفاته بنحو العلم بلوح المحو والإثبات، بمعنى أن ما يعلمه هو المدوّن في هذا اللوح، وهذا اللوح عندهم قابلٌ لعروض البداء عليه، بمعنى أن ما فيه يمكن أن يتغيّر، فهو يعلم فعلاً بأنه سيموت تفصيلاً لكنّ معلومه قابلٌ للتغيّر من عند الله، ولا يعلم المعصوم بالتغيّر الجديد، فهو يذهب إلى كربلاء مثلاً عالماً بأن موته هناك، لكنّه يحتمل أن الله قد يغيّر قراره بذلك فيجعل موته بعد خمسة أعوام مثلاً. فكأنّ المعصوم يعلم هنا بما هو مقتضى الأصل، لكنّ علمه هذا لن يكون نهائياً لاحتمال التغيّر في المعلوم. وسؤالكم أعلاه يأتي هنا لكن بدرجة أخفّ حيث يكون

إقدام المعصوم على شرب الماء المفترض أنه مسموم إقداماً على شرب ما يفترض أن يميته قاعدةً مع احتمال العدم.

ج. فرضية العلم التفصيلي الفعلي المسلوب، وهي قول تم الاستناد فيه لرواية فهموا منها أن المعصوم يسلب منه العلم بوفاته قبيل الوفاة فيُقدم على مقدمات الموت غير عالم، ولو صحَّ هذا الرأي لرفع إشكالكم أيضاً. إلا أن الرواية التي اعتمدت هنا فيها عدة صيغ بحسب النقل وفيها تصحيف، لهذا يصعب الوثوق بالصيغة التي تنفع في هذا المضمار.

د. فرضية العلم التفصيلي الفعلي مطلقاً، بلا فرض البداء، وهنا يأتي سؤالكم، والجواب عليه - على ما أفاده كثيرون مثل العلامة المجلسي والمحدث يوسف البحراني وغيرهما - هو أنه لا يوجد دليل على الحرمة أو القبح المطلق في إلقاء النفس في التهلكة، فالجهاد إلقاءً للنفس في التهلكة، ومع ذلك هو واجب، وتسليم النفس للقضاء لكي يعاقب الإنسان بالجلد أو الرجم أو قطع اليد واجب عند بعض الفقهاء، مع أن فيه تعريض النفس للتهلكة.

وقد ذكر بعض العلماء أن العقل والشرع يحكمان بحرمة إلقاء النفس في التهلكة على تقدير عدم وجود هدف أسمى يجب تحقيقه، فيقال بأن المعصوم يفعل ذلك لأن لديه هدفاً أسمى، ولا مشكلة في ذلك.

بل يمكن صياغة الجواب بشكل آخر، وهو أنه يمكن فرض أن المعصوم مكلف شرعاً بقتل نفسه أو تعريضها للخطر والهلاك، فكما

يُجيزون مثل العمليات الاستشهادية بهذا التخريج، يمكن فرض هذا التخريج نفسه في فعل المعصوم فيرتفع الإشكال.

ولا ينبغي لنا الاستغراب من مثل هذا الكلام دينياً، فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام يخبر ابنه بقضية الذبح ويقبل الولد إسماعيل (أو غيره) بذبح والده له، بل هو يطلب منه ذلك! فكما اعتبر الذبيح عليه السلام أن هذا تكليف إلهي ووضع نفسه موضع الهلاك، أي مانع أن يكون ذلك عينه في حق سائر الأنبياء والأئمة؟

والنتيجة أنه يمكن مناقشة الإشكال المشار في سؤالكم على جميع التقادير المفترضة في نظريات علم المعصوم بالغيب، وهناك تخريجات أخرى لا نطيل فيها الساعة وبعضها غير مقنع.

## ما مدى صحّة حديث الريان بن شبيب

### مع الإمام الرضا في بداية دخول شهر محرّم الحرام؟<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: ما مدى صحّة سند حديث الريان بن شبيب حيث قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أوّل يوم من المحرم، فقال لي: «يا ابن شبيب، أصائم أنت؟» فقلت: لا. فقال عليه السلام: «إنّ هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا ربّه عز وجل فقال: (ربّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء)، فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصليّ في المحراب أنّ الله يبشرك بيحيى، فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله عز وجل استجاب الله له كما استجاب لزكريا عليه السلام». ثم قال عليه السلام: «يا ابن شبيب، إنّ المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يُحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمة، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً. يا ابن شبيب، إنّ كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً، ما لهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعّت غُبراً إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره، وشعارهم يا نثرات الحسين. يا ابن شبيب، لقد حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، أنه لما قتل جدي الحسين أمطرت السماء دماً وقراباً أحمر. يا ابن شبيب، إنّ بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً. يا ابن شبيب، إنّ سرّك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك، فزرّ الحسين عليه السلام. يا ابن شبيب، إنّ سرّك

(١) إضاءات ١٨٠:١



أن تسكن العُرف المبنية في الجنة مع النبي ﷺ، فالعن قتلة الحسين - يا ابن شبيب، إن سرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين، فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً. يا ابن شبيب، إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة».

♦ الجواب: أمّا مصادر هذا الحديث، فقد أورده الشيخ الصدوق في (الأمالي: ١٩٢ - ١٩٣)، وفي (عيون أخبار الرضا: ١: ٢٦٨ - ٢٦٩)، وسائر الكتب نقلت في الغالب عن هذين المصدرين، وليس للحديث إلا سند واحد، وهو محمد بن علي ماجيلويه، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الريان بن شبيب، والريان ثقة، ومشكلة السند هي محمد بن علي ماجيلويه، حيث اختلفوا في حكمه، فوثقه جماعة، فيما ذهب جماعة آخرون - منهم السيد الخوئي - إلى عدم ثبوت وثاقته، والصحيح عندي هو عدم ثبوت وثاقته. وأغلب مضمون هذا الحديث مؤيد من نصوص أخرى معتبرة، لكن التصديق ببعض فقراته يحتاج إلى بحث وكلام.

## معنى الوراثة في زيارة وارث المشهورة<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: ما معنى الوراثة عندما نقول: السلام عليك يا وارث آدم

صفوة الله...؟

◆ الجواب: المفهوم - عرفاً ولغةً - من الوراثة هو أنك تحمل إرث هؤلاء وما تركوه في العلم والأخلاق والكمالات والصفات النبيلة، فأنت تقول: إن العالم الفلاني هو وارث العلماء، بمعنى أن إرث العلم الذي تركوه قد ناله هو ووصل إليه، فتكون التعابير الواردة في زيارة وارث كاشفة عن حمله إرث الأنبياء السابقين ومسؤولياتهم، وكأنه البقية الباقية من هذه المجموعة الطاهرة. وهو من التعابير اللغوية البليغة والقويّة في الإفادة.

(١) إضاءات ١: ٢١٨

## هل خطبة الإمام الحسين عليه السلام

«خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة» ثابتة؟<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: ماهي المصادر الأصلية للرواية التالية؟ وهل هي ثابتة من ناحية السند؟ وهي «خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلا في اشتياق يعقوب إلى يوسف وخير لي مصرع أنا لاقيه كاني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النووايس وكربلاء فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، ثم تشدّ عن رسول الله لرحمته بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تقرّ بهم عينه وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنني راحل مصباحاً إن شاء الله».

◆ الجواب: وردت هذه الرواية/الخطبة عند: (ابن نما الحلي، مشير الأحزان: ٢٩؛ والحلواني، نزهة الناظر وتنبية الخاطر: ٨٦؛ وابن طاووس، اللهوف: ٣٨؛ والإربلي، كشف الغمّة ٢: ٢٣٩؛ والزرندي الشافعي، معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول: ٩٤؛ والعلامة المجلسي، بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٦-٣٦٧؛ والبحراني، العوالم: ٢١٦ - ٢١٧).

وأما سندها وقيمتها التاريخية، فهي لم ترد في مصادر التاريخ الأولى، وإنّما جاءت في مصادر لاحقة وبلا سند أساساً، وأقدم مصدر لها هو الحلواني (ق ٥هـ) في نزهة الناظر، والأغلب أخذها من مشير الأحزان، لابن نما الحلي (٦٤٥هـ)، ومن اللهوف لابن

(١) إضاءات ٢: ١٩٧

طاووس (٦٦٤هـ)، ومن كشف الغمّة للإربلي (٦٩٣هـ)، فيصعب الاستناد إليها، إذ كيف يمكن اعتمادها ولم تنقل لنا إلا بعد أربعة قرون من الحادثة بلا سند ولا بيان مصدر، فيما تجاهلها كل المؤرخين والمحدثين الشيعة والسنة بحسب ما وصلنا، بمن فيهم من كتّب في الإمام الحسين عليه السلام وفي ثورته وفي تاريخها، وفي زيارته عليه السلام؟!!

فمن يحصل له وثوق بمثل هذه المنقولات التاريخية فهو حجة له وعليه، ولكنني لا أراه وثوقاً موضوعياً، إذ على مبنى حجية خبر الواحد الثقة لا يوجد سند لهذه الخطبة ولا مصدر حتى نصححها، وأمّا على مبنى الوثوق، فقد تفرّد بنقلها شخص واحد بعد أربعة قرون من الحادثة دون بيان مصدرها ولا سندها فيما تجاهلها كل المؤرخين والمحدثين قبله وحتى بعده بقرابة قرنين أيضاً، فما هي قرائن الوثوق هنا؟ ومجرد عدم وجود دليل على بطلانها أو فساد متنها لا يعني دليلاً على صحّتها، بل تكون محتمةً حينئذٍ.

نعم، المقاطع التي في هذه الخطبة والتي وردت في نصوص أخرى عن الإمام الحسين عليه السلام، بحيث تظافت النصوص فيها، يمكن القول بثبوتها ثبوتاً نوعياً لا شخصياً، والفرق بين الثبوت النوعي والشخصي دقيقٌ هنا، وغالباً ما تقع فيه أخطاء، فلو فرضنا أنّه جاءني مائة رواية ضعيفة السند في موضوعات مختلفة، ولكنّ هذه الروايات المائة اشتركت في فكرة واحدة تمثل جزءاً من كلّ رواية، ففي هذه الحال قد يمكنني أن أقول بأنّ هذه الفكرة التي تمت ملاحظتها في مجموع هذه الروايات - رغم اختلاف هذه الروايات في موضوعاتها ومضامينها - هذه الفكرة يمكن الجزم بصدورها وفقاً لحساب الاحتمال مثلاً، لكنّ الجزم بصدورها هو جزم نوعي، بمعنى أنّه لا

يمكنني أن أضع يدي على واحدة من هذه الروايات المائة، وأقول: إذا فهذه قطعاً قد صدرت؛ لأنّ فيها ذلك المقطع الذي تظافت النصوص لتأكيدِه. فهنا أنا أجزم بهذه الفكرة المشتركة بين مائة نصّ حديثي أو تاريخي مختلف الموضوع، وفي الوقت عينه لا أصحح أيّ رواية من هذه الروايات المائة بعينها وشخصها على تقدير ضعفها بنفسها، وهذه نقطة مهمّة جدّاً في علم الحديث والأصول غالباً ما تتمّ الغفلة عنها كما رأيت. والله العالم.

## هل (كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء) حديث شريف أم لا أصل لها؟<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: من هو القائل: «كلّ يوم عاشوراء، وكلّ أرض كربلاء»؟ هل هو الإمام الصادق عليه السلام أم لا؟ ومن هو أوّل من أطلق هذا الشعار؟ وأساساً هل هو حديث شريف أم لا؟

◆ الجواب: لم أعرّ - بعد التتبّع - على هذا النصّ بوصفه حديثاً مروياً عن أحد من الأنبياء أو الأئمّة عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام، وقد أقرّ بذلك بعض العلماء المعاصرين المتبعين، وهو السيد جعفر مرتضى العاملي، في كتابه (مختصر مفيد ١١ : ١٠٤)، والشيخ محمد صحتي سردودي، في بحثه حول: التحريف في السيرة الحسينية (كتاب جدل ومواقف في الشعائر الحسينية: ٢٤٩ - ٢٥٠). ولم يظهر لي تاريخ ظهور هذا الشعار أو المصطلح قبل فترتنا الحاليّة، ولعلّه لا يعود لأكثر من بضعة عقود. وربما يكون من أطلقه من دعاة الثورة ضدّ الظلم فأراد به أن يؤكّد مفهوم استمراريّة المنطق الثوري، أو يكون قصده من ذلك إبقاء عاشوراء حيّةً في كلّ زمان ومكان.

(١) إضاءات ٢: ٢٧٣

## ما قيمة سند زيارة عاشوراء وفقاً لنظريات السيد الخوئي؟<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: شيخنا الجليل، نظراً لعرفتكم العميقة بمباني ونظريات السيد الخوئي الرجاليّة والحديثية، نريد منكم أن تعلقوا على هذه الرسالة التي كتبها أحد العلماء الكبار حول سند زيارة عاشوراء، من وجهة نظر السيّد الخوئي خاصّة لا بقيّة العلماء، وشكراً لكم.

◆ الجواب: سأحاول أن أسير - كما طلبتم - على منهج مثل السيد الخوئي في التعليق على هذا النصّ خاصّة، وإلا فالحديث عن ثبوت متن زيارة عاشوراء أو عدمه له بحث آخر ومجال مختلف بعض الشيء لا نخوض فيه الساعة، وسوف أنقل كلّ مقطع من مقاطع نصّ العلامة الجليل... ثم أذكر التعليق وفقاً لمناهج السيد الخوئي.  
يقول العلامة الجليل...:

«سند زيارة الحسين في يوم عاشوراء، إنّ استحباب زيارة سيّد الشهداء الحسين بن عليّ عليهما السّلام في اليوم العاشر من محرّم الحرام ممّا أصفق عليه علماء الطائفة الإمامية عبر القرون، واتفاقهم هذا من أتقن الأدلّة على صحّتها وصدورها عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام».

التعليق:

إجماع الطائفة إذا أريد منه الاستدلال على أصل وجود زيارة في يوم عاشوراء فهذا لا بأس به، بل إنّ احتمال وجود هذه الزيارة في يوم العاشر احتمال قويّ جداً ولو من دون الإجماع، لُبعد احتمال أنّ

(١) إضاءات ٢: ٢٨٠

الأئمة لم يذكروا لأبي عبد الله روي فدهاء زيارة في هذا اليوم العظيم. أما اذا قصد بذلك الاستدلال على هذا النص الخاص للزيارة، فهو فرع أنهم عملوا به، وإحراز ذلك صعب، ولو سلم فهو إجماع مدركي اعتمدوا فيه على وجود الروايات فلا حجية فيه، وسيأتي بعض التعليق المتصل بهذه النقطة في آخر الكلام إن شاء الله.

ويقول العلامة الجليل...:

«قد ورد إلينا سؤال عن سندها في كتب الإمامية، فقمنا بتأليف هذه الرسالة لإزالة الشبهة العالقة ببعض الأذهان، فنقول: إن زيارة سيّد الشهداء في العاشر من محرّم وردت بطرق خمسة، رواها شيخ الطائفة بطرق ثلاثة، غير أنّ السند الأوّل يختصّ ببيان ثواب الزيارة دون النصّ المعروف، والأخيرين طريقان لنفس النصّ، ويعلم ذلك بالإمعان في ما نقله الشيخ في هذا المضمار. ورواها ابن قولويه بطريقتين، فيكون الطرق إليها خمسة.

وإليك الأسانيد بنصّها وتحليلها: قال الشيخ الطوسي: روى محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: من زار الحسين بن علي عليهما السلام في يوم عاشوراء من محرّم الحرام حتّى يظلّ عنده باكياً ألقى الله عزّ وجلّ يوم يلقاه ثواب ألفي حجّة وألفي عمرة وألفي غزوة، ثواب كلّ غزوة وحجّة وعمرة كثواب من حجّ واعتمر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع الأئمة الراشدين. قال: قلت: جعلت فداك فما لمن كان في بعيد البلاد وأقاصيه ولم يمكنه المصير إليه في ذلك اليوم؟ قال: إذا كان كذلك برز إلى الصحراء أو صعد سطحاً مرتفعاً في داره أو ما إليه بالسلام واجتهد في الدعاء على قاتله وصلّى من بعد ركعتين، وليكن ذلك في



صدر النهار قبل أن تزول الشمس، ثم ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه، ويأمر من في داره ممن لا يتقيه بالبكاء عليه، ويقيم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه، وليعزّز بعضهم بعضاً بمصابهم بالحسين عليه السلام، وأنا الضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله تعالى جميع ذلك.

قلت: جعلت فداك أنت الضامن ذلك لهم والزعيم؟! قال: أنا الضامن وأنا الزعيم لمن فعل ذلك. قلت: فكيف يُعزّي بعضنا بعضاً؟ قال: تقولون: أعظم الله أجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام وجعلنا وإياكم من الطالبين بثاره مع وليّه الإمام المهدي من آل محمد عليهم السّلام، وإن استطعت أن لا تنتشر يومك في حاجة فافعل فإنّه يوم نحس لا يُقضى فيه حاجة مؤمن، فإن قضيت لم يبارك له فيها ولم ير فيها رشداً، ولا يدّخرن أحدكم لمنزله فيه شيئاً فمن ادّخر في ذلك اليوم شيئاً لم يبارك له فيما ادّخره، ولم يبارك له في أهله، فإذا فعلوا ذلك كتب الله تعالى لهم أجر ثواب ألف حجّة وألف عمرة وألف غزوة كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وكان له أجر وثواب مصيبة كلّ نبي ورسول ووصي وصديق وشهيد مات أو قتل منذ خلق الله الدنيا إلى أن تقوم الساعة.

إلى هنا تمّ سند الشيخ إلى بيان ثواب زيارة الحسين يوم عاشوراء، دون أن يذكر فيه نصّ خاص للزيارة، بل اقتصر الرواية في نيل الثواب على ما جاء في الرواية من البروز إلى الصحراء أو الصعود إلى السطح المرتفع والإيماء إليه بالسلام والاجتهاد في الدعاء على قاتله.. إلى آخر ما جاء في نفس الرواية، وليس فيها أيّ أثر من الزيارة الخاصّة التي نحن بصدد تقويم سندها. وإليك دراسة سندها: أقول: قد أخذ الشيخ الرواية من كتاب محمد بن إسماعيل

بن بزيع، ونقل سنده إلى كتابه في الفهرست بالنحو التالي: ابن أبي جيد، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع. وعلى هذا فالشيخ يروي ثواب زيارة الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء عن المشايخ التالية: ابن أبي جيد. ومحمد بن الحسن بن الوليد. وعلي بن إبراهيم. ومحمد بن إسماعيل بن بزيع. وصالح بن عقبه. وعقبه بن قيس. عن أبي جعفر الباقر عليه السلام. وإليك دراسة أحوالهم».

### التعليق:

لعلّ سماحة العلامة الجليل .. نسي ترجمة ابن أبي جيد الذي صدرّ السند به في طريق الطوسي إلى ابن بزيع، وابن أبي جيد ثقة عند السيد الخوئي؛ لكونه من مشايخ الشيخ النجاشي الذين حكم السيد الخوئي بوثاقهم. ولكن هذه النظرية الرجالية محلّ نظر عندي.

يقول العلامة الجليل ..:

«محمد بن الحسن بن الوليد (المتوفّى عام ٣٤٣هـ)، وهو من مشايخ الطائفة وأجلّائها، غنيٌّ عن الوصف والبيان، ويصدر عنه الشيخ الصدوق في التعديل والتجريح.

علي بن إبراهيم القمّي: علي بن إبراهيم، وهو شيخ الكليني الذي كان حياً عام ٣٠٧هـ، وهو من مشايخ الطائفة الذين لا يُشقّ غبارهم.

محمد بن إسماعيل بن بزيع، من أصحاب أبي الحسن الأوّل والرضا والحواد عليهم السّلام، يقول الشيخ في رجاله: ثقة صحيح كوفي. ويقول النجاشي: من صالحه هذه الطائفة وثقاتهم، كثير العمل.

صالح بن عقبة، وهو صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان. عرّفه النجاشي بقوله: صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي رييحة. روى عن أبيه عن جدّه. وروى عن زيد الشحام. روى عنه محمد بن الحسين بن أبي الخطاب. وابنه إسماعيل بن صالح بن عقبة.

وليس المراد منه صالح بن عقبة بن خالد الأسدي؛ وذلك لأنّ محمد بن إسماعيل بن بزيع يروي عنه بواسطة محمد بن أيوب، كما يظهر من طريق النجاشي إلى كتاب خالد الأسدي، حيث قال، بعد ذكر عدّة من المشايخ:.. عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن محمد بن أيوب عن صالح بن عقبة بن خالد الأسدي. كما أنّ الشيخ اقتصر على ذكر شخص واحد، وقال: صالح بن عقبة له كتاب، أخبرنا به ابن أبي جيد عن ابن الوليد عن الصفار محمد بن الحسين عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عنه. ومراده هو: صالح بن عقبة بن قيس لا خالد الأسدي.

فما احتمله المحقق التسري ليس في محله. إذا ظهر ذلك فاعلم: أنّ الضابطة في كلّ ما يذكره النجاشي هو أنّه إماميّ، فلو كان غير إمامي لتعرض إلى مذهبه، كما أنّه لو كان قدح فيه لذكره. وعلى ذلك بنى جمع من علمائنا الرجاليين كالسيد بحر العلوم الطباطبائي رحمه الله في الفائدة العاشرة من فوائده الرجاليّة.

فذهب إلى أنّ جميع من ذكره الطوسي والنجاشي في كتابيهما من الشيعة الإمامية صحيح المذهب، ممدوح بمدح عام يقتضيه الوضع لذكر المصنّفين العلماء والاعتناء بشأنهم وشأن كتبهم، وذكر الطريق إليهم، وذكر من روى عنهم، ومن روى عنه إلاّ من نصّ فيه على خلاف ذلك من الرجال كالزيدية والفتحية والواقفية وغيرهم.

وعلى ضوء ذلك فهو إمامي ممدوح بمدح عام والذي جاء سبباً  
لذكره في الكتب. هذا من جانب. ومن جانب آخر يروي عنه  
شيخان عظيمان من مشايخ الشيعة الكبار هما: محمد بن الحسين بن  
أبي الخطاب (المتوفى عام ٢٦٢هـ)، ومحمد بن إسماعيل بن بزيع، من  
كبار مشايخ الشيعة. نعم ضعّفه ابن الغضائري، كما نقله العلامة في  
خلاصته وقال: غالٍ، كذاب لا يلتفت إليه.

ولكنّ ذمّ الغضائري لا يعتدّ به، لأنّه قدح كثيراً من ثقاتنا  
وعلمائنا الذين لا يُشقّ غبارهم وقد كان له عقائد خاصّة في حقّ  
الأئمّة الاثني عشر، فمن تجاوز عنها وصفه بالغلو، ومن روى رواية  
في ذلك الموضوع برواية لا توافق عقيدته وصفه بالكذب، ولذلك  
رتّب في كلامه على كونه غالباً، قوله: كذاباً لا يلتفت إليه. وهذا  
دليل على أنّ وصفه بالكذب، لتوهم الغلوّ فيه.

كيف يمكن أن يوصف بالغلو والكذب من هو من مشايخ محمد  
بن الحسين بن أبي الخطاب أو محمد بن إسماعيل بن بزيع الذي ذكر  
عند الرضا عليه السلام، فقال: وددت أنّ فيكم مثله، ومن اعتنى بذكره وذكر  
كتابه الشيخان النجاشي والطوسي. فوثاقته قويّة وروايته معتبرة».

### التعليق:

لست أدري كيف ثبت أنّ الأصل في كلّ اسم ذكره الطوسي  
والنجاشي في كتابيهما أنّه ممدوح بمدح عام، فهذا مما لم يقبل به أغلب  
العلماء، ولا أظنّ أنّ العلامة الجليل.. يلتزم به في مباحثه الرجالية  
المنشورة، ولا يقبل بذلك السيد الخوئي الذي اعتبر المئات من  
الأشخاص مجاهيل رغم ورودهم في كتابي الطوسي والنجاشي، مع  
أنّ الطوسي والنجاشي ضعفا عشرات الأشخاص في هذين الكتابين،

نعم كون الرجل شيعياً يمكن تعقله، أما ثبوت وثاقته بمجرد ذكر اسمه في أسماء مصنّفي الشيعة فهو لا دليل عليه أبداً، لاسيما وأنّ كتابي الطوسي والنجاشي معقودان لبيان أسماء المصنّفين والمصنّفات، وليسا في مقام بيان أحوال الرواة دوماً. ما لم يقصد من المدح العام نفس أنه إمامي أو نفس أنّ له كتاب، وهذا لا يفيدنا هنا حيث غرضنا إثبات إمكان الاعتماد على حديثه.

أضف إلى ذلك أنّ كونه ممن روى عنه بعض الرواة الكبار مثل ابن بزيع ليس دليلاً على التوثيق عند مشهور العلماء ومنهم السيد الخوئي وغيره، فإنّ الرواة يروون أحياناً بداعي جمع التراث وليس بداعي الاعتقاد، وقد ألمح إلى مثل ذلك ابن إدريس الحليّ في كتاب السرائر عند تعليقه على كتاب النهاية للطوسي في مواضع متعدّدة. لكن على أيّة حال فإنّ صالح بن عقبة ثقة عند السيد الخوئي لوروده في أسانيد تفسير القمّي (معجم رجال الحديث ١٠: ٨٤-٨٦).

يقول العلامة الجليل...:

«عقبة بن قيس بن سمعان، عنونه الشيخ في رجاله وعده من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، وكونه من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام يدلّ على أنه إمامي، ولم يظفر الشيخ بشيء من الذمّ فيه».

التعليق:

مجرد عدم ورود الذمّ في الراوي لا يعني أنه ثقة، فقد يكون مجهولاً عند المتقدّمين أيضاً، وهذا المبنى الذي يذكره سماحة العلامة الجليل لم يقبل به مشهور الفقهاء، ولا أظنّه يقبل به هو نفسه في أبحاثه الفقهية والرجاليّة، كما لا يقبل به السيد الخوئي.

ثم كون الشخص من أصحاب الإمام الباقر لا يعني أنه إمامي؛ فالفطحيّة والزيدية وغيرهم يمكن أن يكونوا من أصحاب الباقر، بل وما أكثرهم، لاسيما وأنّ بعض الفرق ظهرت بعد وفاة الإمام الباقر، فكيف تكون صحبة هذا الإمام عليه السلام دليل عدم كون الراوي واقفياً بعد ذلك؟! ولهذا كلّه كان عقبة بن قيس بن سمعان مجهول الحال عند السيد الخوئي لم تثبت وثاقته (معجم رجال الحديث ١٢: ١٧٢).

يقول العلامة الجليل...:

«إلى هنا تمّت دراسة السند الأوّل للشيخ إلى بيان ثواب زيارة الحسين في يوم عاشوراء. والسند لا بأس به، وهو من الحسن بمعنى الممدوح بالمدح العام لا الممدوح بالمدح الخاص».

التعليق:

تبين عدم صحّة هذا السند عند السيد الخوئي، لا أقلّ بجهالة عقبة بن قيس بن سمعان. وهو الصحيح، ولا أدري هل الممدوح بالمدح العام يعني أنه حجة أم لا؟ هذا ما سكت عنه العلامة الجليل، وإن كان ظاهره الأخذ.

ويقول العلامة الجليل...:

«المهم في المقام هو دراسة سند الشيخ إلى نصّ الزيارة، قال قدّس سرّه: صالح بن عقبة، وسيف بن عميرة، قال علقمة بن محمد الحضرمي، قلت لأبي جعفر عليه السلام: علّمني دعاءً أدعوه به ذلك اليوم إذ أنا زرتّه من قرب وأومات من بعد البلاد، ومن داري بالسلام إليه. قال: فقال لي: يا علقمة، إذا أنت صلّيت الركعتين بعد أن تومئ إليه بالسلام فقل عند الإيماء إليه من بعد التكبير هذا القول، فإنّك إذا

قلت ذلك فقد دعوت بما يدعو من زوّاره من الملائكة، وكتب الله لك مائة ألف درجة وكنت كمن استشهد مع الحسين عليه السلام حتى تشاركهم في درجاتهم ثم لا تعرف إلا مع الشهداء الذين استشهدوا معه وكتب لك ثواب زيارة كل نبي وكل رسول وزيارة كل من زار الحسين عليه السلام، منذ يوم قتل عليه السلام وعلى أهل بيته.

الزيارة: السّلام عليك يا أبا عبد الله، السّلام عليك يا ابن رسول الله، السّلام عليك يا ابن أمير المؤمنين وابن سيد الوصيّين، السّلام عليك يا ابن فاطمة سيدة نساء العالمين.. ثم قال - بعد السلام مرّة واللعن مرّة -: ثمّ تسجد وتقول: اللهم لك الحمد، حمد الشاكرين لك على مصابهم، الحمد لله على عظيم رزيتي، اللهم ارزقني شفاعة الحسين عليه السلام يوم الورود، وثبت لي قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام.

قال علقمة: قال أبو جعفر عليه السلام: وإن استطعت أن تزوره في كل يوم بهذه الزيارة من دارك فافعل فلك ثواب جميع ذلك. إلى هنا تمت زيارة عاشوراء سنداً وامتناً، وإليك دراسة السند فنقول: سياق العبارة ظاهر في أنّ الشيخ أخذ الرواية من كتاب محمد بن إسماعيل بن بزيع الذي لا كلام في وثاقته، إنّما الكلام فيمن يروي هو عنه، فقد روى محمد بن إسماعيل نصّ الزيارة بالسند التالي: صالح بن عقبة وسيف بن عميرة، وهما عن علقمة بن محمد الحضرمي.

أمّا صالح بن عقبة فقد تقدّمت ترجمته، وقد عرفت أنّه في الكتب الرجاليّة إمامي ممدوح بالمدح العام لا الخاص، ولكن دلّت القرائن على كونه مقبول الرواية، وأنّ ذمّ الغضائري لا يعتدّ به. فلو افترضنا عدم ثبوت وثاقته، فلا يضرّ بصحّة هذا السند؛ لأنّ محمد

بن إسماعيل بن بزيع يروي نصّ الزيارة عن شخصين، أحدهما صالح بن عقبة والآخر سيف بن عميرة، والثاني ثقة بلا كلام. قال النجاشي: سيف بن عميرة النخعي، عربي، كوفي، ثقة، يروي عن أبي عبد الله وأبي الحسن، له كتاب يرويه عنه جماعات من أصحابنا. وصرّح بوثاقته الشيخ في الفهرست.

فالرواية إلى هنا كلّهم ثقات، فالرواية صحيحة. إنّما الكلام في الراوي الأخير، أعني: علقمة بن محمد الحضرمي. وأمّا علقمة فعده الشيخ في رجاله في أصحاب الباقر عليه السلام، والصادق عليه السلام. وليس في الكتب الرجالية تصريح بوثاقته، ولكنّ القرائن تدلّ على وثاقته: روى الكشي عن بكار بن أبي بكر الحضرمي، قال: دخل أبو بكر وعلقمة على زيد بن علي وكان علقمة أكبر من أبيه فجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وكان بلغهما أنّه قال: ليس الإمام منّا من أرخى عليه ستره، إنّما الإمام من شهر سيفه. فقال له أبو بكر - وكان أجزأهما -: يا أبا الحسين، أخبرني عن علي بن أبي طالب عليه السلام أكان إماماً وهو مرخ عليه ستره أو لم يكن إماماً حتى خرج وشهر سيفه، وكان زيد يبصر الكلام فسكت فلم يجبه، فردّ عليه الكلام ثلاث مرات كلّ ذلك لا يجيبه بشيء. قال له أبو بكر: إن كان علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً فقد يجوز أن يكون بعده إمام مرخ ستره، وإن كان علي عليه السلام لم يكن إماماً وهو مرخ عليه ستره فأنت ما جاء بك ها هنا. فطلب علقمة من أبي أن يكفّ عنه فكفّ. والحديث يكشف عن أنّ الأخوين كانا على بصيرة من أمر الإمامة.

التعليق:

هذه الرواية لو صحّت سنداً تدلّ على كون علقمة شيعياً غير



زيدي، وأي ربط لها بوثاقته وأمانته في النقل؟! فليس كل شيعي ثقة بإجماع العلماء، والسيد الخوئي معهم. بل إن هذه الرواية نفسها غير معتبرة عند السيد الخوئي، حيث قال فيها محققاً: «أقول: محمد بن جمهور ضعيف، وبكار مجهول، فلا اعتماد على الرواية» (معجم رجال الحديث ٨: ٣٦٣).

ويقول العلامة الجليل ..:

«ما سيوافيك عند دراسة السند الثالث للشيخ من أن سيف بن عميرة الثقة، اعترض على صفوان بن مهران الثقة بأن ما دعا به، لم يرد في رواية العلقمي عن الباقر عليه السلام واعتذر صفوان - بما سيوافيك في محله - بأنه سمعه من الإمام الصادق عليه السلام عند زيارته لجده الحسين. فالاحتجاج بعدم نقله، والجواب عنه بأنه سمعه من الإمام الصادق عليه السلام، حاك عن تسليم الرجلين الثقتين، وثاقفة علقمة بن محمد الحضرمي، وإلا لما احتجَّ به سيف بن عميرة، ولما أجاب عنه صفوان بالسماع عن الصادق عليه السلام».

التعليق:

مجرد ذلك لا يثبت الوثاقفة، فقد تسأل أنت شخصاً ثقة عن شيء وتقول له: إن كلامك يعارض كلام زيد من الناس، ويكون زيد مجهول الحال عندك، لا دليل على ضعفه ولا دليل على وثاقته، فيجيبك بأنني سمعت ذلك من الإمام، فأبي دلالة في هذا على التوثيق، نعم هذا يدل على عدم كونه ضعيفاً عنده، وعدم ثبوت الضعف لا يساوي ثبوت الوثاقفة.

ويقول العلامة الجليل...:

«وبذلك يعلم: أنّ الدعاء الوارد بعد الزيارة ليس لعلقة، وإن اشتهر بأنّه منه، بل هو لصفوان بن مهران. فخرجنا بالنتيجة التالية: إنّ سند الشيخ إلى كتاب محمد بن إسماعيل بن بزيع صحيح في الفهرست. وأنّ محمد بن إسماعيل بن بزيع ثقة بالاتفاق. وأنّ سيف بن عميرة ثقة، صرح بها النجاشي. وأنّ علقمة بن محمد الحضرمي، ثقة حسب القرائن التي عرفتها. إلى هنا تمّ السند الثاني، فلو قلنا بوثاقة علقمة كما هو الحقّ فالسند صحيح، وإلاّ فهو حسن بالمدح العام».

التعليق:

بما قلناه ظهر ضعف هذا السند أيضاً، والسيد الخوئي يوثق علقمة الحضرمي بناء على مبنى كامل الزيارة (معجم رجال الحديث ١٢: ٢٠١)، وهذا يعني أنّه عدل عن توثيقه له بعد ذلك لأنّه عدل عن هذا المبنى، وليس علقمة من المشايخ المباشرين لابن قولويه، فالحضرمي عند السيد الخوئي في رأيه المتأخّر غير ثابت الوثاقة.

ويقول العلامة الجليل...:

«السند الثالث إلى نصّ الزيارة. ثمّ إنّ للشيخ سنداً ثالثاً في «مصباح التهجد» إلى نصّ الزيارة نأتي بنصّه: قال الشيخ الطوسي: وروى محمد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة، قال: خرجت مع صفوان بن مهران الجمّال وعندنا جماعة من أصحابنا بعدما خرج أبو عبد الله عليه السلام [فسرنا] من الحيرة إلى المدينة. فلما فرغنا من الزيارة صرف صفوان وجهه إلى ناحية أبي عبد الله عليه السلام [الحسين] عليه السلام، فقال لنا:

تزورون الحسين عليه السلام من هذا المكان من عند رأس أمير المؤمنين صلوات الله عليه من هنا، وأومى إليه أبو عبد الله [الصادق] عليه السلام وأنا معه. قال: فدعا صفوان بالزيارة التي رواها علقمة بن محمد الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام في يوم عاشوراء، ثم صلى ركعتين عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام، وودّع في دبرهما أمير المؤمنين عليه السلام، وأومى إلى الحسين بالسلام منصرفاً بوجهه نحوه، وودّع وكان فيما دعاه في دبرها: يا الله، يا الله، يا الله، يا مجيب دعوة المضطرين.. (الدعاء المعروف بدعاء علقمة).

والرواية صريحة في أنّ صفوان زار الإمام الحسين عليه السلام بالزيارة التي رواها علقمة بن محمد الحضرمي وفي آخر الرواية، قال سيف بن عميرة: فسألت صفوان: إنّ علقمة بن محمد الحضرمي لم يأت بهذا (الدعاء) أعني: يا الله يا الله يا الله، يا مجيب دعوة المضطرين.. وإنّما أتانا بدعاء الزيارة (أي نصّ الزيارة)، فقال صفوان: وردت مع سيدي أبا عبد الله عليه السلام إلى هذا المكان ففعل مثل الذي فعلناه في زيارتنا ودعا بهذا الدعاء عند الوداع. فالاختلاف إنّما كان في الدعاء الذي يُقرأ بعد الزيارة بعد تسليم نصّها المعروف. إنّ الشيخ أخذ الرواية من كتاب محمد بن خالد الطيالسي، وذكر سنده إلى كتابه في الفهرست، وقال: له كتاب رويناه عن الحسين بن عبيد الله (الغضائري)، عن أحمد بن محمد بن يحيى (شيخ الصدوق)، عن أبيه (محمد بن يحيى العطار القمي)، عن محمد بن علي بن محبوب، عنه. وسنده إلى الكتاب صحيح، وأحمد بن محمد بن يحيى من مشايخ الصدوق وينقل عنه مع الترضي عليه، والمشايخ في غنى عن التوثيق.»

## التعليق:

أحمد بن محمد بن يحيى لم يوثقه أحد من القدماء، وأدلة توثيقه كلها ضعيفة؛ ولهذا لم يوثقه السيد الخوئي (معجم رجال الحديث ٣: ١٢٢)، فطريق الشيخ الطوسي إلى الطيالسي غير معتبر عند السيد الخوئي كما صرح هو بنفسه في ذلك (معجم رجال الحديث ١٧: ٧٦)، والحق معه.

ويقول العلامة الجليل...:

«إذا علمت ذلك، فاعلم أنّ الحكم بصحّة السند، يتوقف على دراسة أحوال الرواة الواردين فيه وهم: محمد بن خالد الطيالسي. سيف بن عميرة. صفوان بن مهران الجمال.

أمّا الثاني أعني سيف بن عميرة فقد عرفت أنّ النجاشي وثّقه، بقي الكلام في الأوّل والثالث. أمّا محمد بن خالد الطيالسي فقد عدّه الشيخ في رجاله في أصحاب الكاظم عليه السلام، وتؤيد وثاقته رواية المشايخ الأعاضم عنه نظراء: علي بن الحسن بن فضال. سعد بن عبد الله القمي. حميد بن زياد، قال الشيخ في فهرسته: محمد بن خالد الطيالسي يكنى أبا عبد الله روى عنه حميد أصولاً كثيرة. علي بن إبراهيم القمي. محمد بن علي بن محبوب. محمد بن يحيى المعادي. معاوية بن حكيم.

وقال النجاشي: محمد بن خالد بن عمر الطيالسي التميمي أبو عبد الله مات لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٥٩، وهو ابن ٩٧ سنة. ولعلّ هذا المقدار يثبت وجاهته في الحديث وأنّ له منزلة عند المحدثين، فيكون إمامياً ممدوحاً بل مقبول الرواية».

## التعليق:

لم يوثق أحد الطيالسي هذا، ومجرد رواية العلماء عنه ليس دليل توثيق، ولهذا لم يوثقه السيد الخوئي، إلا بناء على كتاب كامل الزيارة الذي عدل عنه آخر عمره، فانظر: (معجم رجال الحديث ١٧: ٧٥). والغريب أن العلامة الجليل قال هنا بأنه ممدوح بل مقبول الرواية، بما يفهم منه أن الممدوحية لا تساوق قبول الرواية، مع أنه في الأسانيد السابقة تحدّث عن الممدوحية العامة فقط!!

## ويقول العلامة الجليل ..:

«وأما الثالث، أعني: صفوان بن مهران، فهو كوفي ثقة، يكتفى أبا عبد الله. إلى هنا تمت دراسة أسانيد الشيخ الثلاثة، فخرنا بالنتيجة التالية: إنَّ السند الأوّل من الأسانيد الثلاثة، طريق الشيخ إلى ما يترتب على زيارة الحسين عليه السلام على وجه الإطلاق من الثواب، وهو ليس بمطروح عندنا في هذا المقال، وإنّما ذكرناه استطراداً؛ لأنّ الشيخ روى الجميع في مقام واحد. وأمّا السند الثاني فرواه الشيخ عن سيف بن عميرة وهو ثقة بالاتفاق. عن علقمة بن محمد الحضرمي ولم يصرّح بوثاقته، وإنّما دلّت القرائن على وثاقته. وأمّا السند الثالث فرواه الشيخ عن محمّد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة، عن صفوان بن مهران. والأخيران ثقتان والأوّل لم يصرّح بوثاقته، وإنّما دلّت القرائن على مقبوليّة روايته في الحديث».

## التعليق:

لم تثبت - كما تقدّم - وثاقة الطيالسي ولا علقمة الحضرمي فهذه الأسانيد غير صحيحة، حتى على رأي السيّد الخوئي.

## ويقول العلامة الجليل ...:

«فحان البحث عن سند ابن قولويه إلى نصّ الزيارة: سند ابن قولويه إلى زيارة عاشوراء: روى ابن قولويه في كتاب «كامل الزيارات» زيارة عاشوراء بالسند الآتي: حدّثني حكيم بن داود بن حكيم وغيره. عن محمد بن موسى الهمداني، عن محمد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة وصالح بن عقبه جميعاً، عن علقمة بن محمد الحضرمي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: من زار الحسين يوم عاشوراء حتّى يظلّ عنده باكياً لقي الله عزّ وجلّ يوم القيامة بثواب ألفي حجّة. ومحمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبه، عن مالك الجهني، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من محرّم حتّى يظلّ عنده.. وقد تمّ السند الأوّل بقوله: عن علقمة بن محمد الحضرمي».

## التعليق:

قلنا بأنّ علقمة الحضرمي والطيالسي لم تثبت وثاقتها عند السيد الخوئي، كما هو الصحيح، فهذا السند هو بعينه مرجع الأسانيد السابقة وليس شيئاً جديداً، فهو ضعيف.

## ويقول العلامة الجليل ...:

«ثمّ ابتدأ بسند آخر، وقال: ومحمد بن إسماعيل عن صالح بن عقبه. وعلى ذلك ففي قوله: ومحمد بن إسماعيل احتمالان: الأوّل: أنّ ابن قولويه شرع بأوّل السند وأخذ الرواية عن كتاب محمد بن إسماعيل بن بزيع، لما عرفت من أنّ الشيخ روى نفس الزيارة عن ذلك الكتاب، وطريقه إليه صحيح فينتج قيام الحجّة على وجود

نصّ الزيارة في ذلك الكتاب، وقد تناول كلّ من العلمين الطوسي وابن قولويه نقلها من ذلك الكتاب، غير أنّا نعلم بسند الشيخ إلى الكتاب ولا نعلم سند ابن قولويه إليه، ولكنّه لا يضرّ بصحّة الرواية للعلم بوجود الرواية في ذلك الكتاب عن طريق الشيخ.

وهذا الاحتمال هو الأوجه، وعليه يكون لابن قولويه سندان إلى زيارة عاشوراء. الثاني: إنّ قوله: ومحمد بن إسماعيل، عطف على قوله: محمد بن خالد الطيالسي، وأنّ سند ابن قولويه إلى كتاب محمد بن إسماعيل نفس سنده إلى كتاب محمد بن خالد الطيالسي، فيروي كتاب ابن بزيع عن الطريق الذي يروي به كتاب الطيالسي. وعلى ذلك يكون سنده إليه كالتالي: حكيم بن داود، عن محمد بن موسى الهمداني، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع. وهذا الاحتمال بعيد.

وثمّة احتمال ثالث لا يتفوّه به من له إلمام بالرجال، وهو أنّ قوله «ومحمد بن إسماعيل» عطف على قوله: «علقمة بن محمد الحضرمي»، وجزء من السند السابق؛ لأنّه بعيد عن الصواب غاية البعد؛ لأنّ علقمة من أصحاب الباقر والصادق عليهما السّلام، وابن بزيع من أصحاب الرضا والجواد عليهما السّلام، ومع الاختلاف في الطبقة كيف يعطف المتأخّر طبقةً، على المتقدّم كذلك؟! إذا عرفت ذلك فلنتناول رواة السند الأوّل بالبحث:

١- حكيم بن داود بن حكيم، أحد مشايخ جعفر بن قولويه، وقد وثّق مشايخه إجمالاً في أوّل كتابه، فقال: لا يذكر في كتابه إلاّ ما وقع له من جهة الثقات، وروى عنه في كامل الزيارات في الباب الثاني، الحديث ١١ والباب ٥٤ الحديث الثالث. مضافاً إلى الباب ٧١، الحديث ٩.

٢- محمد بن موسى بن عيسى الهمداني، ذكره النجاشي بقوله:  
محمد بن موسى بن عيسى أبو جعفر الهمداني السمان، يروي عنه  
محمد بن يحيى العطار القمّي على ما في طريق النجاشي إلى كتابه،  
حيث قال: أخبرنا ابن شاذان، عن أحمد بن محمد بن يحيى، عن  
أبيه، عنه بكتبه. كما يروي عنه محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران  
الأشعري، الذي هو شيخ مشايخ الكليني، وقد ورد في أسناد نوادر  
الحكمة للأشعري، غير أنّ الغضائري ضعفه، ومع ذلك قال:  
ضعيف، يروي عن الضعفاء ويجوز أن يخرج شاهداً. وضعفه ابن  
الوليد أستاذ الصدوق. غير أنّ تضعيف هؤلاء يرجع إلى الاختلاف  
في مقامات الأئمة، فإنّ للقميين وعلى رأسهم محمد بن الوليد عقائد  
خاصة في حقّ أهل البيت عليهم السّلام ربما لا يرتضيه محقّقو  
الإمامية. يقول الشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد: وقد سمعنا حكاية  
ظاهرة عن أبي جعفر محمد بن الحسن بن الوليد لم نجد لها دافعاً في  
التفسير، وهي ما حكى عنه أنّه قال: أول درجة في الغلو نفي السهو  
عن النبي والإمام ﷺ، فإن صحّت هذه الحكاية عنه فهو مقصّر مع  
أنّه من علماء القميين ومشيختهم، وقد وجدنا جماعة وردوا إلينا من  
قم يقصّرون تقصيراً ظاهراً في الدين وينزلون الأئمة عليهم السّلام  
عن مراتبهم، ويزعمون أنّهم كانوا لا يعرفون كثيراً من الأحكام  
الدينية حتى ينكت في قلوبهم، ورأينا في أولئك من يقول إنّهم  
ملتجئون في حكم الشريعة إلى الرأي والظنون، ويدّعون مع ذلك  
أنّهم من العلماء، وهذا هو التقصير الذي لا شبهة فيه. وعلى هذا  
فلا بعد أن يكون تضعيفه من جانب ابن الوليد لأجل اختلافهما في  
مقامات الأئمة، ولأجل ذلك لما نقل النجاشي قول ابن الوليد بأنّه  
يقول كان يضع الحديث، عقبه بقوله: والله أعلم».



## التعليق:

ما جاء في كتاب الغضائري من تضعيف الهمداني لا قيمة له - كما هو الحق - عند السيد الخوئي؛ لعدم صحّة نسبة كتاب الغضائري الموجود بين أيدينا اليوم إليه، لكنّ هذا لا يثبت وثاقة الهمداني؛ إذ لم يوثقه أحد، ومجرّد كونه شيخ شيخ الكليني لا يثبت وثاقته، كما هو واضح من مباني السيد الخوئي. بل إنّ محمد بن الحسن بن الوليد ضعّف الهمداني صريحاً بحسب نقل النجاشي، وضعّفه القميون أيضاً، كما ضعّفه الشيخ الصدوق صريحاً واتهمه بالكذب، ولهذا لم يوثقه ولم يأخذ بأحاديثه السيد الخوئي، فانظر (معجم رجال الحديث ١٨: ٢٩٧-٢٩٩)، وعلى تقدير عدم الأخذ بتضعيفاتهم، فهذا لا يثبت وثاقته؛ لأنّه لا دليل على الوثاقة حتى لو لم يكن هناك دليل على الضعف، فالهمداني لا احتجاج بحديثه عند السيد الخوئي، وهو الصحيح.

ويقول العلامة الجليل...:

٣- محمد بن خالد الطيالسي، قد مرّت ترجمته عند دراسة السند الثالث للشيخ الطوسي، وقد دلّت القرائن على كونه مقبول الرواية.

## التعليق:

قد مرّ عدم ثبوت وثاقته عند السيد الخوئي، كما هو الصحيح أيضاً.

ويقول العلامة الجليل...:

٤ - سيف بن عميرة، قد مرّ أنّه ثقة بلا إشكال.

٥ - صالح بن عقبة، مرّت ترجمته عند دراسة السند الأوّل للشيخ.

وأنه إمامي ممدوح بالمدح العام.

٦ - علقمة بن محمد الحضرمي، تقدّمت ترجمته عند دراسة سند الشيخ إليه، وقلنا بأنّ القرائن تدلّ على وثاقته. إلى هنا تمّ السند الأوّل للشيخ ابن قولويه».

التعليق:

تقدّم أنّ سيف بن عميرة ثقة، وصالح بن عقبة ثقة عند السيد الخوئي ولم تثبت وثاقته عندي، وأمّا علقمة فقد بينا سابقاً عدم ثبوت وثاقته، لا عندي ولا عند السيد الخوئي. وعليه فقد تبين عدم صحّة هذا السند عند السيد الخوئي بوجود علقمة فيه أيضاً.

ويقول العلامة الجليل ..:

«وإليك دراسة السند الثاني: دراسة السند الثاني لابن قولويه: روى محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن مالك الجهني، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من محرم حتّى يظلّ عنده باكياً. وهذا السند غنيّ عن الدراسة إلاّ ترجمة مالك الجهني».

التعليق:

على القارئ الكريم أن يلاحظ هنا كيف أنّ الرواة يتكرّرون في أكثر الأسانيد، وهذا يعني أنّها ليست أسانيد متعدّدة، بل يمكن إجراء طريقة اختزال الأسانيد عليها.

ويقول العلامة الجليل ..:

«فإنّ محمد بن إسماعيل وصالح بن عقبة قد تقدّمت ترجمتهما،

وأما مالك الجهني فقد عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الباقر  
ومن أصحاب الصادق عليهما السّلام، قائلاً: الكوفي مات في حياة  
أبي عبد الله عليه السلام. ويمكن استظهار وثاقته من الأمور التالية:

الأوّل: ما رواه علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس،  
عن يحيى الحلبي، عن مالك الجهني، قال: قال أبو جعفر: يا مالك  
أنتم شيعتنا ألا ترى أنك تفرط في أمرنا، إنّه لا يقدر على صفة الله  
فكما لا يقدر على صفة الله، كذلك لا يقدر على صفتنا، وكما لا يقدر  
على صفتنا كذلك لا يقدر على صفة المؤمن، إن المؤمن ليلقى المؤمن  
فيصافحه، فلا يزال الله ينظر إليهما والدّنوب تتحات عن وجوههما،  
كما يتحات الورق من الشجر، حتّى يفترقا، فكيف يقدر على صفة  
من هو كذلك. والرواية وإن كانت تنتهي إلى نفس مالك الجهني  
لكنّ اعتناء علي بن إبراهيم القمي ومحمد بن عيسى بن عبيد  
ويونس بن عبد الرحمن بنقلها حاك عن اعتمادهم على روايته.

### التعليق:

هذه الطرق في إثبات الوثاقة غير صحيحة عند المحققين من علماء  
الرجال، ومنهم السيد الخوئي، والذي اتبعها هو كلّ من الوحيد  
البهبائي والشيخ النمازي، ويعدّان من المفرطين في منهج التوثيق بين  
علماء الإمامية، فهي لو تمّت تثبت صحّة كلّ روايات الشيعة، إذ من  
البعيد أن يروي الصدوق أو الكليني أو الطوسي أو المفيد رواية ولا  
يكون واثقاً بها، ومعتمداً على رجالها، وهذه الطريقة لا قيمة لكلّ  
أبحاثنا في الرجال والحديث ونقد الحديث والتحقيقات السنديّة  
والمتنبية، ولا أدري كيف يتبنّى العلامة الجليل.. مبنى الأصوليين  
وهو من علماء الرجال المعاصرين والحال أنّه يسلك هنا طريقة

إفراطيّين الإخباريين. من هنا لم يوثق السيد الخوئي مالك بن أعين الجهنّي، وهو الصحيح، فانظر: (معجم رجال الحديث ١٥: ١٦٤).

ويقول العلامة الجليل...:

الثاني: روى الكليني، عن عيسى الحلبي، عن ابن مسكان، عن مالك الجهنّي قال: قال لي أبو عبد الله: يا مالك أما ترضون أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتكفّوا وتدخلوا الجنة؟ يا مالك إنّه ليس من قوم ائتموا بإمام في الدنيا إلا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه إلا أتم ومن كان على مثل حالكم، يا مالك إنّ الميت والله منكم على هذا الأمر لشهيد بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله.

التعليق:

هذه الرواية ترجع إلى مالك الجهنّي نفسه، فلا يمكن إثبات وثاقته برواية هويرويهما لنا، كما يذهب إلى ذلك العلماء بمن فيهم السيد الخوئي، إلا على الطريقة المتقدمة التي مارسها العلامة الجليل.. وقد تقدّم التعليق عليها.

ويقول العلامة الجليل...:

الثالث: إنّ مدحه للإمام الباقر عليه السلام يعرب عن وقوفه بمقام الإمام، وأنّه كان يجاهر بالولاء يوم كان الجهر به محظوراً، وقال: إذا طلب الناس علم القرآن كانت قريش عليه عيالاً. وإن قيل اين ابن بنت النبي نلت بذاك فروعاً طوالاً. نجوم تهلّل للمدلجين جبال تورث علماً جبالياً.

التعليق:

كلّ ما يثبت هذا هو تشييع الرجل، وقد صرح العلماء - بمن فيهم

السيد الخوئي - بأنّ تشييع شخص ليس دليل وثاقته، فأَيُّ برهان يثبت أنّ كل شيعي ثقة إلا ما خرج بالدليل؟! كيف وبعض الغلاة الكذابين كانوا محبين بإفراطٍ لأهل البيت ويجاهرون بذلك.

ويقول العلامة الجليل...:

الخاتمة: هذه إشارة سريعة إلى أسانيد زيارة عاشوراء، وقد عرفت صحّة بعضها ومقبوليّة البعض الآخر، والمجموع يشدّ بعضه بعضاً ويورث العلم أو الاطمئنان المتأخّم للعلم بصدور الرواية عن المعصوم عليه السلام، مضافاً إلى أمرين:

١ - اتفاق العصابة ومواظبتهم على قراءتها عبر القرون، وهي إحدى القرائن على صدور الرواية.

٢ - إنّ الإمعان في مضمون الزيارة يعرب عن أنّه صدر من قلب ملؤه الشجون والأحزان، لا يسكن دمه ولوعه إلاّ بأخذ الثأر، وهو يتفق بذلك مع مضامين سائر الروايات الواردة في الأدعية والزيارات. إلى هنا تمّ ما أردنا بيانه في هذه الرسالة من دراسة سند زيارة الحسين عليه السلام في عاشوراء.

التعليق:

مواظبة الشيعة على هذه الزيارة لا يحرز وجوده في عصر النصّ ليكون سيرةً متشرّعية، وإلا فلنقم الأدلّة على ذلك وكيف عرفناه. ووجوده بعد عصر النصّ ربما يكون ناشئاً من توجيهات العلماء. وتوجيهات العلماء لا تثبت اعتقادهم بصدورها؛ لأنّ هذه الروايات واردة في الأمور المستحبة، ومن الممكن أن يكونوا أخذوا بها تساهلاً من باب قاعدة التسامح في أدلّة السنن، وهذا لا يثبت اعتقادهم

بصدور الحديث، والسيد الخوئي لا يقول بقاعدة التسامح في أدلة السنن (الخوئي، مصباح الأصول ٢: ٣٢٠؛ والتنقيح، كتاب الطهارة ١: ٥٢٦، و٤: ٨، و٥: ٤١٧، و٩: ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٢٤، ٣٣١، ٣٣٩، ٣٥٣ و...)، كما لا يقول السيد الخوئي بجبر الخبر الضعيف بعمل المشهور (الخوئي، التنقيح، الطهارة ١: ٢٨٦، ٤٥٣، و٢: ٤٧٧، و٦: ١٣٧، و٧: ٢٧٤، ٢٨٣، و٨: ٦٢، ١٨١، و٩: ٢٩٤ - ٢٩٥، ٣٧٦، ومستند العروة، كتاب الصلاة ٢: ١٦٠، و٤: ٢٣، و٥، ق: ١١٣، و٥، ق: ٢: ٢٥٩، ٤٥٣، و٧: ١٠١؛ والمعتمد في شرح المناسك ٣: ٣٢٣، و٤: ٢٢٣؛ ومباني العروة الوثقى، كتاب النكاح ٢: ١٣٢؛ وكتاب الخمس: ١٨؛ ومصباح الأصول ٢: ١٤٣، ١٧٠، ٢٤٠ - ٢٤١، و٣: ٤٠٩، ومباني تكملة المنهاج ١: ١٠٨؛ ومصباح الفقاهة ١: ٦، ٧، ٥١، ١٠١، ١٤٠، و٥: ١٤٣، ٢٣٨، ٢٣٩، و٧: ٣٢، ٣٩، ٥٠، ٦٠٠ و...).

أضف إلى ذلك أن صدور هذه الزيارة من قلب متألم متفجع حزين أمر واضح بالنسبة لي، لكن ألا يمكن وجود هذا القلب عند شيعي صادق مخلص أحب أن يروج لفكر أهل البيت وحب أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين، فابتكر هذه الرواية واخترعها بداعي خدمة أهل البيت، فهل مجرد كون الرواية صدرت عن قلب متفجع دليل صدقها؟! وهل هذه المعايير في قبول الحديث يرضى بها علماء الحديث والرجال؟! ونحن نعرف - كما بحثوا مفصلاً في علم الدراية، وأشار إلى ذلك الشهيد الثاني والحسين بن عبد الصمد الكركي وغيرهم - أن الكثير من الوضّاعين كانوا من الصلحاء والأتقياء، وقد وضعوا ذلك احتساباً وتقرباً إلى الله تعالى، لدفع الناس نحو الخير، وكانوا يقولون بأننا نضع الحديث للنبي وليس

على النبي، فلا يشملنا حديث: «من كذب عليّ متعمداً...»؛ لأننا نكذب له (صلى الله عليه وعلى آله وسلّم) ولا نكذب عليه.

يضاف إلى ذلك أنّ اتفاق حديث مع مضامين أحاديث أخرى صحيحة السند يمكن أن يجعله معتبراً - مضموناً - في القاسم المشترك، لكنّ هذا لا يثبت صدوره بحيث يمكن الاعتماد عليه في الأمور التي يذكرها ولا تكون في سائر الروايات. فالإنصاف أنّنا بحاجة إلى طرق أخرى لإثبات السند والصدور.

هذا، ولا أدعي ضعف سند هذه الزيارة؛ لأنني لست بصدّد بحثها بشكل موسّع من جميع المصادر، لكنني أحببت أن أجيبكم عن موقف السيد الخوئي من سند هذه الزيارة (المشار إليه في رسالة هذا الشيخ الجليل...) وفقاً لأصوله الأصولية والرجالية، وأنّ طريقة العلامة الجليل.. ليست صحيحة وفقاً لما هو الحقّ ولما يراه السيد الخوئي أيضاً. والبحث التفصيلي في محلّه، ولعلّه توجد طرق أخرى غير هذه الطرق التي ذكرها الشيخ الجليل ترقى بهذه الزيارة إلى مستوى الصحّة.

### ونتيجة البحث:

١. إن السند الأوّل الذي ذكره الشيخ الطوسي ضعيف، لا أقلّ بعقبة بن سمعان الذي هو مجهول، حتى عند السيد الخوئي، فانظر: (معجم رجال الحديث ١٢: ١٧٢).

٢. والسند الثاني ضعيف، بعدم ثبوت وثاقة علقمة الحضرمي حتى عند السيد الخوئي الذي وثقه بناء على كتاب كامل الزيارة الذي عدل عنه آخر عمره، فانظر: (معجم رجال الحديث ١٢:

(٢٠٠ - ٢٠١).

٣. والسند الثالث ضعيف بمحمد بن خالد الطيالسي الذي لم تثبت وثاقته حتى عند السيد الخوئي، إلا بناء على كتاب كامل الزيارة الذي عدل عنه آخر عمره، فانظر: (معجم رجال الحديث ١٧: ٧٥). هذا فضلاً عن وجود محمد بن أحمد بن يحيى الذي لم يوثقه السيد الخوئي أساساً كما أشرنا آنفاً.

٤. والسند الرابع ضعيف، بكل من محمد بن موسى الهمداني، الذي هو رجل ضعيف عند القميين ومحمد بن الحسن بن الوليد وعند الشيخ الصدوق وعند السيد الخوئي، فانظر: (معجم رجال الحديث ١٨: ٢٩٧ - ٢٩٩)، وكذلك هذا السند ضعيف بمحمد بن خالد الطيالسي، وبعلمة بن محمد الحضرمي، اللذين تقدما، وأنها لم يوثقا حتى عند السيد الخوئي.

٥. وأما السند الخامس، فهو ضعيف على الأقل بعدم ثبوت وثاقة مالك الجهني حتى عند السيد الخوئي، فانظر: (معجم رجال الحديث ١٥: ١٦٤).

هذا، والملاحظ تكرر أسماء بعض الرواة في أكثر من سند من هذه الأسانيد الخمسة، بما يرجعها - بعد التأمل - إلى ثلاثة أو أقل.

وختام الكلام أن السيد الخوئي سئل عن زيارة عاشوراء وهذا هو النص: «س: ما هو رأيكم الشريف بسند ومتن زيارة عاشوراء الواردة في كتاب (مصباح المتهدد) للشيخ الطوسي قدس سره؟ وهل تجزئ قراءتها عن الزيارة المذكورة في كتاب كامل الزيارات لابن قولويه قدس سره؟ فقد تكلم في ذلك أناس لم يبلغوا رتبة



الاجتهاد؟ ج: يجزئك أن تقرأ من أيّ من النسختين مورد مخالفتها عن الأخرى، برجاء أن يكون هو الواقع الوارد» (منية السائل: ٢٢٦)، ومعنى قوله (رجاء)، أنّه لم يثبت عنده أيّ من أسانيد هذين الكتابين والتي حاول العلامة الجليل.. إثبات صحّتها، وإلا فلا معنى للإتيان بالزيارة في مورد الاختلاف بقصد الرجاء، بل لقال بأنّ ما ورد في كتاب كذا وكذا يؤتى به ولو بقصد الورود والاستحباب، وأما الثاني فيقصد منه الرجاء، وهذا يكشف عن عدم صحّة أيّ من الأسانيد المتقدّمة عند السيد الخوئي كما بيّناها في جواب سؤالكم أعلاه، والعلم عند الله.

وأحبّ أخيراً أن أشير إلى أنّ السيد الخوئي ليس معصوماً، ورأيه ليس هو نهاية الآراء، لهذا ليس من الحسن أن نأخذ رأيه ونتعاطى معه على أساس أنّ الأمور حسمت. لكن في المقابل - ومع وجود عمالقة مثل السيد الخوئي لهم مثل هذه الأنظار - لا يحسن ببعضنا أيضاً أن يتعاطى مع ثبوت هذه الروايات وأمثالها بمنطق الأمور الواضحة المسلّمة القطعية التي يُتهم من يناقش فيها دينه ومذهبه وعقيدته وأخلاقه، فليتق الطرفان الله تعالى فيما يصدر منهما، وليقبلا بتعدّد الآراء في المسألة، وليرثيّا قبل نسبة شيء للنبي وأهل بيته وأصحابه أو نفيه عنهم؛ لأنّنا سنحاسب أمام الله تعالى جميعاً ونسأل عمّا قلنا وفعلنا، وكما سوف نسأل عن نسبة كلام للمعصوم، كذا سنسأل عن نفيه عنه والعكس كذلك، فلنقرّ بالتعدّد، وليعمل كلّ شخص منّا على المنهج العلمي الذي اختاره، لا أن نعتمد في مثل هذه المواضيع منهجاً ركيكاً قائماً على الرغبة في التوثيق أو التضعيف، وفي سائر الموضوعات نعود إلى منهجنا المتين الذي نتبناه في بحوثنا الفقهية وغيرها!! والله وحده من وراء القصد.

## هل صحّ حديث:

### (يعيّر خادم الحسين كما تعيّر الزانية)؟<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: هل هذا الحديث صحيح ومُسند: يعيّر خادم الحسين كما تعيّر الزانية؟

◆ الجواب: لم أعر على حديث بهذه الصيغة، فضلاً عن أن يكون له سند. بل إنّ عنوان خادم الحسين أو خادم المنبر، أو نحو ذلك، إنّما هو من العناوين الحادثة التي يبدو أنّه ليس لها وجود في الكتاب والسنة، وإنّما هي مستوحاة من النصوص استيحاءً أو من خلال طبيعة العمل.

كما أنّ عنوان (خادم الإمام) وإن كان له وجود في الكتب القديمة الرجالية والحديثية، إلا أنّ المراد منه فيها هو أولئك الذين كانوا يخدمون في بيوت أهل البيت أو كانوا غلماناً عندهم، مثل سالم العطار، والسراج، وياسر الخادم، وقنبر، ومحمد بن عبد الله الخراساني، ومحمد بن زياد الرزامي، وغيرهم.

والوارد في إحدى الروايات ذمّ الذين يعيرون الناس بزيارة قبور أهل البيت كما تعيّر الزانية. وعلى تقدير وجود الحديث الذي تسألون عنه فهو لا يدلّ بالضرورة على ذمّ خدام الحسين، بل قد يكون المعنى بالعكس وهو أنّه في آخر الزمان يجارهم الناس ويذمّونهم ويعيرونهم ظلماً وعدواناً، تماماً كما جاء في رواية تعيير زوّار قبور أهل البيت عليهم السلام.

(١) إضاءات ٣: ١٢٤

## مع حديث:

«إذا هلّ هلال المحرم نشرت الملائكة قميص الحسين.. فنراه نحن وشيعتنا»<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: ما صحة إسناد حديث الصادق عليه السلام: «إذا هلّ هلال المحرم نشرت الملائكة قميص الحسين مخضّباً بالدماء، فنراه نحن وشيعتنا بالبصيرة لا بالبصر»؟

◆ الجواب: هذا النص بهذه الصيغة لم أعثر عليه إطلاقاً، ولعلّ عندي قصوراً أو تقصيراً في البحث والتقصّي. نعم، ورد بمضمونه في كتاب (المجالس العاشورائية: ١٢) للشيخ المعاصر عبد الله آل درويش، نقلاً عن كتاب (ثمرات الأعواد: ٣٦-٣٧)، للسيد علي بن الحسين الهاشمي النجفي، وهو - أي النجفي - قد توفي عام ١٩٧٥ م، وترجم له في (أعيان الشيعة ٣: ١٤٨)، ولم أتمكن من العثور على مصدر قديم لهذا الحديث المشار إليه.

وعليه فهذا الحديث - إذا صحّ بحثي وتتبعي - لا يرجع لأكثر من نصف قرن تقريباً، ولعلّ للسيد علي الهاشمي مصدراً قديماً أخذ الحديث منه ولم يصلنا أو لم نعثر عليه، لكن على أيّ حال لو اعتبرناه حديثاً فلم نعثر له على مصدر أو سند، والله العالم.

وعلى تقدير صحّة الحديث، فلعلّ المراد منه معنى مجازي، أي إنّ قضية الحسين يلهمها الله محبّيه فيتنفضون من بداية محرم الحرام لتذكّرها وإحيائها في النفوس والعقول، وأخذ العبر منها، وعيش البكاء والحزن عليها، تعبيراً عن مبدأ المودّة لآل الرسول عليهم السلام.

(١) إضاءات ١٥٦:٣

**معنى «الموت أولى من ركوب العار،**

**والعار أهون من دخول النار»<sup>(١)</sup>**

◆ **السؤال: القول المنسوب إلى الإمام الحسينؑ: «الموت أولى من ركوب**

**العار، والعار أهون من دخول النار، إن كان صحيحاً، ما معناه؟**

◆ **الجواب:** المراد هو أنه يفضّل الموت على كلّ ما يجلب العار، وهو كلّ شيء يلزم أن يعييه الآخرون به أو يسبّوه ويجلب له الدنيّة والذلّة والمهانة. كما يفضّل المهانة والدنيّة والعار وكلام الناس بنقص فيه على دخول النار، فالضرر الدنيوي أولى من الضرر الأخروي وأهون.

يريد بذلك أن يقول بأنّ الإنسان إذا وقف أمام خيارين: خيار العار والمذلّة والمهانة والضعفة والفرار والاستسلام، وخيار الموت عزيزاً، فإنّه يفضّل خيار العزّة والكرامة على خيار العار والنقص، تماماً كالذي يدافع عن عرضه فيموت ولا يفرّ مسلماً عرضه للمعتدين، فإنّه يكون قد فضّل الموت على العار والشنار، فالحسين يريد هنا أن يقول بأنّ ما يقوم به ولو أدّى إلى موته، لكنّه خيرٌ له من أن يعيش حياةً مهينة ومذلّة تعيبه وتنقص من قدره وشأنه، وخيرٌ له من أن يفرّ أو يستسلم.

ثم يكمل الإمام كلامه للذين قد يقولون له بأنّك بموتك تضع نفسك وعيالك ونساءك في العار والعيب والهزيمة فتموت شرّ موتة، فيقول لهم بأنّ العار عنده خيرٌ من دخول النار، فلا يريد أن يدخل النار لكي لا يعيب بعيب دنيوي، بل يفضّل العيب الدنيوي الذي

(١) إضاءات ٤: ١٣٣

قد يلحق به على العيب الأخرى. وهو معنى قوله في موضع آخر - على ما جاء في الرواية - بأنه سيمضي إلى الموت ولا يرى فيه عيباً، بل العيب والذل أن تعيش في مذلة ومهانة مرغماً على ما تفعل. وهو أيضاً معنى قوله في موضع ثالث: بأنه لا يرى الموت إلا سعادة ولا يرى الحياة مع الظالمين إلا برماً، أي ضجراً ومللاً، فالبقاء مع الظالمين - ولو في سلامة - موجبٌ للتبرّم والضجر وانعدام لذّة العيش، أمّا الموت في وجههم فهو اللذّة والسعادة عنده. فالموت عند الحسين أفضل من العار الذي هو - أي العار - أفضل من النار. والحسين بهذا كله كأنه يعرض أيضاً بالذين تركوه وخذلوه ووقفوا ضده، والله العالم.

## تعليق لغوي على نقد متني لنصوص نطح السيدة زينب رأسها<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: جاء في بعض الروايات أن السيدة زينب عليها السلام نطحت رأسها بعمود مقدّم محلل الناقة، وفي بعضها أن الإمام زين العابدين نطح رأسه بالجدار، مع العلم أن كلمة (نطح) في اللغة كلمة تُستخدم للحيوان. أستغفر الله. فكيف صارت تستعمل في حق أقدس أهل الأرض آل محمد عليهم السلام؟

◆ الجواب: سبق أن تحدّثنا في دروس التفسير القرآني عن ما اعتبرناه قاعدةً في الفهم اللغوي والتفسيري، وهي قاعدة أن لا يغترّ الإنسان بما ينسب إلى ذهنه من الكلمات، لاسيما لو كان هو إنساناً عربياً، بل عليه دوماً أن يرجع إلى المصادر اللغوية والاستخدامات العربية القديمة للكلمة.

ومن تطبيقات هذه القاعدة كلمة (نطح)، فهي قد تنصرف عندنا اليوم عربياً إلى الحيوانات والكبش والماعز والثور ونحو ذلك، وهي في جذرها اللغوي تستعمل بهذا المعنى أيضاً، لكنّها لا تقف في لغة العرب عند هذا الحدّ، بل يستخدمها العرب في مطلق المواجهة الشديدة المباشرة (وجهاً لوجه)، يقول الفراهيدي: (النَّطْحُ للكباش ونحوها، وتَنَاطَحَتِ الأمواج والسيول والرجال في الحروب. والنَّطِيح: ما يأتيك من أمامك من الظباء والطير وما يزجر..) (العين ٣: ١٧٢؛ وانظر أيضاً: المحيط في اللغة ٣: ٢٦). ومنه قيل: نواطح الدهر أي شدائده التي يواجهها الإنسان، ويقولون: أصابه ناطحٌ أي أمر شديد (انظر: الصحاح ١: ٤١٢؛ ومعجم مقاييس اللغة ٥: ٤٤٢؛ ومفردات القرآن: ٨١١).

(١) إضاءات ٥: ٥٣٠

وهذا يعني أنّ هذه الكلمة قد بدأت عند العرب في منطلقها مع تناطح الكباش ونحوها، ولكنّ العرب على طريقتهم - وهي طريقة أهل اللغة عموماً - يقومون بتوسعة المفهوم ليطبّقوه على مطلق المواجهة الشديدة المباشرة بين شيئين، دون أن يحمل التطبيق الجديد كنايةً سلبيةً في تشبيهه بالحيوان، ولهذا نحن نقول اليوم للأبنية الشاهقة الارتفاع: (ناطحات السحاب)، دون أن يأتي إلى ذهننا مفهوم الكبش والمعز والثور؛ لأننا أخذنا من النطح جذره المعنائي، وليس دلالاته التطبيقية على الحيوان.

ومثل هذا كثير للغاية في لغة العرب؛ فالعرب قد أخذوا أكثر مفرداتهم من طبيعة حياتهم المحيطة بهم، ولهذا تجد أنّ الكثير من الكلمات أساسها عندهم زراعيّ نباتيّ حيواني، ثم من ذلك اشتقت لتأخذ لها معنى أوسع في الحياة، مثلاً كلمة فسق، استعملت بمعنى خروج نواة التمرة منها، لكنّ العرب وسّعتها لمطلق الخروج عن الحالة السوية الأصلية وهكذا.

من هنا، فكلمة النطح في هذه الروايات التاريخية لا تستبطن بالضرورة مدلولاً سلبياً حتى نفني هذه النصوص التاريخية من خلالها، وإنّما نفنيها بوسائل نقدية أخرى، وقد سبق أن أجبنا عن رواية نطح الإمام زين العابدين رأسه بالجدار وقلنا بأنّها غير ثابتة، فليراجع (انظر: إضاءات في الفكر والدين والاجتماع ٥: ٢٦٩ - ٢٧٠، السؤال رقم: ٧٤١).

## نقل مواقف لغير المسلمين حول الإسلام

### دون توثيق بما يثير سخرية الآخرين! (١)

◆ السؤال: تعرض القنوات التابعة لأهل البيت والمواقع الشيعية أقوالاً وشهادات منسوبة لعلماء وفلاسفة ومستشرقين وزعماء كجورج برنارد شو، وراسل، وغاندي، وماوتسي، والعشرات غيرهم.. يشيدون برسول الله والإمام علي والإمام الحسين، ولكن من دون الإشارة إلى مصدر هذه الأقوال. ويستغل هذه النقطة الملحدون وأعداء أهل البيت، وينسبون لنا الكذب وعدم التحري عن مصداقية هذه الأقوال، فما هو تعليقكم؟

◆ الجواب:

١. لقد سبق لي أن تحدّثت عن هذا الموضوع سابقاً (إضاءات في الفكر والدين والاجتماع ٢: ٥٧٩ - ٥٨٠)، وهناك قلت في مقترح متواضع بأنني كنت أحبّ أن أقوم بهذا المقترح لكنّ وقتي لا يسعفني، وربما فعله أحدٌ من قبل ولا علم لي. لهذا اقترحت أن يقوم بعضٌ من طلاب العلوم الدينية أو الباحثين والمهتمين والمتابعين، باستقراء كلّ المواقف التي قيلت في الإمام الحسين عليه السلام وفي غيره أيضاً من قبل غير المسلمين، كالمسيحيين واليهود وأهل الديانات الوضعية كالبودية وغيرها. وكذلك ما قاله منهم الزعماء والسياسيون والإعلاميون والمفكرون والمستشرقون والفلاسفة الكبار، ويخرج ذلك على شكل كتاب أو مقالة أو موسوعة، لكن موثقة، بحيث تبين لنا مصدر المعلومات الموثوق، وهل حقاً ما ينقل عن غاندي وشكسبير وتشرشل و.. من مقولات ومواقف رائعة حول الإمام الحسين

(١) إضاءات ٣: ٥٤٢



أم لا؟ ومن أين عرفنا؟ وما هي مصدر معلوماتنا في هذا السياق؟ ومن أول من نقل لنا المعلومات الأصلية الخام في هذا الصدد؟ إنَّ تدوين كتاب أو دراسة جامعة مستقرئة في هذا المجال يمكن أن يكون مفيداً للمنبر والخطابة الحسينية وللفكر والثقافة الدينية عموماً، وحامياً للمجالس الحسينية وللإعلام الديني من التشكيك والنقد إن شاء الله.

لكنني لم أجد حتى الآن من قام بهذا المشروع، في وقت يسترسل فيه الكثيرون في نسبة أقوال إلى علماء ومفكرين دون توثيق، وهناك أشياء تنقل تبدو للوهلة الأولى غير منطقية وغير قابلة للتصديق في صدها عن هؤلاء، ولهذا من الضروري توثيق المعلومات التي يتم توفيرها للخطباء أو للإعلام الديني عموماً، وعدم ترك المجال مفتوحاً بطريقة فوضوية في هذا السياق، حتى لا يُصبح الخطاب الديني موضع سخرية أو استهزاء.

٢. وفي شيء يشبه هذا الوضع، ما ينقله الكثير من أهل الدين والعلماء والخطباء والإعلام الديني عن شهادات علمية تتعلق بموضوع معين أو بقضية تشريعية، مثل قضايا تتعلق بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم أو ببعض الآثار السلبية أو الإيجابية لبعض المحرّمات أو بعض الواجبات الدينية. وتُسند هذه المعلومات - دون توثيق - إلى العلم الحديث، ولا تجد توثيقاً في هذا الصدد إلا بنسبة الواحد في المائة، الأمر الذي تسبّب - وقد رأينا ذلك - بسخرية بعض الأطباء والفيزيائيين وأهل العلوم الطبيعية الحديثة مما يقوله بعض علماء الدين على المنابر أو ممّا

تقوله بعض الفضائيات.

ومن الضروري وضع حدّ لهذه الكلمات غير الموثّقة علمياً،  
ومن الضروري أيضاً نشر ثقافة الإحالة على المصادر المعتمدة،  
وعدم توهّم جواز الكذب أو التضليل بحجّة أنّني أقوم بخدمة  
الدين أو القرآن الكريم، فدينٌ سماوي أو كتاب إلهي لا يُخدم إلا  
بالكذب حريّاً به أن لا يتشرّف بالانتساب إلى السماء، فلنرفع  
من شأن القرآن والمعصومين بالصدق والدقّة والتأني والتوثيق،  
وباعتدال الروح العلميّة والأمانة الفكرية والثقافية، وهذه مهمّة  
بعض المراكز البحثية التي تهتمّ بتأمين الخطباء وتغذية الإعلام  
الديني بالموادّ الفكرية والثقافية والتعبوية، وهو أن توفرّ البنية  
التحتية والموادّ الموثوقة لهذا الإعلام، بدل أن يترك الحبل على  
الغارب.

وينبغي للناس دوماً - عندما تجد شيئاً من هذا القبيل - أن  
تسأل، وتُشعر الخطباء والكتّاب ورجال الإعلام الديني بأنّ من  
يلقى عليهم الكلام ليسوا حمقى ولا بالسذج، بل بعضهم أكثر  
علماً من الملقّي نفسه، وبهذه الطريقة نفرض على الإعلام الديني  
التقيّد الأخلاقي، ليكون منضبطاً في أدائه إن شاء الله تعالى.

٣. بل لقد بتنا نجد في الفترة الأخيرة تداول العديد من الأحاديث  
المنسوبة إلى النبي وأهل بيته، دون أن يكون لها وجود في أيّ  
كتاب على الإطلاق، لا عند السنّة ولا الشيعة ولا غيرهما، ولا  
عند المتقدّمين ولا المتأخّرين ولا المعاصرين، وكأنّنا نعيش في  
عصر الكذب في الحديث، ربما بحجّة أنّ في ذلك مصالح الدين  
وتقوية تديّن الناس، وهذه ظاهرة غريبة تتداول فيما يبدو على

وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، وينبغي أن يكون لنا الحذر من ذلك، والذبّ عن الدين ومحاربة الدسّ فيه، والوقوف بقوة أمام مثل هذه الأمور التي لا نعرف من يقوم باختلاقها، وخلق ثقافة الإحالة على المصادر حيث يمكن، وبذلك نحمي أنفسنا وديننا من الدسّ والافتراء على الله وعلى النبيّ وأهل بيته وصحابته الكرام.

وقد كان بلغني من بعض الفضلاء الأصدقاء أنّ أحد فضلاء الحوزة العلميّة في مدينة قم يرصد هذه الأحاديث التي تنتشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي ولا أصل لها على الإطلاق (وأشددّ على قيد الإطلاق)، ويقوم بتتبّعها والبحث فيها، نأمل له التوفيق ونشر هذا العمل والاستمرار فيه وتوعية الناس لمثل هذه الأمور، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

٤. وليست هذه الظاهرة - والحقّ يقال - بالتي تخصّ المناخ الديني، فقد رأينا الكثير من المعارضين للدين في عالمنا الإسلامي، ينسبون للعلم حقائق، ويقولون بأنّه اكتشفها وأنها تواجه منطق الدين ومفاهيمه، ثم يبنون على ذلك نقد الفكر الديني أو التشكيك فيه، ويندر أن تجد بين هؤلاء - وقد تابعت شخصياً بعض نشاطاتهم على الشبكة العنكبوتية (الانترنت) أيضاً - من يوثق هذه المعلومات العلميّة، وغالباً ما نعتد في هذا الصدد على التداول الشعبي أو على بعض الصحف غير المحكّمة ولا المعتمدة علمياً، أو على كلمة قيلت هنا أو هناك، والحريّ بنا التوثق من هذه الأمور قبل نسبتها للعلم، وقبل خلق مشكلة مفترضة أو مفتعلة بين العلم والدين في هذا الموضوع أو ذاك،

فالمشاكل القائمة في العالم الإسلامي وبين تياراته كافية، لا تحتاج للمزيد .

إنّ مناخنا كلّه يعاني - مع الأسف الشديد - من البُعد عن الموضوعية العلمية، وعن قواعد القراءة العلميّة للأُمور، لهذا تجدنا فوضويين في تعاملنا مع الأشياء، وغير دقيقين في تعابيرنا، فنضع اليقين مكان الظنّ وبالعكس، ونضع المحتمل أمراً علمياً فيما هو أمر احتماليّ فقط، وكلّ ذلك يحتاج لخلق جيل يعتمد قواعد البحث العلمي بدقّة، وارتفاعه بذلك من المستوى الخطابي التعبوي في معالجة الأمور إلى المستوى العلمي الرصين، وفي ذلك نفع العلم والدين والإنسان إن شاء الله تعالى .

**معنى عزاء الله في حديث:**  
**«يا أختاه تعزّي بعزاء الله»<sup>(١)</sup>**

◆ السؤال: ما معنى قول الإمام الحسين لأخته: «يا أختاه، تعزّي بعزاء الله»؟

◆ الجواب: التعزية تارة تُرجعها للانتماء والنسبة، وأخرى للأمر بالصبر والتصبر:

١. يمكن في تفسير هذه الكلمة أن يكون المراد التعزية من الاعتزاء، وهو في اللغة الانتماء والانتساب والادّعاء، فعزوته إلى أبيه أي نسبته إليه، ومنه العزو الذي يرد في كلمات المؤلّفين والباحثين والكتّاب، أي النسبة والإرجاع إلى مصدر أو مرجع، وقد كانت العرب تتعزّي بعزاء الجاهليّة، فتنسب للقبائل والعشائر والجدود والآباء وتتفاخر بذلك أو تنادي بقبائلها عند المصائب فتقول: واقريشاه، مثلاً. ومنه الحديث النبوي: «من تعزّي بعزاء الجاهلية..»، الوارد في مقام ذمّ التعزية بعزاء الجاهلية.

فإذا أخذنا هذا المعنى اللغوي لجذر الكلمة يصبح معنى التعزّي بعزاء الله هو أن تُرجع الأمور إلى الله وتنسبها إليه، فتقول عند المصيبة: إنّ الله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، وهذا تقدير الله، وهذه إرادة الله .. وأمثال هذه الكلمات، فالنصّ يأمر فيه الإمام الحسين أخته بأن يكون عزاؤها هو عزاء الله، فتنسب الأمور إلى الله تعالى وتُرجع الأقدار إليه، مما يعني الحثّ على الرضا والتسليم بقضاء الله سبحانه وتوجيه

(١) إضاءات ٤: ١٥١

الدعاء إليه .

٢ . وثمة تفسير يذكره مثل الشيخ الطريحي (١٠٨٥هـ)، يرى فيه أن المراد بعزاء الله هو تعزية الله إياه، فأقام الاسم مقام المصدر (مجمع البحرين ١: ٢٩٠)، فكأن المراد الصبر الآتي من الله سبحانه له بتسليته للعبد ودعوته له للتصبر، ولهذا تقول في اللغة: عزيتُ فلاناً إذا أمرته بالصبر، فعزاء الله هو أمره لنا بالصبر عند المصائب. وقد فسره بعضُ بأن المراد بعزاء الله هو ما بينه الله في القرآن في حق الذين تصيهم مصيبة وأثمهم يقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وعليه، فالحسين يأمر أخته بأن يكون عزاؤها هو ذلك العزاء الذي أمرنا به الله تعالى من التصبر وإرجاع الأمور إليه والرضا بقضائه والتسليم. وبهذا يكون المعنيان المحتملان هنا مرجعها إلى أمر واحد تقريباً.

## نطح) الإمام زين العابدين رأسه بالجدار على شهادة والده<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: ما رأيكم بالرواية المروية في كتاب دار السلام للمحدث النوري في ج ٢ ص ١٧٩ من ناحية السند والمتن؟ والرواية هي أنّ شخصاً جاء إلى الإمام السّجّاد عليه السلام، وذكر له مصيبة الإمام الحسين عليه السلام. يقول الراوي: فرأيت الإمام قام على طوله ونطح الجدار بوجهه، فكسر أنفه وشجّ رأسه وسال دمه على صدره، وخرّ مغشياً عليه من شدّة الحزن والبكاء. شيخنا الأستاذ، نقلت الرواية من أحد المواقع الالكترونية التي تروّج لهذا اللون من الروايات؛ لعدم وجود المصدر في يدي، لذلك أرجو بيانكم بشيء من التفصيل، ودمتم موقنين.

◆ الجواب:

بالنسبة إلى هذه الرواية:

١. في حدود إمكانياتي ومراجعاتي، وبعد التّبّع والتّقصّي، لم أجد ذكراً لهذه الرواية في أيّ من كتب المسلمين بمذاهبهم، لا الكتب التاريخية ولا الكتب الحديثية، عدا في كتاب دار السلام للمحدث النوري المتوفّي عام ١٣٢٠ هـ، أي قبل ما يزيد قليلاً عن القرن فقط، وعنه نقل من تأخّر عنه مثل إسماعيل الأنصاري الزنجاني الخوئيني المعاصر، في (الموسوعة الكبرى ٢٢: ٤٨١).

٢. إنّ المحدث النوري رحمه الله لم يتعهّد في هذا الكتاب برواية ما صحّ عنده بالضرورة من ناحية السند والمصدر ووسائل الإثبات الصدوري، فذكره لها لا يُعلم أنّه يرجع إلى اعتقاده

(١) إضاءات ٥: ٢٦٩

بها بالضرورة وبنائه عليها. كيف ومن المعروف أن نصوص ومرويّات هذا الكتاب المخصّص للرؤيا والمنامات وبعض الحكايات والمواعظ الأخلاقيّة الجميلة، لم تستخدم في الإثبات التاريخي والحديثي عند العلماء والفقهاء وغيرهم.

٣. إنّ مطلع هذه القصّة يصدّره المحدث النوري بالجملة التالية: (في بعض المجاميع للمتأخّرين ما لفظه: روي عن علي بن الحسين عليه السلام..)، وهذا يعني أنّ المحدث النوري يترجّح أنّه لم يعثر على هذه القصّة في أيّ مصدرٍ من مصادر المتقدّمين، لا المؤرّخين ولا المحدثين، وإلا لذكر مصدرًا متقدّمًا، فهو خيرٌ له من ذكر مجاميع المتأخّرين.

٤. إنّ المصدر المجهول الذي نقل عنه المحدث النوري هذه القصّة لم يذكر هو الآخر من أين أتى بها، وفقاً لنقل المحدث النوري نفسه، كما أنّه لم يذكر أيّ سند ولا حتّى جزء السند لهذه القصّة، بل صدّرها بكلمة (روي) التي لا تفيد اعتقاد صاحب المصدر المتأخّر نفسه بالصدور أيضاً.

وعليه - وبصرف النظر عن الجدل القائم في مديات صحّة المتن هنا؛ انطلاقاً من فكرة الجزع وغيرها - فهذه القصّة غير ثابتة ولا معتبرة، وهي حدث تاريخي غير مؤكّد، والعلم عند الله.



## ألا يمكن تفسير روايات المشي لزيارة الحسين بالذهاب، لا بخصوص المشي على القدمين؟<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: وردت بعض الأحاديث عن أهل البيت في استحباب زيارة الحسين عليه السلام ماشياً، ألا يمكن فهم هذه الأحاديث بمعنى السعي إليه والذهاب إلى زيارته، مثل قولنا: من مشى إلى المسجد، بمعنى من ذهب إليه، وعليه فيصعب إثبات استحباب المشي على الرجلين للزيارة؟

◆ الجواب: يمكن فهم بعض الروايات بالمعنى الذي ذكرتموه، وهو تفسير تتحمّله هذه النصوص عرفاً، لكنّ بعض الروايات صريح في إرادة المشي على القدمين، بحيث يصعب افتراض مثل هذا التفسير فيه، بصرف النظر الآن عن مدى الصحة السندية في هذه الرواية أو تلك.

ومن هذه الروايات خبر أبي سعيد القاضي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في غرفة له فسمعتة يقول: «من أتى قبر الحسين ماشياً كتب الله له بكل خطوة وبكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل» (تفصيل وسائل الشيعة ١٤: ٤٤١)، وكذلك خبر الحسن (حسين) بن ثوير بن أبي فاختة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حسين، إنه من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام، إن كان ماشياً كتب له بكل خطوة حسنة، ومحى عنه سيئة، فإن كان ركباً كتب الله له بكل حافر حسنة، وخطّ بها عنه سيئة، حتى إذا صار في الحاير كتبه الله من المفلحين المنجحين، حتى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتى إذا أراد الانصراف أتاه ملك، فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤك السلام، ويقول لك: استأنف العمل فقد

(١) إضاءات ١: ٣١٥

غفر الله لك ما مضى» (الصدوق، ثواب الأعمال: ٩١)، فإنّ حساب الحسنات للمشي وفقاً لهذه الرواية سيكون أكبر نظراً لصغر خطوة الإنسان قياساً بخطوة الحيوان، الأمر الذي يفهم منه التفضيل وزيادة الثواب، وإن كان ظاهر الرواية الأوّليّ هو أخذ المشيء فرضاً من الفروض لا الدعوة إلى المشي.

هذا وتفصيل الحديث في الموضوع وتقديم رؤية متكاملة نتركه لمناسبة أخرى.

## ما وجه الربط بين العزاء الحسيني والثورة مع أنّ كل الروايات تطالب بالحزن وليس بأخذ العبر والدروس؟<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: يقول بعضهم: «لقد مشت الأمة الشيعية خلف أئمتها في إقامة مجالس العزاء وندب عزيز الزهراء، وطبقت تعاليمهم بحذافيرها، فضي حوالي ٥٠٠ رواية نقلها الحرّ العاملي في الوسائل تدعو إلى البكاء على شهيد كربلاء، لا أثر لرواية واحدة تربط إقامة العزاء بمواجهة الظلمة تتمةً لثواب العزاء. من هنا وعملاً بأمر المعصوم زاد شعر الرثاء عن غيره، وأضحت الأصاله للعزاء لدرجة أنّ زعم خلاف ذلك يعدّ مكابرة واجتهاد في مقابل التواتر، راجع سيرتنا وستتنا للأميني فإن فيه كفاية لطالب الحقيقة. كما أنّه قد دأبت الأمة الشيعية دائماً على مواجهة الظلمة، مقتديّة بسيد الشهداء، حتى أريقت دماؤها في كلّ أرض وأزخت المسوغات ثوراتها، آخرها ثورة الإمام الخميني العظيم الذي صرّح عشرات المرات بأنّ العزاء ومجالس البكاء هي التي حفظت الإسلام، ودعا إلى اللطم والصراخ وإنشاد شعر العزاء، ووقف بكلّ شدّة في وجه الذين أرادوا إفراغ المجالس الحسينيّة من العزاء، وتحويلها إلى ندوات، مما يدلّ على عدم وجود فاصل إلا وهمي بين العزاء والحماس». ما رأيكم بهذا الكلام؟

◆ الجواب:

أولاً: يبدو لي - إذا صحّ النقل ولم يكن هناك خطأ فيه - أنّ بين أوّل الكلام وآخره بعض التهافت البدوي، ففي البداية هناك حديث عن أنّ أهل البيت لم يشيروا ولا مرّة واحدة إلى ضرورة الاستفادة من الثورة الحسينية للثورة والعبرة، وأنّ المطلوب هو العبرة والحزن

(١) إضاءات ١: ٣٤٠

فقط، وأن الشيعة عملت بهذا عبر التاريخ، أمّا في نهاية الكلام فهناك مدح للإمام الخميني ومن قبله بأنهم اقتدوا بسيد الشهداء وأقاموا الثورات، فإذا كان سيد الشهداء ممّا يمكن أن يكون قدوةً في المجال الثوري ونبراساً، فلماذا لم تشر النصوص إلى ذلك، ولم تبين أنه قدوة لكم لتثوروا، وإنّما اقتصرتم على البكاء والحزن وأمثال ذلك؟!!

يبدو لي أنّ النصّ المنقول لا يريد إنكار إمكانية الاستفادة من الحركة الحسينية في هذا العصر ثورياً وسياسياً مثلاً، بقدر ما هو رافض لتحويلها من جانب الحزن لتصبح مادةً بحثية فقط، كما يلوح من آخر الكلام، وهذا كلام لا أظنّ وجود من يناقش فيه إلا نادراً، فالإقرار بضرورة بقاء الجانب العاطفي كأنّه متفق عليه بين الجميع.

ثانياً: من قال بأنّه حتى نستفيد من ثورة الحسين لأجل الثورة على الظلم اليوم، يجب أن تكون عندنا رواية خاصة، فإنّ الفقهاء الذين وظّفوا دليل الثورة الحسينية لجعله مستنداً لتجوز الثورات اعتبروا ذلك، استناداً إلى عمومات حجّية فعل المعصوم، بل حتى لو لم تدلّ الثورة الحسينية على شرعية الثورة ضدّ الأنظمة، هناك أدلّة أخرى، والذين استدّلوا على شرعية الثورة لم يستدلّوا فقط بالثورة الحسينية، بل ذكروا - حسب تتبّعي - حوالي خمسة عشر دليلاً آخر.

وفي بحثي حول الثورة الحسينية توصلت إلى أنّ إمكانية الاستفادة من الثورة الحسينية في شرعنة الثورة الدموية محدودة جدّاً، فراجع كتابي (دراسات في الفقه الاسلامي المعاصر).

ثالثاً: إذا لم تنصّ الروايات الخمسة على الحث على الاعتبار من حركة الإمام الحسين، فيكفي العمومات الدالّة على التدبّر في سيرتهم وسنتهم واعتبارهم مرجعاً للأمة فيما يقولون وفيما يفعلون،

ويكون ذلك نوعاً من إحياء أمرهم. ونصوص البكاء عليهم وإن لم تثبت ذلك لكنّها لا تنفيه حتى تشكّل معارضاً لاستحضار العبرة والاعتبار في مجالس العزاء الحسينيّة.

رابعاً: حبّذا لو يكتب أحدٌ في أنّه متى وظّف فقهاء الشيعة الإمامية ثورة الحسين في الحياة السياسية قبل القرن العشرين وقبل الإمام الخميني رضوان الله عليه، كي تثبت دعوى الكلام المتقدّم أعلاه، فإنّني لا أنفيه لكننا بحاجة لدراسته بطريقة تاريخية موثقة.

خامساً: لم يقل أحدٌ أنّ تماميّة الثواب على البكاء مشروطةٌ بالثورة على الظلم أو بعقد الندوات واللقاءات الفكرية حول الإمام الحسين، فالبكاء فيه ثوابٌ، والاستفادة من البكاء لفعل خيرٍ آخر - وهو إصلاح أمور المسلمين ومواجهة الظلم - فيه ثوابٌ إضافي، فلا ربط بين الأمرين. إنّما الإشكال يأتي من أنك تبكي وتفعل الخير ببكائك هذا، وتستطيع أن تستفيد من هذا الخير في خيرٍ آخر، وهو توظيف البكاء في التغيير الاجتماعي، ولكنك لا تفعل، فتطالب بالزيد من الخير، لا أنك تُدَمِّ على فعل الخير الأوّل، وهو البكاء، فهذا أشبه بشخص قادر على أن يجني من فعل واحد خمسة دنانير، ولكنه يكتفي بدينار واحد، مع حاجته العظيمة جداً إلى الخمسة معاً؛ فإنّ العقلاء لا يذمّونه على أخذه الدينار، بل يعاتبونه على تفويت الأربعة الأخرى التي يحتاج إليها أيضاً؛ للصرف على الفقراء وعلى عياله. فإذا أمكنني أن أستفيد من مجالس العزاء البكاء والثورة والفكر معاً، فإنّ اقتصاري على عنصر واحد أمرٌ مذموم؛ لأنّني أحتاج للجميع، نعم أن يكون العنصر الآخر على حساب الأوّل المنصوص عليه فهذا غير صحيح. ولعلّ كلّ ما قلناه هو مراد صاحب النصّ المشار إليه أعلاه.

## زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: يستدل البعض على صحة رواية الأربعين وغيرها من الروايات الواردة في شأن زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين، بالقول: إن هذه الروايات مشهورة بين الفقهاء ولو المتأخرين منهم. ما مدى صحة ذلك؟

◆ الجواب:

لم أعر - فيما يتعلق بزيارة الأربعين - إلا على ما يلي:

الرواية الأولى: ما عن أبي محمد العسكري عليه السلام، أنه قال: «علامات المؤمن خمس: صلاة الخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم». وهذه الرواية وردت في كتاب مصباح التهجد للشيخ الطوسي ص ٧٨٨، وكذلك في تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٥٢، وهذا أقدم مصدر لها، وهي رواية مرسلة، بل لا سند لها أساساً؛ لأن الشيخ الطوسي قال: (رؤي)، وبين الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ والإمام العسكري عليه السلام المتوفى سنة ٢٥٥ هـ، حوالي ٢٠٠ عام تقريباً، فلا تكون الرواية معتبرة سنداً، ولم يقل أحد من العلماء المحققين في الرجال والحديث بصحة مراسيل الشيخ الطوسي.

هذا، وقد أورد المشهدي (في كتاب المزار: ٣٥٢) هذه الرواية قائلاً: وبالإسناد عن أبي هاشم الجعفري، عن أبي الحسن العسكري.. والمشهدي نفسه لم تثبت وثاقته عند مثل السيد الخوئي، ولم نعرف إسناده إلى الجعفري.

الرواية الثانية: خبر صفوان الجمال، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:

(١) إضاءات ١: ٤١٣

قال لي مولاي الصادق عليه السلام: «في زيارة الأربعين تزور ارتفاع النهار،  
وتقول: السلام على وليّ الله وحبّيه.. وذكر الزيارة، إلى أن قال  
:- وتصلّي ركعتين، وتدعو بما أحببت، وتنصرف» (راجع: تفصيل  
وسائل الشيعة ١٤: ٤٨٧ - ٤٧٩).

وهذه الرواية أوضح دلالةً من الأولى؛ لأنّ الأولى قد يتوقف في  
المقصود من الأربعين فيها، هل الأربعين مؤمن أو أمر آخر؟ (وإن  
ناقش بعضهم في هذا التوقّف من حيث إنّّه لو قصد أربعين مؤمناً  
لكان ينبغي أن يقال: زيارة أربعين، وليس: زيارة الأربعين)، بينما  
الثانية ليست كذلك على الإطلاق.

ولكنّ الرواية الثانية ضعيفة السند أيضاً؛ لأنّ فيها محمد بن  
علي بن معمر، وقد حاول بعضهم توثيقه بأنّه من مشايخ الكليني  
وهذا لا يثبت توثيقاً، أو بأنّه من مشايخ الإجازة، والأمر كذلك،  
أو بأنّ ابن النديم عدّه من جملة من تحدّث عنهم من فقهاء الشيعة  
ومشايخهم (فهرست ابن النديم: ٢٧٨)، وهذا ليس بدليل؛ لأنّ  
المدح بالعلم لا يفيد التوثيق، كيف وقد عدّ ابن النديم هناك سهل  
بن زياد الأدمي الذي ورد تضعيفه صريحاً في كلمات غير واحد من  
علماء الإماميّة القدامى، وابن النديم ليس بصدد التوثيق، بل هو  
بصدد ذكر من له تصنيف من الشيعة، وقد حقّقنا في محلّه أنّ مطلق  
المدح لا يوجب تصحيح السند، بل لا بدّ أن يكون مدحهم للراوي  
من جهة وثاقته أو بما يرجع إلى تصحيح نقله، وإلا فلو قالوا: فلان  
متضلع في اللغة، فهو وإن كان مدحاً لكنّه لا يوجب حجّية نقله في  
مجال الحديث.

ولهذا خالفنا ما ذهب إليه السيد الخوئي في قوله بحجّية الحديث

الحسن، وقلنا لا بد من التفصيل فإن رجوع المدح إلى جهة النقل صار الحديث معتبراً وإلا فلا، وقد نقل لي بعض حضّار درس الشيخ الوحيد الخراساني حفظه الله تعالى مؤخراً أنّ سماحة الشيخ أشكل على السيد الخوئي بهذا الإشكال أيضاً في مسألة حجّية الحديث الحسن .

ويضاف إلى مشكلة ابن معمر وجود علي بن محمد بن مسعدة في السند وهو مهمل، وإن كان إهماله لا يضرّ بصحة الرواية؛ لأنّ الحديث روي عنه وعن ابن فضال معاً. كما أنّ هناك في السند سعدان بن مسلم، وهو مجهول الحال، وقد وثقه السيد الخوئي بناء على ورود اسمه في كتابي كامل الزيارة وتفسير القمي ولم يثبت صحّة هذين القولين في التوثيق، كما أنّ القول بأنّ سعدان بن مسلم هو نفسه عبد الرحمن بن أبي نجران (واسمه عمرو بن مسلم) لم نعثر له على وجه يصحّحه، فلم يتعرّض لذلك أحد من علماء الرجال القدامى، كيف وقد ترجم الشيخ الطوسي والنجاشي لهما معاً بترجمتين فيبعد أن يكونا شخصاً واحداً، فنستنتج من ذلك أنّ الرواية ضعيفة من حيث السند.

الرواية الثالثة: ما جاء في المصباح وغيره: «في يوم العشرين من صفر كان رجوع حرم الحسين عليه السلام من الشام إلى مدينة الرسول، وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله الأنصاري إلى زيارة الحسين عليه السلام وهو أوّل من زاره من الناس» (الطوسي، مصباح التهجد: ٧٨٧؛ والمفيد، مسار الشيعة: ٤٦).

وهذه الرواية مرسلة، بل يمكن القول بأنها لا سند لها في كلا المصدرين. وبصرف النظر عن السند فإنّ الرواية تتكلّم عن



مصادفة مجيء حرم الإمام الحسين من الشام إلى المدينة المنورة مع وجود جابر الأنصاري عند الإمام الحسين في كربلاء، أمّا هل أنّ ذلك سنّة شريفة شرعية واضحة ينبغي الاستمرار عليها إلى يوم القيامة بهذا التوقيت، فهذا ما يحتاج إلى دليل، إذ الرواية لا تتحدّث عن هذا الموضوع لا من قريب ولا من بعيد.

هذه هي النصوص التي عثرتُ عليها في هذا الموضوع، وقد وجدت بعض الكتّاب المعاصرين يستدلّ بأنّ فعل الإمام زين العابدين عليه السلام وجابر بن عبد الله الأنصاري هو فعل معصوم، ليستدلّ به على الاستحباب، إلا أنّ هذا الكلام فيه شيء من الغرابة؛ لأنّ المعصوم يدلّ فعله على الجواز لا الاستحباب كما حقّقه علماء الأصول، إلا إذا قامت قرينة، من قبيل تكرّر الفعل، كما أنّه لو كان المعصوم في سفر مثلاً وصلّى، فإنّ ذلك لا يدلّ على استحباب الصلاة في تلك اللحظة، بل الاستحباب المطلق الذي لا مخصّص له، وهنا البحث في خصوصيّة الأربعين لا في استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام ولو في يوم الأربعين، فهذا ممّا لا شك فيه من الروايات المتواترة الكثيرة.. والكلام كلّه في ما لو كانت الروايات الواردة في التخصيص بالأربعين بعنوانه ثابتة، إلا أنّها غير صحيحة السند كما رأينا.

وأما ما ذكرتموه في سؤالكم، من أنّ ذلك يمكن الاستدلال عليه بالشهرة بين المتأخّرين، فإنّ الشهرة - بغضّ النظر عن النقاش في أصل حجّيتها - لا تشمل، كما هو المعروف بين المحقّقين، الشهرة القائمة بين خصوص المتأخّرين، حيث لا تكشف عن الموقف الشرعي.

وبناءً عليه، نستنتج أن زيارة الأربعين بعنوانها لا يمكن توثيقها عن طريق الروايات، التي لا تتجاوز على أبعد حدّ الثلاث روايات، الأولى ليس لها سند وهناك من يناقش في دلالتها، والثانية في سندها ثلاثة مجاهيل، والثالثة لا دلالة لها على الموضوع أساساً، ولا يجرز عمل الفقهاء بهذه الروايات من غير باب قاعدة التسامح حتى يكون عملهم جابراً لضعفها السندي، بناءً على قاعدة الجبر السندي.

نعم، يمكن الاستدلال بعمومات زيارة الإمام الحسين عليه السلام والواردة بالتواتر، فيزور المرء في العشرين من صفر بنية الفعل المستحب، دون أن يقصد تعنون الزيارة بعنوان خاص، اسمه زيارة الأربعين، اللهم إلا إذا بني على قاعدة التسامح فيؤخذ بالرواية الثانية، من حيث اشتراط جريان القاعدة بوجود دلالة، الأمر الذي يتوقّر بشكل أوضح نسبياً في الرواية الثانية، إلا أن قاعدة التسامح لم تثبت وفاقاً للسيد الخوئي.

وأما القول - على ما نقل - بأن زيارة الأربعين مأخوذة من اليهود، فهذا ما لم يثبت بدليل، وحتى لو تشابهنا مع اليهود في ذلك فلا يكون هذا بنفسه دليلاً على أنها تسربت منهم إلينا، بما يفضي إلى نوع من تشويه صورة زيارة الأربعين، ما لم يقيم دليل على ذلك، إذ المشتركات بين الإسلام واليهودية والنصرانية ليست بالقليلة، فالقضية في تقديري تابعة للأدلة، والأدلة لم تنهض على استحبابها بعنوانها، لكنّها لا تمنع عن الزيارة في هذا الوقت أخذاً بالعمومات وقصداً لرجاء المطلوبية.

وكلمتي الأخيرة أقولها: لا داعي للإصرار على إبطال بعض الأمور الحسنة في حدّ نفسها وكأنّه يراد تهديم الشعائر والأعراف،

وأرى استبدال ذلك بتوضيح حيثياتها الشرعية للناس، ليعرفوا أنّ القصد يكون للعنوان العام لا للخاص، إلى جانب كفّ الطرف الآخر عن اتهام من يريد أن يناقش في هذه الأمور بطريقة علمية والتشكيك في تدينه وعقيدته، وبدل ذلك كله هذا لو نفكر جميعاً في كيفية وضع برامج نهضوية واعية توعوية وتبليغية، لتحويل زيارات الإمام الحسين عليه السلام - وغيرها - إلى مؤتمر إسلامي شعبي واسع لكلّ المؤمنين الحاجّين إليه من أرجاء المعمورة، فتزدان الطرقات المكتظة بالزوار بمحافل الأدب والشعر والنثر الحسيني والثوري، وبالبرامج الدينية والاجتماعية، وبحلقات التوعية الثقافية، وبجلسات العبادة والروحانية، وبلقاء المرجعيات والشخصيات الكبيرة مع الناس والجماهير، تستمع همومها وقضاياها وتتواصل معها وتعظها وتوجهها، كما كانت عادة أئمة أهل البيت في كلّ عام في الحجّ والعمرة... إنّ هذا الأمر بات ضرورةً لليوم للمزيد من الاستفادة من هذه المناسبات الدينية، وعدم تركها تمرّ دون أخذ أقصى أشكال التزوّد منها للجميع.

إنّنا بحاجة إلى المزيد من ترشيد مناسباتنا الدينية وتأمين أفضل توظيف نافع لها لقضايانا الاجتماعية والسياسية والأخلاقية اليوم، والحيلولة دون تحوّلها إلى مجرد عادات لا تحوي مضمونها أو طقوس وبروتوكولات نمرّ عليها مرور الكرام، فيصير حالنا - والعياذ بالله - كحال الصائم الذي وصفه الحديث النبويّ الشريف بقوله: «ربّ صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش».

## حكم الصور المنسوبة للمعصومين

### والمنتشرة في الأسواق<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: ما هو حكم الصور المنتشرة بين الناس والتي يدعى أنها صور بعض الأئمة عليهم السلام أو أبي الفضل العباس؟ فهل هي ثابتة؟ وهل يجوز تصويرها أو اقتناؤها أو المتاجرة بها؟

◆ الجواب: هذه الصور قد تكون مستوحاةً من بعض الأحاديث والنصوص التاريخية التي تتحدث عن توصيف النبي صلى الله عليه وآله أو أحد من أهل البيت أو بني هاشم أو الصحابة أو غيرهم. وثبتت تلك الروايات في حدّ نفسه يحتاج إلى كلام في مدى دقّة تلك النصوص في التوصيف الذي يسمح برسم صورةٍ على أساسه، ومدى إمكانية الوثوق بها. ولهذا من الصعب جدّاً نسبة هذه الصور إلى أحد من المتقدمين معصوماً أو غيره، وربما تكون فيها بعض عناصر القرب من الصورة الحقيقيّة، فلا يصحّ التعامل معها على أنّها صور حقيقية معبرة عن واقع الشخصية التي تحكي عنها.

واعتماد الرّوى والمنامات هنا باعتبار أنّ «من رأي فقد رأي، فإنّ الشيطان لا يتمثل بي» لا وجه له أيضاً، على تفصيل في محلّه، ولهذا لم يفتّ جمهور الفقهاء بحجّة الرّوى والمنامات التي يفتي فيها الإمام بحكم شرعي للنائم (انظر على سبيل المثال: العلامة الحلي، أجوبة المسائل المهنية: ٩٧ - ٩٨؛ والخوئي، صراط النجاة ١: ٤٦٨).

أمّا صنعها، فلا بأس به، بصرف النظر عن قضية تصوير ذوات الأرواح، وكذلك الحال في المتاجرة بها أو اقتنائها أو غير ذلك،

(١) إضاءات ٢: ٣٠٩

والعبرة في ذلك كله هو أن لا يكون هذا الأمر موجباً لهتك حرمة صاحب الصورة حيث لا يجوز ذلك، وتشخيص هذه المسألة شأنٌ شخصي، يمكن لأيِّ إنسان أن يجدّه ويرى هل أن ذلك يوجب إهانة صاحب الصورة بحسب العرف العام أم لا، حتى لو اختلف تشخيصه عن تشخيص مرجع التقليد أو أيِّ فقيه آخر.

بل إنَّ لعب أدوار المعصومين أو غيرهم في المسلسلات أو الأفلام السينمائية والأعمال التلفزيونية والمسرحية وغيرها هو أيضاً يخضع - شرعياً - لهذا المعيار نفسه، وهو أن لا يصاحبه أو يلزم منه محرّم ولا يكون فيه هتكٌ لحرمة أحد المعصومين عليه السلام أو لكلّ من لا يجوز هتك حرمة، بلا فرقٍ في ذلك بين الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فضلاً عن غيرهم مثل أبي الفضل العباس أو عليّ الأكبر أو غيرهما. وليس في هذه المسألة نصوص ثابتة يرجع إليها، وإنّما تكون محكومةً لهذه المعايير العامة وأمثالها.





القسم الثاني  
عاشوراء وفقه العزاء





## استفهامات حول الجزع والظواهر المفرطة في العزاء الحسيني<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: هل يوجد فعلاً من غير الشيعة، من السنّة وأديان آخر من يهتمّ بالشعائر الحسينيّة؟ وما هو الميزان في موضوع الشعائر أنّ فلاناً عنده إفراط أو تفريط؟ وهل يعتبر بكاء النبي يعقوب عليه السلام على النبي يوسف عليه السلام من مصاديق الجزع؟ وهل قول: «لأبكينّ عليك بدل الدموع دماً»، يدلّ على جواز التطبير وأمثاله؟ وهل يمكن أن تكون الزهراء عليها السلام قد أزعجت أهل المدينة بكاءً على أبيها؟ وأليس الجزع حالة عضوية لا يكون الإنسان في وعيه الكامل حينها وتكون خالية من القصد؟ وقد لا يكون اللطم محرماً ولكنّه غير مستساغ عند غير الشيعة، بل عند بعض الشيعة أيضاً، ألاّ يوجب ذلك تغيير الحكم؟

◆ الجواب:

١. لا علم لي بوجود غير الشيعة ممّن يهتم بهذه الشعائر، ولكن ليس من البعيد وجود بعض السنّة من التيارات الصوفيّة، وقد سمعت أنّ بعض أهل الكتاب في إيران يتفاعلون ويمارسون هذه الشعائر.
٢. إنّ الميزان في الإفراط والتفريط هو الاحتكام إلى الدليل الشرعي والعقلي بعناوينها الأولى والثانوية، وحساب المصالح والمفاسد، وليس هناك ميزان نهائي وحاسم، وإنّما هي اجتهادات تخضع للنسيبة كلّ حسب ما يرى الأمر.
٣. لا يعتبر بكاء يعقوب جزعاً في حدّ نفسه ما لم يدلّ شاهد على

(١) إضاءات ٢: ٤٢٢

ذلك؛ لأنّ الجزع هو ضدّ الصبر، ولا يمكننا أن نجزم بحصول هذه الحالة ليعقوب؛ لأنها تتبع الوضع القلبي الذي يظهر في الجوارح، ومن ثم فقد يكون يعقوب باكياً بهذه الدرجة دون جزع، تماماً مثلنا نحن حيث نبكي كثيراً دون أن يلازم ذلك حصول الجزع، وإن كان الظاهر قرينة على الباطن.

٤. إنّ التعبير الوارد في الرواية عن الإمام المهدي عليه السلام، لا ربط له بقضايا التطبير، فإنّ هذه التفسيرات ذات عجمة واضحة، لا يفهمها العربي بهذه الطريقة، إذ هذه الجملة تعني المبالغة في الحزن، لا الجزع ولا تطبير الرؤوس وأمثال ذلك، تماماً كما يعبر المثكول والحزين والمتحرّق الوجدان والقلب، فلا أفهم منها - وفقاً للبلاغة والدلالات العربية - غير هذا، وإلا لزم من المستدلّ هنا أن يفتي بجواز - بل برجحان - جرح العين! وأن يُعمي كل واحد نفسه في عاشوراء!

٥. إنّ رواية بكاء الزهراء - على تقدير صحّتها وثبوتها تاريخياً - يمكن تفسيرها بأن بكاءها بهذه الطريقة كان جزءاً من مشروع إيقاظي لمسلمي المدينة المنورة لتحريك ضمائرهم، وإلا فمن دون مثل هذا الافتراض سيغدو التبرير صعباً.

٦. الجزع حالةٌ قلبية قد تظهر على الجوارح، ولهذا لا معنى للجزع في الجوارح إذا كان القلب في غير حالة الجزع؛ فإذا ضرب الإنسان رأسه بالسيف مثلاً دون أن يكون قلبه في حالة انهيار عاطفي، بل لمجرد الأداء الاستعراضي مثلاً، فهذا ليس جزءاً، بل صورة جزع ظاهريّة؛ لأنّ الجزع من مقولات القلوب.

نعم، قد يقول فقيهٌ بأنّه إذا جاز الجزع واستحبّ فإنّ إظهار ما

يوحى بالجزع يكون مثله بوحدة المناط، فإذا أحرزت الوحدة فلا بأس وإلا فيصعب التعميم.

٧. إنَّ كون التطبير أو اللطم العنيف غير مستساغ عند الناس، لا يضرّ بجوازه ولا باستحبابه لو ثبت؛ فإنَّ عدم كونه مستساغاً لا يغيّر من أحكام الله شيئاً، ما لم يبلغ رتبة تحقّق عنوان ثانوي بشكل يقيني ومحرز يفرض المنع.

## مدى الحاجة للسؤال عن شرعية الطقوس

### الشعبية الدينية غير المخالفة للدين<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: قرأت ما كتبتموه حول سؤال وردكم بخصوص توثيق زيارة الأربعين. وفي رأبي المتواضع إنه لا يوجد دين مجرد من ممارسة أتباعه لمجموعة من العقائد والطقوس الشعبية التي لم ينص عليها بنحو الخصوص في ذلك الدين، فإن كانت هذه العقائد والطقوس مما ينسجم مع القواعد والأطر العامة في ذلك الدين اكتسبت شرعيتها من تلك القواعد والأطر، وإن كانت مخالفة لتلك القواعد والأطر اعتبرت بدعة. وإذا افترضنا ديناً لا يمارس أتباعه هذا النمط من العقائد والطقوس، فهذا لا يدل على وعي اتباع ذلك الدين، بل يكشف عن عدم تغلغل ذلك الدين في وجدان الناس ومشاعرهم وعواطفهم. قبل مدة كنت حاضراً في جلسة مع مجموعة من أتباع المدعو أحمد الحسن الذي لقب نفسه بـ (اليماني)، وقبل أن تتفرق أسمعني أحد أتباعه نشيداً من جهاز الموبايل يعبر فيه المنشد عن مشاعره وعواطفه تجاه الدعوة وصاحبها، فالتفت إلى صاحبي وقلت له: هذا يعني أن دعوة هذا الرجل قد أصبحت من العقائد الشعبية، ولم تعد نظرية أو فكرة. ولعل مما يعد من الممارسات الدينية الشعبية ذلك النشيد الذي حفظه لنا التاريخ عندما وصل النبي ﷺ إلى المدينة: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع، فقد كان هذا ممارسة دينية شعبية بحتة، ولم يخطر في بال ذلك المجتمع أنه لا بد أن يسأل عن شرعية هذه الممارسة، كما أن النبي ﷺ لم ينههم. والحمد لله والحق يقال: إن مذهبنا لا يجمد على النصوص ويسمح للناس بممارسة الشعائر والعقائد الشعبية ضمن القواعد والأطر الشرعية، وهناك الكثير من المرونة في كيفية التعااطي

(١) إضاءات ٢: ٤٣٢

مع التراث، ولسنا نعاني من الإشكاليات التي يعاني منها غيرنا، ويخطأ من يسحب إشكاليات الفكر السنّي ويعمّمها على الفكر الشيعي. نحن نسمع بأخباركم من بعض الإخوة ونقرأ لكم، قرأنا لكم كتاب نظرية السنّة والتعددية الدينية وبعض بحوثكم، ونشيد بأسلوبكم المعتدل في معالجة الإشكاليات العقائدية والفكرية.

♦ الجواب: بعد شكركم أخي الكريم على رسالتكم الطيبة هذه، أوّد أن أبدي موافقتي المبدئية على روح ما طرحتموه، والذي لا يتنافى - في قسم كبير منه - مع ما جاء في جوابي عن السؤال المشار إليه أعلاه، لكن لديّ بعض التعليقات الطفيفة، وهي:

أولاً: لم يقل أحد من الفقهاء أو علماء الدين فيما نعلم بأنّ الممارسات الشعبية إزاء القضايا الدينية يجب أن تكون منصوصة بعينها، ولم يقل أحد بلزوم أن نرجع للدين في التعبير عن تعاطفنا مع القضايا الدينية أو غيرها، كلّ ما في الأمر أنّه يجب التنبّه لمسألتين:

المسألة الأولى: أن لا يكون أسلوب تعبيرنا العاطفي والتفاعلي مع القضية الدينية أو غيرها مخالفاً للدين نفسه ولقيمه ومبادئه ونصوصه، فإنّ الله لا يُطاع من حيث يُعصى، كما أطبق على ذلك الفقهاء المسلمون فيما نعلم.

المسألة الثانية: أن لا نعتبر هذا النوع من التفاعل العاطفي أمراً دينياً، فهناك فرق بين أن أتفاعل عاطفياً مع مسألة دينية بطريقتي الخاصة النابعة من ثقفتي، وهذا حقّ مشروع لي وللجميع، وبين أن أعتبر أنّ هذه الطريقة التفاعلية الخاصة منسوبة للدين، فإنّ هذا تشريع على الله، ولو ألقى إلى الناس ليعملوا به لكان بدعة (على الخلاف في تمييز فكرة البدعة عن فكرة التشريع، والمطروحة في

كلمات كبار العلماء، لاسيما المحقق النراقي رحمه الله).

فمن حَقِّي أن أسافر إلى مكّة للعمرة بالطائرة، ومن حَقِّي أن أجعل ذلك عادةً شعبية، لكن ليس من حَقِّي أن أحلق في الوعي الشعبي ثقافة مستبظنة توحى بأنّ هذا النمط من الذهاب إلى مكّة هو نمط ديني، فالقضية ليست في الفعل فقط، وإنّما في مديات نسبه للدين نفسه، فعندما يذهب الناس إلى زيارة الإمام الحسين في الأربعين، فهذا لا إشكال فيه، بل هو مشمول للعمومات الداعية لزيارته سلام الله عليه، لكن أن أعتبر أنّ زيارة الأربعين بعنوانها أمر ديني فهذا لا يقبل به الفقهاء، إلا إذا أقمنا شاهداً على أنّ الشريعة تعتبر زيارة الأربعين - بوصفها زيارة الأربعين، لا بوصفها مطلق زيارة - أمراً دينياً، فليلاحظ ذلك جيّداً.

ثانياً: إنّ ما فعله المسلمون الأوائل لدى وصول النبي إلى المدينة كان أمراً رائعاً، حيث استقبلوه بالأناشيد والترحاب، وهذا لا بأس به، بل هو مشمولٌ لاحترام النبي وتقديره وتعظيمه ومحبّته وغير ذلك، لكن لم يكن يخطر في بال المسلمين الأوائل أيضاً أنّ هذا النشيد هو أمر ديني بعنوانه، أي أنّ نشيد (طلع البدر علينا) هو نشيد ديني، وأنّ قوله يعدّ أمراً منصوفاً عليه في الدين، فهناك فرق - كما درستم سماحة الشيخ في أصول الفقه، وأنتم إن شاء الله أعلم منّي بذلك - بين ثبوت الحكم على العنوان العام وشموله بشكل تلقائي للمصداق الخاص، وبين جعل مصبّ الحكم على العنوان الخاص، فإنّ الثاني لا يثبت بالأول كما قال الأصوليون. ولو أنّ المسلمين الأوائل أنشدوا هذا النشيد بوصفه - بعنوانه - أمراً دينياً، لربما قال لهم النبي ﷺ: إنّ المسألة ليست كذلك، لكن لأنّ وعيهم كان ينطلق

من مطلق العناوين العامّة لم يقف النبي عند فعلهم، بل ربما اعتبره مستحسناً .

إنّ وضع جملة (الصلاة خير من النوم) مشمول لعمومات الدعوة إلى الحقّ والخير، لكن عندما توضع في الأذان بوصفها في الوعي الشعبي أمراً دينياً بعنوانه الخاصّ - بصرف النظر عن حذف جملة كانت مكانها، وبصرف النظر عن مسألة توقيفية الأذان وعدمها - فإنّ هذا الأمر لن يكون مقبولاً. وهكذا الحال في صلاة التراويح، فإنّها بصرف النظر عن مشروعية أو عدم مشروعية الجماعة في النوافل، مشمولة لعنوان «الصلاة خير موضوع»، لكن عندما نخلق في الوعي الشعبي ثقافة تجعل هذه الصلاة بعنوانها أمراً دينياً ومقولاً شرعياً خاصاً فإنّ الأمور تختلف، فلا بدّ لي هنا في هذين المثالين من أن أقيم شاهداً شرعياً خاصاً على المسألة، وإلا لزمني أن أدد الوعي الشعبي المغلوط فيها.

إنّ فهم فكرة الابتداع بالغ الأهميّة، ولهذا من الضروري - كما قلت في جواب سؤالي الذي أشرت إليه أعلاه - أن نوضح دائماً للوعي الشعبي طبيعة الأمور، حتى لا نخلق في ذهنه مفاهيم دينية غير صحيحة، فنقع في مشاكل شرعيّة، وإلا فقد لا نجد مصداقاً للبدعة في مجال الأمور العملية عبر التاريخ إلا ويكون مشمولاً لعمومات والمطلقات. هذا كلّ ما في الأمر.

ثالثاً: من الطبيعي أنّ الدين يظهر بقوة في الطقوس والشعائر، وكلّ دين - لو نلاحظ - جعل لنفسه طقوسه وشعائره، وهذا أمر واضح لا نقاش فيه، لكنّ السؤال: هل قصر الدين الإسلامي في صنع شعائر لنا حتى نزيد على شعائره شعائر؟ فالدين جعل الحجّ والعمرة وكلّ

تفاصيلهما من الشعائر والعادات الشعبية، وكذلك جعل الأعياد وصلواتها، والصوم وشهر رمضان، وزيارة مراقد النبي وأهل بيته، وصلاة الجماعة والجمعة، وكذلك المساجد وإحياءها، وقراءة القرآن وغير ذلك.. جعل هذا هو مظاهر طقوس الإسلام الدينية، ولم يقصّر الإسلام في جعل الطقوس لنفسه ولأتباعه، بل صاغ لهم نظام عادات دينية شعبية كثيرة جداً، فلسنا بحاجة لأن نضيف لعاداته وشعبياته وطقوسه وأعرافه عاداتٍ وشعبياتٍ وطقوساً وأعرافاً.

الموضوع يكمن هنا، هل نشعر بالتركرار من الطقوس التي وضعها الإسلام، بحيث فقدت قوتها الروحية حتى بنتنا نقوم باصطناع طقوس جديدة لنقوي إيماننا، أم أنّ المشكلة في أننا قصّرنا في التعاطي مع تلك الطقوس التي وضعتها الشريعة الإسلامية وضعاً كاملاً ونريد أن نعوض عن تقصيرنا بخلق عادات جديدة تتفاعل معها من منطلق أنّ كل جديد يخلق في النفس فرصة تفاعلٍ جديدة؟! إنني ألاحظ بنظري القاصر أنّ الفترة الأخيرة بدأت تخلق عادات وطقوس جديدة غير منصوصة بنفسها، وتتعاظم بها حدّ تصاغر الطقوس الأصليّة المنصوصة أمامها في الوعي الشعبي، وهي إن لم تكن مخالفةً للدين فلا بدّ أن لا تتعامل معها على أنّها أمراً دينياً منصوصاً بعنوانه، بحيث لو أنّ شخصاً عارضها وطالب باستبدالها بوسيلة تعبيرية أخرى لما حقّق لنا أن نقول له بأنّه يعارض الدين؛ لأنّه في الحقيقة لا يعارض الدين (حيث لا نصّ عليها بعنوانها) بل يعارض تعبيرنا البشري عن التفاعل مع الدين وتطبيقنا الإنساني للقواعد العامّة عليه، وهنا مركز الخلاف.

إنّ من المنطقي أن نسعى - من حيث المبدأ - لتطوير طرائق تفاعلنا



تبعاً للظروف الموضوعيّة، لكنّ هذا لا يعني أنّ نخلع على طرائق  
تفاعلنا سمة (الدينية) بحيث يبدو أيّ سعي لإجراء تغيير يتناسب  
مع ظروف مختلفة فعلاً ابتداءً أو حرباً على الدين والقيم والعقائد.

## ما هو رأيكم الشخصي في التطبير؟<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: ما هو رأي سماحتكم في شعيرة التطبير؟

◆ الجواب: لم يثبت عندي - بنظري القاصر - كون التطبير شعيرة أو مستحباً، لا بالعنوان الأوّلي ولا بالعنوان الثانوي، فضلاً عن وجوبه بأحد العنوانين، بل رجحانه غير ثابت أساساً، ولم ترد فيه نصوص خاصّة معتبرة. أمّا القول بتحريمه بملاك الضرر فلم يثبت عندي، وأمّا تحريمه بالعناوين الثانوية، فلا أجزم به، وإن كنت أميل إليه جدّاً في حالة كونه ظاهرة عامّة علنيّة. لكنني أراه - التطبير وأمثاله - مرجوحاً جدّاً، وأدعو لتوعية ثقافية في كيفية الرقيّ بممارساتنا الطقوسية بما يتناسب والقيم الدينية والأخلاقية والحضارية العليا، وبما يتناسب مع المصالح النوعية للإسلام والمسلمين، والعلم عند الله.

(١) إضاءات ٣: ٢٦٢

## الموقف من نهى من يقلد القائل بحرمة التطبير شخصاً يقلد القائل باستحبابه<sup>(١)</sup>

◆ السؤال:

١- إذا كانت هناك مسألة خلافية بين الفقهاء بين الحرمة والاستحباب.. ثم يقوم بعض المؤمنين - بنية النهي عن المنكر- بنهي الموالين عن هذا العمل، وفق رأي مرجعهم الذي يحرم هذا الفعل، مع علمهم بأن بعض هؤلاء المقلدين يقلدون مرجعاً يستحبّ عنده هذا الفعل، فهل فعلهم هذا من مصاديق النهي عن المنكر؟ أم أنّ فعلهم هذا هو بنفسه منكرٌ أساساً لأنهم يعلمون أنّ المقلدين من عامة الناس ليست الحجّة عليهم سوى فتوى مرجعهم فقط؟

٢- هل يجوز لمن يرى حرمة التطبير أن ينهى من يقلد القائل بالاستحباب عن التطبير أم لا؟

◆ الجواب: أصّل غير واحدٍ من الفقهاء المسلمين في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاعدةً أطلقوا عليها عنوان: (لا إنكار في مسائل الخلاف)، وذهبوا إلى أنّه عندما يكون المأمور أو المنهيّ معذوراً فيما يفعل، ولو لاجتهاد أو تقليد، فإنّه لا معنى لأمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر، بل ذهب بعض العلماء - مثل السيد السبزواري (مهذب الأحكام ١٥: ٢٦٨) - إلى القول بعدم جواز الأمر والنهي في هذه الحال، في بعض الصور على الأقلّ.

وفي قضية اختلاف التقليد توجد صور ينبغي ملاحظتها، وأهمّها:

الصورة الأولى: أن يكون ما أفتى به المرجع هو حكمٌ كليّ

(١) إضاءات ٣: ٢٨٥

اجتهادي، كأن يرى حليّة الغناء مثلاً فيما يرى الآخر الحرمة، وفي هذه الحال يذهبون إلى أنه لا معنى للأمر والنهي، مادام تقليد المأمور للمجتهد الذي يرى الحلية تقليداً صحيحاً جائزاً.

**الصورة الثانية:** أن تكون فتوى المرجع في واقعها تشخيصاً لموضوع غير مستتبط، لا استنباطاً لحكم كليّ منصبّ على موضوع كليّ، مثل أن يقول المرجع بأن التدخين حرام، وينطلق في ذلك من حرمة الإضرار بالنفس، فيما يرى الطرف الآخر بأن التدخين غير مضرّ أساساً، فهنا له أن يدعو إلى التدخين ولو من غير باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شرط أن يقنعه بأن التدخين لا يضر؛ لأنّ المقلّد غير ملزم أساساً بتشخيص مرجعه للموضوعات التي من هذا النوع، فإذا اقتنع مع الآخر بأن التدخين غير مضرّ فله التدخين شرعاً.

وفي المورد الذي ذكرتموه، لو أخذنا التطبير الذي وقع محلاً للجدل، وفقاً للسؤال الذي ذكرتموه، سنجد حالات:

١. أن يكون المرجع الذي أفتى باستحباب التطبير أو بحرمة التطبير قد انطلق من تشخيص موضوع خارجي فقط، لا من استنباط حكم كليّ، مثل أن يراه هذا المرجع بأنّه يوجب تقوية المذهب، فيما يراه المرجع الآخر بأنّه يوجب توهين المذهب، فهنا أساساً لا توجد فتوى ملزمة لأحد، لا بالفعل ولا بالترك، ما لم يكن هناك حكم حاكم.

وهذه من الأخطاء الشائعة التي كرّرنا مراراً ضرورة التخلّص منها في ثقافتنا الدينية، فإنّ تشخيص المراجع للموضوعات التي من هذا النوع أمرٌ غير ملزم إطلاقاً، فلو قال المرجع مثلاً: فلان

لا يجوز قراءة كتبه؛ لأنّ كتبه هي كتب ضلال، فهذا تشخيص موضوع، ولا يُلزم أحداً حتى مقلّديه ما لم يقتنعوا معه بأنّ مضمون هذه الكتب هو الضلال فعلاً، إلا إذا كان قد أصدر حكماً، فإنّ لذلك تبعات خاصّة في الفقه الإسلامي. وفي هذه الحال لا مانع من الأمر والنهي في حقّ الطرفين لبعضهما.

٢. أن يكون المرجع الذي أفتى بالحرمة أو الاستحباب منطلقاً من استنباط كليّ، كأن يرى استحباب هذا الفعل بعنوانه لكونه صدر عن السيدة زينب عليها السلام عند ضرب رأسها بالمحمل مثلاً مع إقرار الإمام على ذلك، أو لما جاء في بعض الرويات من أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام كان عندما يأخذ الماء ليشرب يبكي حتى تمتلئ عيونه دماً.. أو يرى حرمة من باب أنّ الضرر عنده حرام مطلقاً، أو يرى الحرمة استناداً إلى الرواية التي ينهى فيها الإمام بعض النساء عن خمش الوجوه ولطمها وشقّ الجيوب عليه (وهذه الوجوه بصرف النظر عن صحّتها ذكرها أنصار الفريقين)..

ففي هذه الحالات وأمثالها يكون المقلّد معنيّاً بالفتوى، ومن ثم لا معنى لأمره أو نهيه، إلا إذا رأينا أصل تقليده لزيد أو لعمر وغير شرعي، فنأمره بملاحظة التقليد ومبرّراته، لا بملاحظة مضمون فتوى من يقلّده.

نعم، قد يصحّ لنا أمره بالاحتياط بنحو الترغيب لا الإلزام، لدوران الأمر بين الفتوى بالحرمة والاستحباب، وهذا يحتاج إلى بعض القيود. كما أنّ نهى القائل بالحرمة من يقلّد القائل بالاستحباب ليس سوى نهياً عن مستحبّ، ويحتاج أن ننظر:

هل يجرم نهى الناس عن مستحبٍّ أم لا؟ وما هي الشروط والقيود؟ فلو نهيتك عن التصدّق على زيد، لا لسبب إلا لأنني لا أريدك أن تصدّق اليوم على الفقراء، فهل هذا النهي حرامٌ شرعاً، والمفروض أنّ التصدّق غير واجب؟ هذا يحتاج لبحث في إثباته، وله صور بعضها قد يمكن القول بحرمته، كما لو كان النهي موجباً لإماتة السنّة، دون بعضها الآخر.

٣. أن لا يكون خطابنا الناهي عن الفعل أو الحاثّ عليه مرتبطاً بشخص، بمعنى أنّنا لا نذهب إلى زيد أو عمرو، فنطلب منه ترك هذا الفعل أو نحثّه عليه، بل غاية ما نقوم به هو أنّنا نعرض وجهة نظرنا في الموضوع، كأن نكتب بحثاً فقهياً عن التطبير نتوصّل من خلاله إلى الاستحباب أو نتوصّل إلى الحرمة، أو نقوم ببحث اجتماعي يبيّن سلبّيات التطبير أو يكشف عن آثاره الإيجابيّة، فنحن لا نقوم بمنع شخصٍ عن تقليده، بل نعرض وجهة نظرنا العلميّة بطريقة لا تشتمل على منع أحد أو دعوة أحد بعينه.

وفي هذه الحال لا يوجد ما يمنع الإنسان عن فعل ذلك، لاسيّما إذا كان يعرض بحثاً اجتهادياً كأن يكون فقيهاً أو يعرض بحثاً موضوعياً خارجياً حول تأثيرات التطبير السلبية أو الإيجابيّة. فمثل هذه الموارد يصعب القول بأنّها محرّمة؛ بحجّة أنّه سيطالعها من يقول مرجعه بالعكس، وهذا واضح. وكذلك الحال لو كان الإنسان يقوم بشرح مبررات القائلين بهذا القول أو ذاك.

٤. أن يكون ما أصدره هذا المرجع أو ذاك حكمَ حاكمٍ، وليس فتوى

مرجع أو رؤية فقيه باحث، ففي هذه الحال يجب الالتزام بحكم الحاكم شرعاً ولو كان مخالفاً لفتوى من يقوم الإنسان بتقليده. وينبغي الرجوع في أحكام حكم الحاكم إلى المرجع الذي يقلده المكلف، فلو كان مرجعك لا يرى قيمةً من الأساس لحكم الحاكم مطلقاً مثلاً فلا قيمة لحكمه بالنسبة إليك، وكذلك لو كان من أصدر الحكم ممن لم يثبت كونه حاكماً شرعياً جامعاً للشرائط، كما لو كنت تشكك في اجتهاده أساساً أو في شرط آخر من شروط حاكميته الشرعية، فهنا لا قيمة لحكمه بالنسبة إليك؛ لعدم صدق عنوان حكم الحاكم عليه أساساً.

والمعروف بينهم حرمة الردّ على حكم الحاكم ومخالفته ولو لم تكن تقلده، بل ولو كان حكمه مخالفاً لفتوى المرجع الذي تقلده. نعم لو قطعنا بخطأ الحاكم في المقدمات التي اعتمدها بنحو اليقين، جازت المخالفة، لكن بعض الفقهاء يشترط في ذلك عدم إظهار هذه المخالفة بما يخلّ بالنظام العام.

بل إن مثل السيد محمد باقر الصدر يرى - كما في (تعليقته على منهاج الصالحين للسيد الحكيم ١: ٢٠، الهامش رقم ٤، على المسألة رقم ٢٥) - أنّ حكم الحاكم لو كان منطلقاً من ممارسة المجتهد لولايته العامة على المسلمين - لا من موقعه القضائي في باب المرافعات والمحاكمات - لا يجوز نقضه أبداً حتى مع العلم واليقين بالمخالفة وكون الحاكم مخطئاً.

وعليه ففي صورة حكم الحاكم يمكن إذا حكم الحاكم بالحرمة مثلاً أن تنهى الآخرين عن الفعل ولو كان مقلدهم يرى الاستحباب؛ لأنك في الحقيقة تنهاهم عن مخالفة حكم الحاكم

التي يعتبرها مرجعهم محرّمةً.

هذه هي الحالات الأساسيّة في الموضوع، ونسأل الله تعالى أن يوفق الجميع للانضباط بالتكاليف الشرعيّة، كل بحسبه، ومن موقعه.



## حكم النهي عن المنكر في قضايا

### الخلافاً للاجتهادي والتقليدي<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: استفساراً على إجاباتكم: (هل يحق لمن يقلد القائل بحرمة التطبير أن ينهى من يقلد القائل باستحبابه عنه أم لا؟)، كان لنا سؤال عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندما تدور الفتاوى بين الحرمة والاستحباب، فزدتم على استفهامنا استفهامات أخرى بقولكم: «... دوران الأمر بين الفتوى بالحرمة والاستحباب، وهذا يحتاج إلى بعض القيود. كما أن نهي القائل بالحرمة من يقلد القائل بالاستحباب ليس سوى نهياً عن مستحب، ويحتاج أن ننظر: هل يحرم نهي الناس عن مستحب أم لا؟ وما هي الشروط والقيود؟ فلو نهيتك عن التصدق على زيد، لا لسبب إلا لأنني لا أريدك أن تتصدق اليوم على الفقراء، فهل هذا النهي حراماً شرعاً، والمفروض أن التصدق غير واجب؟ هذا يحتاج لبحث في إثباته، وله صور بعضها قد يمكن القول بحرمته، كما لو كان النهي موجباً لإماتة السنة، دون بعضها الآخر». ونستميح سماحة الشيخ بالتطفل على كرمه والاستزادة مما أعطاه الله، تزكيةً لعلمه ببعض التوضيح في بعض النقاط الواردة في الجواب السابق:

١. هل على المكلف الذي يريد أن يعرف تكليفه في مسألة ما، أن يسأل مرجعه، ويعمل فقط على أساس الجواب الذي عادة ما يكون بأحد الأحكام الخمسة (واجب، محرّم، مستحب، مكروه، مباح)، أم عليه كمكلف أن يبحث في كل مسألة عن أنه هل فتوى المرجع نابعة من اجتهاده في النصوص الشرعية أم إنها نابعة من تشخيصه للوضع القائم.. فإذا كانت نابعة من تشخيص فلا إلزام للمقلد بالفتوى؟ وهذا

(١) إضاءات ٣: ٢٩٠

سؤال عام وليس خاصاً بمسألة معينة .

٢ . أما بخصوص التطبيق كمسألة خلافية وهي من مصاديق ما سألنا عنه، فنقول: هناك من يفتي بالحرمة ولا يترك للمقلد مجالاً للتشخيص، بل هو من يشخص الوضع ويرى الحرمة في ذلك، وهناك من لا يرى مانعاً شرعياً في التطبيق والإباحة أصله، ويشخص الوضع بأنه إذا جيء به بنية المواسة لأهل البيت عليهم السلام والجزع .. فيؤجر المكلف إن شاء الله، وهناك من يرى الاستحباب لوجود نصوص على ذلك، وفي نفس الوقت يشخص الوضع بأن التطبيق لا يوهن المذهب .. ولا شيء من الأمور التي قد تدرجه بعنوان ثانوي تحت التحريم، وهناك من المراجع من يقول بشكل واضح بأن التطبيق مسألة تشخيصية، فقد تكون مستحبة في أماكن وأوقات معينة، وقد تكون محرمة في أماكن وأوقات أخرى، فالأمر موكول للمكلف، فهل يصح في الحالة الأولى والثانية - التي قوامها التشخيص من قبل المرجع - عدم الالتزام بفتواه لعدم الاقتناع بتشخيصه كما قلتم في المثال الذي ضربتموه .. وهذه من الأخطاء الشائعة التي كررنا مراراً ضرورة التخلص منها في ثقافتنا الدينية، فإن تشخيص المراجع للموضوعات التي من هذا النوع أمر غير ملزم إطلاقاً، فلو قال المرجع مثلاً: فلان لا يجوز قراءة كتبه؛ لأن كتبه هي كتب ضلال، فهذا تشخيص موضوع، ولا يلزم أحداً حتى مقلديه ما لم يقتنعوا معه بأن مضمون هذه الكتب هو الضلال فعلاً، وهذا بغض الطرف عن وجود حكم للحاكم في هذه المسألة؟ وما قيمة الفتوى إذا كانت لا تلزم أحداً إلا بعد الاقتناع بحقيقة المسألة؟ وعلى أساس قولكم هذا فالمكلف أساساً لا يحتاج لفتوى إذا اقتنع أن هذا الكتاب كتاب ضلال فعلاً وفق مثالكم المذكور. ولو ترشدوا أحاكم المتطّل عليكم ببعض أقوال العلماء والمراجع في هذا الشأن.

٣. أيضاً ذكرتم: «أن لا يكون خطابنا الناهي عن الفعل أو الحث عليه مرتبطاً بشخص»، في جميع الأحوال سواء الخطاب موجّه لشخص بعينه أم لعامة الناس أم للمتخصّصين من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أليس هناك فرق بين أن يوجّه الباحث المتخصّص خطابه للمتخصّصين أمثاله وبين أن يعرضه على عامة الناس الذين هم أساساً مكلفون بالالتزام بفتاوى المراجع دون التحسّس من الآخرين ونشر ثقافة الاختلاف وتعدّد الآراء؟ هذا بالنسبة للمتخصّصين، أما لعامة من الناس فهل يحقّ لأمثالي من غير المختصّين بأن أكتب ما أشاء وأقول بأنّها رؤيتي للموضوع وأضعها مقابل الفتاوى الواضحة للمختصّين والمراجع؟ وأقول ذلك من واقع نعيشه، فكلّ شخص أمسك قلمه وقال أرى أنّ ذلك يجوز وهذا لا يجوز، وغلب عليها الذوق والمزاج سواء في التطبير أو غيره.

◆ الجواب:

ذكرتم نقاطاً وهي:

أ. عندما يصدر المرجع فتواه، يعمل المكلف بما هو ظاهر الفتوى أو الاستفادة ممّا وصله من القرائن والشواهد، فإن اشتملت الفتوى أو قرائنها المتصلة أو المنفصلة على ما يفيد كونها مجرد تشخيص غير ملزم، لم يلزمه العمل بها ما لم يقتنع بمضمونها، وإلا فالمفترض العمل بها قاعدةً. ولو التبست عليه الأمور أمكنه توجيه سؤال إلى مرجعه لرفع هذا الالتباس.

ب. الفتوى إن كانت نابعةً من الاجتهاد في النصوص فقيمتها في كونها تعبّر عن اجتهاد الفقيه، فيرجع إليه المكلف ليقلّده في اجتهاده هذا، وهذا واضح. وأمّا إن رجعت إلى تشخيص موضوع، فلا

قيمة لهذا التشخيص (الذي لا يعبر عن حكم الحاكم) ما لم يكن الموضوع من الموضوعات المستنبطة، مثل تعريف حقيقة الغناء لا مصداق الغناء، أو تعريف حقيقة الخمر، وهل هي مطلق المسكر أم خاصّة ببعضه أم لا؟ ففي سائر الموضوعات غير المستنبطة لا حجّية لكلام الفقيه بما هو فقيه.

ويمكنكم مراجعة الجذور الاجتهادية لهذه المسألة في بحوث الفقهاء في باب التقليد والاجتهاد عند حديثهم عن دائرة التقليد وعن التقليد في أصول الدين والموضوعات وأصول الفقه وغير ذلك مما ذكره السيد اليزدي في العروة الوثقى، وعلّق عليه الشّراح والفقهاء والمحشون والباحثون.

وأما قيمة كلامه في هذه الحال، فتكمن في بيان فناعته التي قد توجب قناعة الآخرين واطمئنانهم لتشخيصه، فإنّ تشخيصه قد يؤثر في قناعات الناس فيعملون بتشخيصهم الذي بُني على اطمئنانهم بتشخيصه، لا أنّهم يعملون تبعداً بتشخيصه كما هي قضيّة الفتوى وفق المعروف.

ج. إذا كانت فتوى الفقيه تُلزم مقلّديه فما هو الدليل على حرمة أن يكتب شخص كتاباً في الآثار الإيجابية للتطهير مثلاً من الزاوية الاجتماعية؟ فهو لا يدعو أحداً لترك الالتزام بفتوى مرجعه، بل يبيّن رأيه المنسجم مع فتوى مرجعه أو تشخيص مرجعه المقتنع هو به، ولا يستخدم أسلوب العنف أو القهر أو الفرض على أحد، فما هو الدليل على الحرمة حتى لو نشره بين الناس؟

نعم، إذا كان بحثاً اجتهادياً فيلزمه أن يكون متخصصاً في

الشريعة حتى يقول ويعطي رأيه؛ لأنّ ذلك يكون من التقوّل  
بغير علم على الله تعالى وهو محرّم، أما وأنّه يختلف العلماء في  
تشخيص الموضوعات فما الذي يمنع زيداً من الناس أن يساهم  
في التشخيص إذا كانت له خبرة دراسة حيثيات الموضوع من  
الزاوية الاجتماعية أو السياسية أو غيرها، فالسياسي قد يرى  
الموضوع بدرجة أكثر خبرويّة من الفقيه نفسه الذي لا خبرة له  
أحياناً بالسياسة، وأيّ ضير في ذلك؟ لاسيما مع اختلاف الأنظار  
في التشخيصات.

وأما قولكم بأنّ كل شخص يقول مزاجه فهذا أمر آخر، فنحن  
لا نتكلّم عن فوضى إعطاء الرأي، لكن نتكلّم عن شخص لديه  
خبرة حياتية ومقدرة على تشخيص الموضوع المتنازع عليه من موقع  
خبرته الاجتماعية وعلاقاته وثقافته الواسعة ولو لم يكن فقيهاً، فما  
هو الدليل على حرمة أن يكتب كتاباً يبيّن فيه مضارّ التطبير الطبيّة  
مثلاً أو تأثيراته السلبية على تديّن الناس الآخرين بالإسلام ما دامت  
القضية تشخيص موضوع أو كانت قضية مختلفاً فيه وكان هو متميّزاً  
بتقليده إلى من يوافقه في هذا الرأي بحسب النتيجة؟ نعم لو لم يملك  
الخبرة فقد لا يحقّ له القول بغير علم وهذا أمر آخر.

## ظاهرة التطبير في العتبات المشرفة في كربلاء وتنجيسها كل عام<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: ونحن على أعتاب محرّم الحرام، ما هي الطريقة المثالية لردع ظاهرة التطبير، وخصوصاً تزداد في صبيحة عاشوراء في مدينة كربلاء بمنظر لا يسرّ الحبيب ويفرح به العدو؟ شيخنا الجليل، حتى أغلب الزوّار لم يسلم من تلطّخ ملابسهم بنجاسة الدم، وبعض هؤلاء المطبّرين يدخل عليهم وقت صلاة الظهرين وهو يسيل منه الدم، ثم يشارك بعزاء ركضة الطويريج ولم يهتم بالصلاة. ومما يؤسف له هو تسهيل العتبة الحسينية والعباسية لدخول هؤلاء إلى العتبتين حتى تكون النجاسة داخل الحرم، وهذا مخالف للشريعة، وطبعاً هذه مجاملة من القائمين على العتبة لهؤلاء! ثق شيخنا أصبحنا نترك الزيارة يوم عاشوراء بسبب هذه الظاهرة.

◆ الجواب:

أ. لعلّ أفضل الطرق لمواجهة ظاهرة (التطبير) عند من لا يجيّد هذه الظاهرة أو يرى حرمتها (بالعنوان الأوّل أو الثانوي) أو قبحها، هو نشر الوعي بين الناس ورفع مستوى تعبيرهم عن عواطفهم عموماً، والسعي لنشر وتعميم فتاوى ومواقف العلماء والفقهاء والمفكرين الرافضين لهذه الطريقة في التعبير ولو كان رفضهم غير تحريمي، بل والسعي أيضاً للحصول على المزيد من توجيهات العلماء الرافضين والمراجع المعارضين لهذه الطريقة في التعبير.

(١) إضاءات ٣: ٣٢٩

وكذلك ابتكار وتعميم الطرق البديلة التي يعدّ من أبرزها مشاريع التبرّع بالدم للمحتاجين والجرحى وإهداء ثواب ذلك إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، فهذه الطريقة تعبر عن مستوى جيّد من التفاعل.

بل إنّ العراق نفسه يمتاز بين الدول العربيّة بحاجته الكبيرة لمثل هذه الحملات؛ نظراً لما يتعرّض له من تفجيرات واعتداءات ظالمة بشكل يومي أو شبه يومي لم تترك قلباً إلا آلمته، فيما تخلفه من دمار ومن خسائر في الأرواح والممتلكات، ومن إصابات بشرية تحتاج للقطرة من الدم هنا أو هناك.

وقد طبّقت طريقة التبرّع بالدم في غير بلدٍ بتوجيهات من وجوه وعلماء وفعاليات تلك البلدان (طبّقت بشكل متفاوت نسبياً من حيث السعة والمحدودية، ومن حيث الاستمرار وعدمه، في كلّ من: المملكة العربية السعودية، والعراق، والكويت، وأيدجان، وبعض الدول الأوروبية، والبحرين، ولبنان وغير ذلك)، وحققت نجاحاً نسبياً في حدود معلوماتي، ولعلّ أفضل التجارب وأوسعها كان تجربة البحرين. ويمكن الاشتغال عليها على مستوى العراق وكربلاء بالخصوص بشكل أوسع من السابق، وأعتقد أنّه من الضروري التنسيق مع الجهات المعنية التي يمكنها القيام بمثل هذا المشروع، والأهم تغطيته إعلامياً والترويج له، وتوفير المعلومات عن مراكز التبرّع لعموم الناس عبر وسائل التواصل الاجتماعي أو الرسائل القصيرة أو وسائل الإعلام أو غير ذلك، علّه يلقي قبولاً أكبر في قادم السنوات، كما لقي القبول في بعض البلدان الأخرى.

وطريقة التبرّع بالدم تربط الإنسان بالعطاء المنتج بشكل مضاعف، وفيها فوائد صحيّة للمتبرّع والمتبرّع له، ويمكنها سدّ حاجات المستشفيات لفترة معينة على الأقلّ، وفيها خاصية الجمع بين إحياء المناسبة وإعانة المسلم والتصدّق بالدم له والقيام بما فيه النفع الصحيّ للمتبرّع نفسه، والمحافظة أكثر على الصّحة والسلامة العامّة.

لكنّ المهمّ أن لا نعتبر التبرّع بالدم شعيرة نريد فرضها على الناس، أو شيئاً منصوصاً عليه في الدين، بل هو وسيلة تعبيرية زمنية قد يأتي يوم يرى فيه أهل العلم والفضل والرأي أسلوباً آخر بحسب تغيّر الزمان والمكان، ما دام هذا الأسلوب المتبع اليوم لا نصّ فيه بالخصوص من الناحية الشرعيّة.

كما أنّ من المهمّ أن لا نبقى نعيش الصراعات المتواصلة في هذا الموضوع بطريقة غير علميّة، فتتوجّه بالاتهام لبعضنا بعضاً بمعاداة القضيّة الحسينية أو شخص الإمام الحسين عليه السلام والعياذ بالله، وأن نعلن حالة هدنة يحاول كلّ واحد منّا أن يطرح مشروعه فيها دون تجريح بالآخر، وتنافس إيجابياً على ما نراه الأفضل في وسائل التعبير دون صراعات وتشظّيات وتمترسات واصطفافات جديدة، ونحترم الفتاوى التي تصدر لهذا الفريق أو ذاك، مع حقّنا جميعاً في النقد حيث نملك مقوماته العلميّة والأخلاقية.

ب. قد تحصل تجاوزات شرعيّة هنا وهناك أثناء القيام بفريضة أو مستحبّ ديني، وهذا يكون حتى في الحجّ والعمرة. والمطلوب توعية الناس، علماً أنّ تنجيس الآخرين ليس محرّماً إلا إذا كانوا



لا يرضون بتلطّيح ثيابهم بالدم، فيجب على (المطّبرين) مراعاة ذلك شرعاً، ولا يحسن بهم تأخير الصلاة عن أول وقتها حيث يستحبّ الإتيان بها في أول الوقت، وإن كان التأخير بما لا يخرج عن وقت الصلاة غير محرّم.

ج. يتفق الفقهاء على حرمة تنجيس المساجد مطلقاً، أمّا تنجيس المشاهد المشرفة والعتبات فلهم في ذلك رأيان:

الرأي الأوّل: ما هو المشهور، وهو ظاهر عبارات أغلب الفقهاء، بمن فيهم جمهور المراجع الأحياء، من أنّ حرمة التنجيس خاصّة بحالة ما إذا لزم هتك حرمة المشاهد المشرفة، أمّا إذا لم يلزم هتك الحرمة فيجوز التنجيس ولا تجب إزالة النجاسة. وقال كثير من هؤلاء بأنّ حكم المصحف الشريف هو هذا الحكم أيضاً.

الرأي الثاني: ما ذهب إليه بعض الفقهاء، من أنّ حرمة تنجيس المشاهد المشرفة حرمة مطلقة، بمعنى أنّ تنجيسها حرام، سواء لزم منه الهتك أم لم يلزم، وهذا هو رأي أمثال الشيخ فاضل اللنكراني، والسيد الصدر في الفتاوى الواضحة، أمّا الشيخ وحيد الخراساني فذهب إلى حرمة التنجيس مطلقاً على الأقوى في المشاهد، وعلى الأحوط في المصحف الشريف.

وعليه، فينبغي النظر في تنجيس المطّبرين للعتبة الحسينية، هل يلزم منه الهتك فيحرم بإجماع العلماء، وإلا فلا يكون حراماً إلا على بعض الفتاوى.

هذا من الناحية الفقهية والقانونية. أمّا من الناحية الأخلاقية

والاجتماعية والإعلامية فلا ينبغي أبداً وقوع ما يقع في العتبات  
المشرفة في كربلاء، وقد سمعنا - ولا أدري مدى دقة النقل - أنّ  
المرجعية الدينية في النجف لا توافق على ذلك، وأنها تحاول أن  
تحول دون تنجيس العتبة بوضع العوازل على الأرض أو على  
الجدران، وأنّ الظروف الضاغطة تحول دون التصريح بالأمر  
ومواجهته، والله العالم.

وأخيراً، علينا جميعاً أن نتحمّل بعضنا، ونعمل ولا نياس، وتكون  
لدينا العزيمة والإرادة للتغيير وتصحيح الأمور فيما نراه الحق، والله  
معنا حيثما نكون معه إن شاء الله.

## نقاط الاختلاف المركزية في قضية الشعائر الحسينية<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: ذكرتم في جوابكم عن أحد الأسئلة حول شهر صفر (إضاءات في الفكر والدين والاجتماع، السؤال رقم: ٣٢٧)<sup>(٢)</sup> أن بعض الأمور ورد النص باستحبابها مثل البكاء، وبعضها الآخر لم يرد فيه نص مثل التطبير والمشي مشية الكلاب نحو المراقد وغير ذلك، وأشرت بأن الثاني يمكن أن يكون مشمولاً لبعض العمومات، فإذا كان كذلك فالمدار هو المفهوم العرفي المتغير للحنن والجزع وما شابه، وبناء عليه لا معنى ولا مبرر للجدل الذي يثيره المثقفون والحوزويون منهم حول ما إذا كانت بعض تلك المظاهر معهودة زمن الأئمة عليهم السلام وأصحابهم، إلا من جهة طرق العناوين الثانوية. وماذا عن مدى التناسب مع طبيعة المناسبة وصاحبها ومدى التوافق مع كرامة المؤمن في أن يقلد الكلاب مثلاً أو يغمس جسمه بالطين؟

◆ الجواب: من حيث المبدأ لا مانع لكل هذه الأعمال أن تكون مشمولةً لبعض العمومات إذا صارت عرفاً في التعبير عن الحزن وإحياء الأمر، ولم يقف دون ذلك مانع من عنوان أولي أو ثانوي، لكنّه لا يكون حينئذٍ مستحباً بعنوانه.

وعندما يثير بعض الحوزويين والمثقفين والعلماء جدلاً في عدم وجود هذه الشعيرة أو تلك، فهو ينشأ من أحد أمور أربعة هي مرجع الخلاف اليوم:

١. إن هذا الفعل أو ذاك (المشي على النار أو التطبير أو الزحف نحو المراقد أو غير ذلك) ليس مستحباً بعنوانه الأولي، حيث إن بعض

(١) إضاءات ٣: ٤٠٧

(٢) راجع (هل شهر صفر شهر حزن وبكاء، أم أنه يختلف عن شهر محرم الحرام؟)

العلماء يحاولون إثبات استحباب بعض هذه الأفعال بالعنوان الأوّلي، كما يُستوحى من كلماتهم أو يحاولون نسبتها للدين بعنوانها، وهذا ما يلاحظ أو يُستوحى من كلمات بعض العلماء أمثال السيد محمد الشيرازي رضوان الله عليه، والسيد صادق الشيرازي حفظه الله وغيرهما، كأن نجد عندهم الاستدلال على التطبيق ببعض الروايات الخاصّة أو بفعل السيدة زينب عليها السلام أو بغير ذلك.

٢. إنّها مرجوحة بالعنوان الثانوي، حتى لو كانت مشروعة بالعنوان الأوّلي، وهذا هو مرجع الكثير من المواقف الراضية لبعض التصرّفات في المظاهر العزائيّة الحسينيّة، وإليه يرجع موقف تيار خطّ الإمام الخميني اليوم، وهو المنهج الذي يلاحظ في كلمات السيد علي الخامنئي حفظه الله.

٣. عدم ثبوت عنوان الشعيرة عليها حتى لو ثبت شمول العمومات لها؛ لأنّ البعض يحاول خلع عنوان الشعيرة على ما يشتهر ولو مؤخراً، كما هو منهج بعض المعاصرين، وما قصدته بالعمومات ليس عمومات البكاء فقط، فإنّه قد يدعى انصرافها عن غير المتعارف، بل هي عمومات إحياء الأمر والتذكير بمصائبهم والجزع لو تمّ الأخير.

٤. إنّها محرّمة بالعنوان الأوّلي، وهذا هو منهج السيد محمّد حسين فضل الله رحمه الله في مثل قضية التطبير، حيث يدرجه ضمن الإضرار المحرّم بالنفس والجسد.

إذن، فالخلاف بين المجيزين والمانعين يرجع إمّا إلى نفي استحباب هذه الأفعال بالعنوان الأوّلي، أو إلى تحريمها بالعنوان الثانوي، أو إلى

تحریمها بالعنوان الأوّلي، أو إلى نفي عنوان الشعيرة عنها ما دامت غير موجودة في عصر النصّ ولا منصوطة في الكتاب والسنة.

وأما حديثكم عن التناسب مع كرامة المؤمن وغير ذلك، فهذا من ضمن البحث في عدم وجود مانع أوّلي أو ثانوي، ومن هنا فالطرف المثبت للشرعية لا يرى منافاةً لحقّ المؤمن وكرامته في كلّ هذا ما دام فتح باب شرعية الجزع من جهة، وباب كون المحزون عليه هو مقام أهل البيت الذي يرخص دونه المقام الشخصي من جهة ثانية، فيصعب الدخول معهم في مثل ذلك على مستوى البحث الإقناعي.

## رسائل مثيرة بأعمال دينية خاصة

### عبر وسائل التواصل الاجتماعي<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: تأتينا في الأونة الأخيرة رسائل كالتالي: (السلام على قلبك يا صاحب الزمان، السلام على الباكي بدل الدموع دماً، السلام على المنتظر للثأر، مواساة لك بمصاب جدك الحسين ﷺ، ولتعجيل فرجك نهديك الصلوات المحمدية. ملاحظة: القراءة حتى مساء غد الجمعة، وستتم زيارة بالنيابة عن المشاركين عند الإمام الحسين وأبي الفضل العباس ﷺ. الرجاء إرسال عدد الصلوات على محمد وآل محمد التي تريد قراءتها). هذه الرسائل تطالبنا بعدد معين من ذكر الصلاة على محمد وآل محمد بنية تعجيل الظهور للإمام المهدي ﷺ. وبعد ذلك ستتم الصلاة والزيارة نيابة عن المشاركين في المقام المذكور في الرسالة، وفي النهاية تأتينا الرسالة التالية: (تمت الهدية لصاحب العصر والزمان - مليونين و ٧٢٠ ألف صلوات محمّدية، وتمت زيارة بالنيابة عن المشاركين عند الإمام الحسين وأبي الفضل العباس ﷺ. عظم الله أجوركم وتقبل أعمالكم. لا تنسوا صاحب العزاء مولانا القائم (عج) من دعائكم). ما هو رأيكم الكريم بهذا الموضوع؟

◆ الجواب: أن يصلي الإنسان على محمد وآل محمد فهو أمر مندوب إليه في نفسه، لاسيما في مثل مناسبة عاشوراء التي تتصل بمحمد وآل محمد. وأن يشجع الإنسان الآخرين على الصلوات هذه فهو أمر حسن أيضاً بلا شك، وينبغي العمل دوماً على تشجيع الناس على فعل ما هو صالح وقُربى إلى الله تعالى مثل الذكر والتسبيح والثناء على الله والاستغفار والصلاة على محمد وآل محمد عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

(١) إضاءات ٤: ٣٣١

وأن يزور الإنسان من يستحبّ زيارته ويهدي ثواب ذلك إلى شخصٍ آخر هو أمرٌ حسنٌ أيضاً عند كثير من العلماء، وله واقعيّة من وجهة نظرهم، والله فضله عميم، وإن كان هناك من له بعض التحفظات على هذا الموضوع؛ انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩)، على أساس أنّ له سعيه وليس سعي غيره، تماماً كما أنّ عليه وزره وليس وزر غيره، والآية قالت: ليس له، ولم تقل: ليس عليه، مما يشير - بحسب وجهة النظر هذه - إلى أنّ الإنسان لا يحظى إلا بنتائج عمله لا نتائج عمل غيره ولو أرسلها له هدية. وقد يناقش بعضهم في هذا الكلام من حيث إنّ من نتائج عمله مثلاً هو زيادة الله له في الحسنات لو قدّمها له غيره، والبحث طويل.

وعلى أيّة حال، فهذه الأمور لا مشكلة فيها من حيث المبدأ، لكنّ المشكلة تكمن في ما نلاحظه من انتشار واسع للغاية لمثل هذه الرسائل التي تضع أرقاماً وآليات محدّدة، قد توهم الناس بأنّها ذات طابع ديني خاص، بمعنى أنّها منصوصٌ عليها في الشرع بهذه الطريقة أو الآلية، فيما هي قد تكون لا أصل شرعيّ لها على الإطلاق، وإنّما هي من بنات أفكار صانعيها، فإذا لم يكن الأمر منصوصاً عليه في الشرع، فهذه الأساليب ينبغي أن تكون في إطار وبطريقة لا توهم أنّها مسائل ذات صفة شرعيّة منصوصة بتفاصيلها، وما عدا ذلك فكلّه لا بأس به ما دام المضمون سليماً ولا يكون على حساب أمر شرعي آخر أهمّ بطريقة سلبية.

ومن هذا النوع الكثير من الرسائل المنتشرة سابقاً واليوم بأعمال خاصّة في أوقات خاصّة وأذكار معيّنة، وكذلك التهديد بأنّه لو لم

يقم بهذا العمل وينشره فسوف يلقي كذا وكذا جزاء ومصيبة في الدنيا والآخرة ونحو ذلك من المصطنعات التي غالباً - لو لم أقل دائماً - لا يكون لها أصل في الدين، وإنّما هي كفيات وقصص وضعها أصحابها بغاية الترغيب في الدين أو بغايات أخرى لا نعرفها ولا نريد أن نتهم أحداً فيها، فمثل هذه الأمور التي توجب توهم نسبة هذه الأشياء بتفصيلها للشرع والدين ينبغي التنبيه لها كي لا تتوارث الأجيال أعمالاً لا أساس شرعي لها، فتصبح بعد قرن أو قرنين جزءاً من حقائق الدين على المستوى الشعبي في الحد الأدنى.

يجب أن يكون لنا حسّ التحذّر من مثل هذه الأشياء لكي نقوم بترشيدها بما ينفع ولا يضرّ، وإن كان الأنسب بالإنسان أن ينشر ما ورد في الشرع من أعمال، ولا يخترع من عنده شيئاً بما يوهم نسبته للدين الحنيف.

بل مع الأسف الشديد فقد رأينا أحاديث مكذوبة على النبي والصحابة وأهل البيت تنتشر في وسائل التواصل الاجتماعي ولا أصل لها عند المسلمين، ويجب التنبيه دوماً - كما أشرنا مراراً - لهذا الموضوع، وأنّه في غاية الخطورة على المستوى الديني، ممّا يكشف عن أنّ هناك من يتعمّد الكذب على رسول الله في هذه الأيام لغرضٍ عدواني سيء أو انطلاقاً من جهل ديني كبير، وعلينا هنا أيضاً أن نبذو حذرين جداً من هذا، وأن ننشر الوعي والعقلانية بين عمّة الناس، ونكرّس ثقافة التوثيق والتأكد في القضايا الدينية، بدل ثقافة التلقين، فليس كلّما جاءنا شخص بشيء أخذنا به ومشينا في طريقنا، بل مقتضى التحذّر من البدع والخرافات، ومقتضى حماية الدين هو الوعي والسؤال والتثبت والمناقشة الموضوعيّة للتأكد من نسبة شيء



إلى الدين، فمن هنا علينا في هذه الحالات أن نطالب بالتوثيق، وأن  
نسأل ونهتم كلّما كان في المضمون ما يريب أو يُثير، فهذا الحسّ  
الاستشعاري ضروريٌّ لحماية تديّنا من الخرافات والخزعبلات  
والمؤامرات والنامات المختلّقة والأقاصيص المتكررة المكذوبة، همانا  
الله جميعاً من الضلالة والزيغ.

## النطح والتطين و.. وشعائر عاشوراء! (١)

◆ السؤال: بالنسبة لبعض الممارسات العاشورائية مثل شعيرة النطح وشعيرة التطين، هل هي من الشعائر وداخلية تحت الجزع على الحسين ﷺ؟ حيث سمعت أحد الخطباء يستدل على جواز التطين بما فعله السيد البروجردي بالتبرك ببقايا الطين الذي في أرجل زوار الحسين، ووضعه على عينيه، وعليه فهو شعيرة. فما تقول شيخنا الفاضل في هذا القول والاستنتاج؟

◆ الجواب:

في سؤالكم أكثر من جهة تمّ دمجها ببعضها:

أ. أن هذه الأفعال جائزة في حدّ نفسها، وهذا صحيح؛ فإنّ تطين الإنسان لنفسه ليس من محرّمات الشرع بالعنوان الأوّلي، وكذا نطح رأسه بشيء، ما لم يلزم الضرر المعتدّ به عند العقلاء. ومثل هذا المشي على الجمر، و(التزجيج) الذي رأيناه مؤخراً من التقلّب على الزجاج المفتّت، و(التشويك) بلامسة الأشواك، والزحف المضني لمسافة طويلة، وغير ذلك مما نراه اليوم، فهذا في نفسه جائز ما لم يلزم منه ضرر بليغ، لا مجرد الضرر البسيط كجرح صغير أو احمرار أو نحو ذلك. وأمّا العنوان الثانوي فيختلف باختلاف تقويم الأشخاص للمسألة وفهمهم للرؤية العامّة للموضوع، وليس في العنوان الثانوي هذا من حيث التشخيص نصّ ديني محدد، فقد يشخص فقيه أو خبير أنّ هذا الأمر يهتك حرمة الدين، وقد يشخص آخر العكس تماماً.

(١) إضاءات ٤: ٣٣٤

ب. أن هذا التطيين شعيرة أو ذاك النطح شعيرة، وهذا الموضوع يختلف عن الموضوع الأوّل، فجاز شيء لا يصير شعيرة كما هو واضح، وهنا يوجد اتجاهان:

الاتجاه الأوّل: وهو الذي يرى توقيفية الشعائر، وأنّ الشعائر لا بدّ أن تكون منصوصة في الشرع، وعلى هذا الرأي المنسوب للمحقق النراقي، والذي ذهب إليه أمثال الإمام الخالصي والعلامة السيد محمد حسين فضل الله (انظر له: فقه الحجّ ١: ٦٥ - ٦٨؛ تقريراً لبحوث العلامة فضل الله، بقلم الشيخ جهاد عبدالهادي فرحات)، لا يمكن للتطيين ولا للنطح ولا للتطير ولا لأيّ فعل مهما عظم جمهوره، ومهما صار شعاراً للدين، أن يدخل في الشعائر التي ورد الحثّ على تعظيمها في النصوص القرآنية والحديثية، ما لم تُثبت في المرحلة السابقة أنّ هذه الأفعال والسلوكيات منصوص عليها في الشرع بنصّ خاصّ يدرجها ضمن شعائر الدين.

الاتجاه الثاني: وهو الاتجاه الذي لا يرى توقيفية الشعائر، كما هو المعروف من مذهب السيد محسن الحكيم والسيد محمد الشيرازي وغيرهما، ونظّر له بعض المعاصرين بتوسّع، فيكفي لصيرورة الشيء شعيرة أن يكون مباحاً بالعنوان الأوّلي (والثانوي) من جهة، ويخدم العناوين الدينية العامّة من جهة ثانية، وأصبح في العرف ولو المعاصر معلماً من معالم الدين الظاهرة من جهة ثالثة، وعليه فالتطيين والنطح إذا صارا بهذا المستوى فهما شعيرة حثّ الشرع على تعظيمها عندهم.

لكن حتى على الاتجاه الثاني لا يكفي لصيرورة الشيء شعيرةً - عند كثير من أنصار هذا الاتجاه - أن يفعله شخص واحد أو عشرة

أشخاص، بل لا بدّ أن يتحوّل إلى شعار وعلامة بارزة تشير إلى الدين والقيم الدينية والشخصيات الدينية المقدّسة، فلو فعل شخصٌ النطح في بيته مرّةً واحدة لم يصر الفعل شعيرةً، ولو كان الفاعل مرجعاً دينياً، بل لا بدّ من خروجه إلى حيّز الظهور ليكون معلماً بارزاً لهذا الدين، كما في مثل الشهادة الثالثة أو التطبير أو غير ذلك، فإذا بلغت ظاهرة التطيين أو النطح هذا المبلغ وتحققت فيها الشروط المتقدّمة، صارت شعيرة مرغوبة في الدين وفقاً للرأي الثاني.

وأما قضية الجزع، فالجزع أمرٌ قلبي لا مجرد استعراض ظاهري، فإذا لم يصدر التطيين عن انفعال باطني عفوي ناتج عن انهيار عصبي أو شبه انهيار، فليس جزءاً وإنّما هو تجزّع، فلاربط بين هذه الظواهر ومفهوم الجزع إلا مع صدورهما عن حالة عاطفيّة هائلة تدفع للفعل بطريقة أشبه بغير الواعية من شدّة الضغط النفسي على الشخص. نعم، إذا قيل بأنّ دليل شرعيّة الجزع يشمل بروحه التجزّع أمكن الأمر.

وأما فعل السيد البروجردي رحمه الله، فهو لو صحّ تاريخياً بالطريقة التي نقلتموها، لا يصير التطيين الذي يفعله بعض الناس اليوم شعيرةً، إذ لا ربط بين الاثنين، فهذا ناشيء عن مفهوم التبرّك بمثل غبار زوّار الحسين عليه السلام، فيما التطيين قد يكون بوضع الطين العادي على الرأس والجسد ولو لم يكن له علاقة بالزيارات والزوار أو بما يكون على أجسامهم، ولا هو من طين قبر الحسين عليه السلام، وفعل السيد البروجردي لا يؤشر لشعيرة ظاهرة التطيين فضلاً عن النطح.

لكن المنقول عن السيد البروجردي - والعهد على الناقلين - أنّه تبرّك بالطين الذي كان وضعه المشاركون في العزاء، لا زوار قبر

الإمام الحسين عليه السلام، وفي هذه الحال يكون جوابنا هو أنّ فعله ليس بحجّة، فليس السيد البروجردي معصوماً، ولا أعماله بالتي يحتجّ بها في الشريعة الإسلاميّة، فلديه قناعة بما فعل وهي قناعة محترمة وليست محرّمة، أمّا ثبوت هذا الأمر واقعاً بفعله وكونه مستحبّاً أو شعيرةً أو واجباً فليس صحيحاً.

وبالإجمال العام قلنا سابقاً ومراراً بأنّ المهم في هذا الموضوع - إلى جانب الإطار الشرعي الفقهي - هو الوعي العام والمستوى الثقافي الاجتماعي العام الذي يقوم بصياغة العادات والممارسات على طريقته، فكلما صغنا هذا الذوق العام والمزاج العام بطريقة معيّنة، ظهرت أساليب تعبيرية معيّنة منسجمة مع الذوق، وها هي وسائل الإعلام العالميّة تقوم ببلورة الذوق البشري عامّة، وتغيّر (استذوقات) الناس وأحاسيسها الجماليّة، فعلينا الاشتغال على صياغة الذوق العام بما ينسجم مع روح الإسلام والشريعة وأديّاتهما والقيم الإنسانيّة والأخلاقيّة النبيلة، لا صياغة الذوق العام بما ينسجم فقط مع عادات شعب بعينه، لتتحوّل طريقته التعبيرية إلى معبر عن الأداء الديني لدينا.

## زمان ركعتي الزيارة قبل أو بعد الزيارة؟

◆ السؤال: متى يؤتى بركعتي الزيارة عن بُعد، قبل أو بعد أداء الزيارة،

كزيارة عاشوراء على سبيل المثال؟<sup>(١)</sup>

◆ الجواب: الوارد في بعض روايات الزيارة أنّ صلاة الزيارة تقع بعد الزيارة كخبر الحسين بن ثوير وخبر حنان بن سدير، ويظهر من بعض مواضع كتاب المزار للشيخ المفيد، والمصباح للطوسي وغيرهما، ولم أعثر على شيء يتصل بوجود إطلاق لفظي في هذا الموضوع في حق جميع الزيارات وفي جميع الحالات ولو كانت الزيارة عن بُعد، بل في بعض الروايات أنّ ترتيب الصلاة التي تكون مع الزيارة يكون قبل الزيارة.

لكن بعض الفقهاء اعتبروا أنّ معنى صلاة الزيارة هو سببية الزيارة لهذه الصلاة - كما نقول صلاة الطواف حيث تقع الصلاة بعد الطواف - الأمر الذي يعني أنّها تقع بعدها تلقائياً، وعلى مقتضى القاعدة ما لم يرد نصّ خاص في زيارة معينة بإيقاع صلاتها قبلها، فإذا صحّ فهم هؤلاء الفقهاء كان مقتضى الأصل إيقاع صلاة الزيارة عن بُعد - لو كان للزيارة عن بُعد صلاة - بعد الزيارة نفسها، والله العالم.

نعم، تُسبب لبعض العلماء السابقين المعاصرين للعلامة المجلسي المنع عن صلاة الزيارة إذا كانت الزيارة لغير النبي وسائر الأنبياء والأئمة والسيدة الزهراء عليها السلام، مثل زيارة أبي الفضل العباس، أو فاطمة بنت الإمام الكاظم، أو السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب، أو السيد عبد العظيم الحسيني أو غيرهم من العلماء والمؤمنين أيضاً،

(١) إضاءات ٥: ٣٣٠

وقالوا بأنّ صلاة زيارة مثل هؤلاء غير مشرّعة في الدين، وتعرّض هذا القول غير المشهور لمناقشات تراجع في مكانها.

هذا، ولا بدّ - عملاً - من الاجتهاد في القضية أو الرجوع إلى من يرجع إليه المكلف من الفقهاء المفتين، فقد تختلف الموارد والحالات عنده.

## هل شهر صفر شهر حزن وبكاء، أم أنه يختلف عن شهر محرّم الحرام؟<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: تذكر بعض الأخوات أنّ علينا أن نظهر الحزن في شهر صفر، من لبس السواد وعدم الذهاب للمطاعم والرحلات وتجنب التجمّل وعدم الذهاب لحفلات الزواج؛ لأنّ ثورة الحسين تستحقّ منا كلّ هذه التضحيات، وأنه وبفضل هذه الطقوس استمرت الثورة، وأنّ شهر صفر شهر حزن. السؤال: هل هذا صحيح؟ ومن أين أتت هذه الأفكار؟ وما هو تاريخ إقامة هذه الطقوس في شهر صفر؟

◆ الجواب: إنّ التفاعل مع قضية الإمام الحسين عليه السلام أمرٌ حسن في حدّ ذاته وفقاً للنصوص الكثيرة الدالّة على ذلك، ومن الجميل - بناءً عليه - أن يعيش الإنسان مظاهر الحزن والألم على هذا الإمام العظيم. والتعبير عن هذا الحزن مختلف، فبعض أشكال التعبير وردت فيها بعض النصوص والروايات الخاصّة، مثل الزيارة عن قرب أو بعد، والحزن والبكاء، وذكر مصابهم وتداوله، وإحياء ذكرهم وأمرهم، وغير ذلك، لكنّ بعضها الآخر إنّما هو تعبير بشري عن الحزن ليست فيه نصوص خاصّة ثابتة أو معتمدة، وفقاً للمعايير التي يعتمدها العلماء في التعامل مع الوثائق التاريخية والحديثية، مثل التطبير (ضرب القمامات)، ووضع الأقفال على الأبدان، وضرب السلاسل، واللطم العنيف المدمي، وشبه التعرّي الموجود أحياناً، والمشّي على النيران، والزحف والمشّي مشية الكلاب على أبواب

(١) إضاءات ٢: ٣٩٨



المراقد المطهّرة لأهل البيت .. فليس لدينا روايات خاصّة بهذه الأمور تثبت من الناحية العلميّة، نعم قد يكون بعضها مشمولاً للنصوص العامّة.

وقد ورد في بعض الروايات - وكذلك نصوص العلماء المتقدّمين كالشيخ المفيد - أنّ بعض الأئمّة كانت تظهر عليهم وعلى بيوتهم آثار الحزن في الأيام العشرة الأولى من شهر محرّم، وأنّ هذا معناه أنّه من الطبيعي اعتزالهم لمظاهر الفرح والابتهاج في هذه الأيام، ممّا يعني أنّها أيام حزن بالنسبة إليهم، وأنّ على الموالي لأهل البيت أن يقوم بذلك في هذه الأيام، لكننا لا نملك نصوصاً تتحدّث عن شهر صفر، ولا أعرف مستنداً يدلّ على أنّ الشيعة كانوا قبل العصر الصفوي يعرفون شهر صفر بوصفه شهر بكاء وحزن، مثله مثل العشرة الأولى من محرّم، كما ليس لدينا في الأحاديث الصحيحة ما يفيد ذلك، سوى قضية زيارة الأربعين في صفر، والتي لم تثبت بدليل خاصّ، كما بينت ذلك في جواب عن سؤال سابق، وإنّما هي ثابتة بدليل عام، والدليل العام لا فرق فيه بين صفر وغيره.

من هنا وفي حدود تتبّعي المتواضع، لم أعثر على نصوص أو أحاديث أو معلومات تاريخية ثابتة تؤكّد اعتبار صفر بنفسه شهر حزن، إلا إذا قلنا بأنّ الموالي لأهل البيت يعدّ الدهر كلّه عنده حزن وهذا أمر آخر.

نعم، هذا لا يمنع الحزن في بعض اللحظات في صفر، كما في حال الزيارة، أو حال شرب الماء أو غير ذلك، ممّا وردت فيه النصوص، إنّما كلامنا في وجود اعتبار ديني لشهر صفر بوصفه شهر حزن وبكاء، وهذا ما لم يثبت. والعلم عند الله.

## شهر صفر ليس شهر حزن، تعليقات على انتقادات<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: أحد المشايخ في منطقتنا علّق على ما نشرتموه في موضوع شهر صفر وأنه لم يثبت كونه شهر حزن بعنوانه، واستدلّ على أنه شهر حزن بعدة أدلة، وهي: سيرة العلماء القريبين من عصرنا كالإمام الخوئي، ومن عاصرنا من أساتذتنا العظام كالشيخ التبريزي والشيخ الوحيد وغيرهما من المراجع المقيمين في قم أو النجف، الكاشفة عن وجود سيرة متشرّعية وصلتنا يداً بيد منذ عصر المعصوم، ولا أقلّ من كون ذلك محتملاً؛ لأنهم لا يعملون مع هو مخالفٌ للاحتياط، مع كراهة لبس السواد في الشرع، وهذا يؤكّد وجود سيرة أو دليل لفظي. وأيضاً إنّ معالم الحزن في شهر صفر من مصاديق إحياء الأمر؛ لما في هذا الشهر من أحزان جرت على أهل البيت. وأيضاً التمسك بإطلاق نصوص لبس السواد، فإنّها غير محدّدة بشهر محرم الحرام ولا بالعشرة الأولى، بل هي مطلقة شاملة لكافة الأوقات والأيام حزناً على أبي عبد الله الحسين، وصفر شهر مصائبهم ﷺ. وأيضاً ما جاء في كتاب المحاسن من أنّ العلويات لبسن السواد والمسوح بعد عودتهنّ من كربلاء إلى المدينة، وهذا يدلّ على جعل أيام صفر أيام حزن وأسى؛ لأنهنّ قد دخلن المدينة في أوائل شهر ربيع الأول، وقد اتخذن تلك الأيام التي جرت فيها المصائب أيام حزن يرتدين فيها لباس أهل المصيبة. وأيضاً المقرّر في محلّه أنّ الشعائر الحسينيّة تنقسم إلى شعائر منصوصة وشعائر مخترعة، والمخترعة تشملها العمومات الدالة على مشروعية كلّ شعيرة شعيرة. والقول بتوقيفية الشعائر ممنوع، كما فضّل في محلّه. وأيضاً ما جاء في المستدرک من ارتداء العلويات بل القرشيات السواد في الشام بعدما أذن

(١) إضاءات ٤٢٠:٥

لهنّ يزيد بالرجوع، وهذا دليل على لبس السواد خلال شهر صفر المظفر، وقد أمضى الإمام زين العابدين فعلهنّ، ما يكشف عن محبوبية ذلك فضلاً عن مشروعيته، ويمكن أن يستشرف ذلك من خلال رواية أحمد بن إسحاق الواردة في عيد ربيع المولود، فإنّ اتخاذ يوم التاسع منه يوم عيد يكشف عن الخروج من حالة حزن وأسى ودخول في حالة فرح وسرور، ولا يبعد أن يكون ذلك لنزع السواد الذي كان متخذاً لشهري محرم وصفر، فتأمل. بل قد تضمّنت الرواية المذكورة التصريح بأنّه يوم نزع السواد، وهذا يساعد على ما ذكرناه من ارتداء الأسود خلال هذين الشهرين حتى حلول يوم العيد. وقد يؤيد المقام وأنّ السواد شعار كلّ مؤمن يعيش الحزن على الحسين بما فعله العباسيون في ثورتهم باتخاذهم السواد شعاراً، مظهرين الحزن على الإمام الحسين، وهذا يكشف عن كون السواد يعدّ مظهراً من مظاهر الحزن والأسى والتفجّع بلبسه كلّ من يعيش الألم والأسى. انتهى. شيخنا الكريم، هذه تقريباً عبارات الشيخ الذي كان يريد. على ما يبدو. أن ينتقدكم؟ فما تعليقكم؟

♦ الجواب: بعد الشكر لكم وللشيخ الناقد الموقر حمّاه الله (ولو بناءً على احتمالكم كونه ناقداً لي)، لو تسمحون لي ببعض التعليقات، التي سأسير بها على وفق سيركم في ذكر ملاحظاته المشكورة، وأتمنّى أن تُقرأ تعليقاتي بهدوء، وتلاحظ عباراتها وقودها جيداً؛ رفعاً لأيّ التباس:

أولاً: إنّ الاستدلال بسيرة بعض العلماء المعاصرين غير دقيق هنا؛ وذلك:

١. إنهم قد يكونون استندوا إلى عمومات إحياء الأمر، وليس إلى اعتقادهم بخصوصية صفر، أو أنّهم وجدوا سيرة الناس

على ذلك فأقرّوا هذه السيرة؛ كونها توافق المصالح المذهبيّة والمقاصديّة والشعائريّة العامّة، الأمر الذي يسمح بالتغاضي عن إشكاليّة الكراهة الأولى في لبس السواد، ومن ثم لن تكون هذه السيرة دليلاً بنفسها ولا بكاشفٍ عن دليل مستقلّ غير ما سيأتي من أدلّة.

٢. إنّ الناقد الموقّر نفسه قال بأنّها - لا أقلّ - تعطي احتمال وجود سيرة متشرّعية متصلة بعصر النصّ، لكن من الواضح - كما درسنا جميعاً في أصول الفقه - أنّ احتمال السيرة المتشرّعية لا يفيد شيئاً في مقام إثبات حكم شرعي، بل لا بدّ للسيرة أن تكون ثابتة، ولهذا ذكر السيد محمّد باقر الصدر رحمه الله في بحوثه الأصوليّة طرقاً عدّة لإثبات السيرة المتشرّعية في عصر النصّ، وعليه فلا يكفي احتمال السيرة، لا لإثبات حزنيّة شهر صفر بنفسه، ولا لرفع كراهة لبس السواد لو كانت الكراهة الأولى ثابتة فيه؛ فإنّ تخصيص العام أو تقييد المطلق لا يكون بالدليل المحتمل، كما هو واضح.

٣. أضف إلى ذلك أنّنا نحرز عدم وجود سيرة متصلة بزمان النبي وأهل بيته، فلم يذكر أيّ مؤرّخ ولا محدّث على الإطلاق - فيما بد لنا - أنّ الشيعة في القرون الثلاثة الهجريّة الأولى كانت تعيش الحزن في شهر صفر كلّ عام، وأنّهم كانوا يرتدون السواد ولو في بيوتهم ويتداعون له، ولم يُشر أيّ فقيهٍ إلى هذا الموضوع إطلاقاً ليخصّص أو يقيّد به أدلّة كراهة لبس السواد، أو يفتي بموجبه باستحباب الحزن في هذا الشهر بخصوصه، بحيث تكون له ميزة على سائر الشهور، فكيف ندّعي احتمال الاتصال

في السيرة، رغم خفاء كل هذه المؤشرات التاريخية والحديثية والفقهيّة عبر مدّة تزيد عن ثلاثة عشر قرناً تقريباً؟! وهل يعقل معروفيّة عنوان الحزن لهذا الشهر (صفر) - لأنّ السيرة تقتضي العموم والاشتهار عادةً حتى تكون سيرة - ومع ذلك لا تشير إليها آية وثيقة تراثية أو تاريخية؟!!

٤. وأمّا أنّ العلماء المعاصرين لا يعملون بما هو مخالفٌ للاحتياط، فنسأل: هل مخالفة المكروه (لبس السواد) تعدّ مخالفة سيئة للاحتياط؟ ثم - لو سلّمنا - فلعلّهم يرون دليل إحياء الأمر حاكماً على دليل الكراهة، فيرتفع بذلك الإشكال عندهم، وسيأتي التعليق على الاستدلال بدليل إحياء الأمر. وأين هذا من خلق فتواهم أو مواقفهم لسيرة متشرّعية تتصل بعصر يرجع إلى أكثر من ألف سنة قبلهم؟!!

ثانياً: إنّ الاستدلال بدليل إحياء الأمر، وكذلك الاستدلال بعمومات الشعائر - بعد القول بعدم التوقيفية في الشعائر - هو استدلالٌ لطيف، ونصرف النظر عن المناقشة في أصله، فإنّه خلاف مبني، لكن لو تمّ الاستدلال بالشار إليهما (دليل إحياء الأمر ودليل عمومات الشعائر) فماذا يفيدان؟ إنهما يفيدان الاستحباب العام لإبداء الحزن على الحسين عليه السلام، لكن هل بحثي كان في مطلق إبداء الحزن على الإمام الحسين في شهر صفر، أو في كون شهر صفر بعنوانه شهر حزن في الشرع الحنيف؟ وقد درسنا بأجمعنا عند أساتذة الحوزة العلميّة أنّ هناك فرقاً بين استحباب الشيء بعنوان عام، واستحبابه بعنوانه الخاص، وتكلّمْتُ سابقاً عن هذا الموضوع في جوابٍ آخر، فمثلاً العمومات تشير بعموميتها إلى استحباب إحياء

الأمر في شهر رمضان أيضاً، لكن هل هذا يثبت أن شهر رمضان - بما هو شهر رمضان - هو شهر حزن حسيني، أو هو مجرد مصداق للعنوان العام، بلا فرق بينه وبين سائر الشهور من حيث نسبتها إلى الدليل العام الأمر بإحياء الأمر؟

لقد قلتُ في جوابي السابق حول شهر صفر ما يلي: (.. لا نملك نصوصاً تتحدث عن شهر صفر، ولا أعرف مستنداً يدل على أن الشيعة كانوا قبل العصر الصفوي يعرفون شهر صفر بوصفه شهر بكاء وحزن، مثله مثل العشرة الأولى من محرّم، كما ليس لدينا في الأحاديث الصحيحة ما يفيد ذلك، سوى قضية زيارة الأربعين في صفر، والتي لم تثبت بدليل خاص، كما بينتُ ذلك في جواب عن سؤال سابق، وإنّما هي ثابتة بدليل عام، والدليل العام لا فرق فيه بين صفر وغيره. من هنا وفي حدود تتبّعي المتواضع لم أعر على نصوص أو أحاديث أو معلومات تاريخية ثابتة تؤكّد اعتبار صفر بنفسه شهر حزن).

إنّ هذا النصّ واضح في أنّه يتحدث عن اعتبار شهر صفر (بنفسه) شهر حزن، لا عن إمكانية تطبيق العمومات عليه، بما لا يميّزه عن سائر الشهور التي يمكن تطبيق هذه العمومات عليها أيضاً.

ثالثاً: أما الحديث عن التمسك بإطلاق نصوص لبس السواد، من حيث عدم كونها خاصّة بشهر محرّم، فهذا يمكن أن يناقش:

أ. هل توجد نصوص خاصّة أصلاً في (الحثّ) على لبس السواد في العزاء ثابتة ومعتبرة (على مبنى حجية خبر الثقة أو على مبنى الوثوق) ولها إطلاق، حتى نتمسك بها؟ (طبعاً غير مبدأ إحياء الأمر وعمومات إقامة الشعائر، التي تحدّثنا عنها قبل قليل)؟

حبّذا لو يرشدنا إليها الناقد العزيز، مع أنّ الإطلاق الأوّلي للنصوص العامّة في لبس السواد يفيد كراهيته وليس الدعوة إليه، ولهذا بحثوا في كميّة إخراج حالة العزاء الحسيني عن تحت إطلاق أو عموم كراهة لبس السواد، فلترجع كلماتهم. ولعلّني فهمت مراد الناقد الموقّر خطأً. واللافت أنّه هو نفسه قد أقرّ بأنّ لبس السواد مكروهٌ في أصل الشرع، وذلك عند مقارنته للدليل الأوّل الذي ذكره، وهو سيرة العلماء المعاصرين، فراجع.

ب. إنّ ما هو موجود بين أيدينا من نصوص لبس السواد في حال العزاء (وقد جمع أكثره الشيخ محمّد سند، في كتاب: الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: ٣٨٣ - ٣٩٠). إنّ ما هو موجود بين أيدينا من نصوص لبس السواد في حال العزاء أغلبه يحكي عن أفعال، وليس عن نصوص لفظيّة لها حيثيّات إطلاقيّة، ولو كان هناك خبر معتبر فيه هذا الإطلاق فمن النافع إرشادنا إليه لنستفيد إن شاء الله، وإذا كانت النصوص تحكي عن أفعال، فهذا معناه أنّ الإمضاء لا يُعلم أنّه راجع لكون لبس السواد بعنوانه ثابت الاستحباب، بل قد يكون لكونه مصداقاً للعمومات، فليست نصوص لبس السواد ذات دلالة أزيد من دلالة العمومات حيثنّذ فتأمّل جيداً.

ج. إنّ ما دامت كثير من روايات لبس السواد في العزاء عبارة عن أفعال تمّ السكوت عنها، فإنّ غاية ما يفيد ذلك هو سقوط كراهة لبس السواد في العزاء، وثبوت إباحته بالمعنى الأخص، أمّا إثبات استحبابه فهذا لا تفني به الكثير من نصوص لبس

السواد في العزاء، فراجع، فعندما تلبس بعض النسوة السواد على شهيدٍ معيّن، ويكون ذلك بمرأى النبي أو الإمام، ثم يسكت، وينطلقن في هذا الأمر من الأعراف العامّة الجارية عند كثير من الشعوب - كما قال الناقد العزيز هنا أيضاً - ففي هذه الحال، لا يكون السكوت دليلاً على استحباب لبس السواد في العزاء بعنوانه، ما لم تقم قرينة خاصّة، بل دليلٌ على سقوط كراهة اللبس على أبعد تقدير، ومن ثم فلا استحباب يحتاج إلى عمومات إحياء الأمر وغيرها، ولهذا لو تغيّرت الأعراف وصار لبس السواد عنواناً للفرح، ولبس اللون الأزرق هو المتعارف في الحزن والعزاء، فإن مقتضى عمومات العزاء وإحياء الأمر هو لبس الأزرق؛ لكونه مصداقاً لها، لا لبس الأسود الذي صار عنواناً للفرح عرفاً، وما ذلك إلا لأنّ استحباب لبس السواد ليس بعنوانه، وإنما لكونه مصداقاً لعمومات إحياء الأمر والعزاء، فلاحظ جيداً.

د. إن إطلاق لبس السواد في العزاء - لو تمّ - لا يفيد في كون شهر صفر بعنوانه شهر حزن بالاعتبار الشرعي؛ لأنّ نسبة هذا الإطلاق إلى جميع الشهور واحدة، فلاحظ جيّداً كما أشرنا من قبل، فنحن لا نتكلّم في مطلق العزاء في شهر صفر، بل في كون هذا الشهر يملك خصوصية دينيّة في هذا الموضوع، بحيث يعتبر بنفسه وعنوانه شهر حزن في الدين الحنيف.

رابعاً: أمّا الاستدلال بلبس العلويّات في الشام، وفي طريق العودة، وعند الدخول إلى المدينة، السواد بمرأى ومسمع من الإمام زين العابدين، فهذا لا يُثبت عنوانيّة شهر صفر للحزن شرعاً، بل هو لا



يُثبت شيئاً يُذكر، وذلك أنّ سكوت الإمام غاية ما يفيد رضاه عن حزنهنّ الذي جاء بعد الشهادة المباركة، ولا يكشف عن استحباب تكرار هذا الحزن في كلّ سنة في نفس الوقت، وإنّما الدليل على التكرار في محرّم هو النصوص الخاصّة الدالّة عليه، وهذا ما نعرفه من خلال التأمل فيما درسناه في أصول الفقه في مباحث حجّة الفعل أو الإمضاء، فإنّ الفعل والإمضاء يحدّدان بحدودهما، وليس فيها إطلاق إلا بقرينة، فلو كنتَ مع الإمام وتوفّي صديق لك، ثم بكيت عليه، وسكت الإمام عن بكائك، بل امتدح بكاءك، وكان ذلك في شهر جمادى الأولى، فهل هذا يدلّ على أنّ الإمام يعطيك حكماً باستحباب البكاء على هذا الصديق في كلّ سنة في هذا الوقت من جمادى الأولى أو غاية ما يدلّ عليه هو حُسن البكاء على الصديق عقيب موته، بصرف النظر عن خصوصيّة الزمان التي لا تلحظ هنا عادةً؟

ولكي أوضح مرادي أكثر: هل نستطيع من خلال استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في شهر محرّم مثلاً أن نفتي ونقول: يستحب الاستشهاد في شهر محرّم؟ أو أن نقول: إنّ شهر محرّم مجعول شرعاً شهر استشهاد للمسلمين؟ هل يستتج الفقهاء مثل هذه النتائج؟ إنّ ما حصل هو أنّه صادف أنّ عودتهنّ كانت في شهر صفر، ومن ثم لا نستطيع أن نجعل سكوت الإمام دليلاً على خصوصيّة صفر هنا ما لم تقم قرينة خاصّة في المقام.

ولعلّ الناقد الموقر ظنّ أنّنا نرى حرمة السواد أو العزاء في شهر صفر، حتى يأتينا بأدلة على وقوعه في هذا الشهر بمرأى من الإمام زين العابدين! مع ضرورة أن أشير أيضاً إلى أنّ بحثي في شهر صفر لا



صفر ومحرم أيام لبس السواد؛ لأنّ هذا التعبير في لغة العرب لا يعني أكثر من كون التاسع من ربيع يوم فرح، ففي هذا اليوم لا يوجد حزن، فكلّ من لديه حزن ففي هذا اليوم ينزع الحزن عن نفسه، وكأنّه يقول: انزعوا في هذا اليوم كلّ مظاهر الحزن التي قد تكون عندكم، وأعلنوه يوم فرحة وعيد.

وإذا لم يصحّ تفسيري لهذه الكلمة وفقاً للفهم الأدبي العربي الذي أزعمه، والذي ينطلق من فهم جنسيّة الألف واللام في كلمة (السواد) وليس العهديّة، فلا أقلّ من كونه محتملاً جداً، فيسقط ظهور الحديث فيما ذكره الناقد الموقر وتصبح دلالته إشعاراً، والإشعار في الدلالة ليس بحجّة لو حده كما درسنا في أصول الفقه.

د. بل لو سلّمنا بدلالة هذه الرواية على سبق لبس السواد على يوم التاسع من ربيع الأوّل، فهل يدلّ ذلك بالضرورة على أنّ لبس السواد يسبق هذا اليوم إلى بداية صفر؟ هل الرواية تشير إلى هذا التحديد الزمني؟ إنّ غاية ما تدلّ عليه هو كون ما قبله أيام حزن، ولكنّه لا يحدّد المدى الزمنيّ للحزن الذي قبله، فقد يكون من بداية ربيع الأوّل وحتى التاسع من ربيع هي أيام حزن في الشرع، فكيف نتأكّد من أنّ هذا الحديث يدلّ بنفسه على كون شهر صفر بعنوانه شهر حزن؟!

إنّ السبب الذي دفعنا لتصوّر إشارة الحديث إلى شهر صفر ومحرم معاً هو اعتيادنا اليوم على كون الحزن يرتفع في نهاية صفر، لكنّ الحديث بنفسه لا يفيد هذا، بل غاية ما يثبت وجود حزن قبل التاسع من ربيع، فنأخذ بالقدر المتيقّن من تحقيق

عنوان الحزن قبله ليرتفع فيه، وأين هذا من اعتبار شهر صفر  
كلّه شهر حزن وبكاء؟ أرجو التدقيق جيداً.

هذا، إن لم نقل بأنّ حياة الشيعي كلّها هي حياة سواد وحزن  
إلا ما خرج بالدليل، وهو احتمال يتساوى فيه صفر وغيره،  
وكنت قد ذكرته في جوابي السابق حول شهر صفر فراجع.

سادساً: وأمّا أنّ السواد هو شعار الحزن وأنّه شعار الحزن عند  
العباسيّين، فهذا لا شأن لنا به، فنحن ليس كلامنا في لبس السواد،  
بل في اعتبار شهر صفر بعنوانه شهر حزن، بصرف النظر عن كيفة  
التعبير عن هذا الحزن، فقد تمّ الخلط بين موضوعين في هذا السياق،  
فليتنّبّه جيداً.

وأشير أخيراً، إلى أنّنا عندما نقول بأنّ شهر صفر لم يثبت أنّه  
شهر حزن بعنوانه في الشرع الحنيف، لا نكون بذلك داعين للفرح  
والسرور في هذا الشهر أو محاربين لمن يريد أن يحزن، كلّ ما نريد  
قوله هو أنّ هذا الشهر مثله مثل سائر الشهور في السنة، فمن شاء  
أن يحزن فيه إحياءً للأمر واستجابةً للعمومات، فهذا شأنه وحقّه،  
ومن شاء أن لا يحزن فيه بما لا يؤدّي إلى هتك حرمة القضية  
الحسينيّة، فهذا حقّه الطبيعي وقناعته المشروعة، أسأل الله لي ولكم  
التوفيق والبصيرة.



القسم الثالث  
عاشوراء، فكر وثقافة



## عاشوراء والجدل المتكرّر كلّ عام، ما هو الموقف من هذا الجدل؟ وكيف نتعامل مع هذا الخلاف؟<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: عاشوراء قادمة هذا العام، ومعها الحزن والجدل. وفي كلّ عام تثار قضايا عاشوراء من على المنابر، ومن خلال المحطات الفضائية وقنوات التواصل الاجتماعي، وتحتدم المعارك بين المؤمنين أنفسهم، حتى تصل الأمور إلى القطيعة والمقاطعة والاتهامات والتسقيطات. نفس القضايا تثار في كلّ عام من التطبير واللطم والبكاء والجزع وبكاء الناس في المآتم بغضّ النظر عن المضامين وواقع القصص الرويّة، وهل توافق الموازين الشرعية أم لا. هل تزوّج القاسم في ليلة كذا؟ وهل تكلم رأس الحسين ﷺ وهو على الرمح؟ وهل بكت الأرض والسماء دماً ووجد الدم تحت كلّ حجر ومدر عند استشهاد الإمام؟ وهل تحضّر فاطمة سلام الله عليها مجالس الحسين؟ وهل يستحبّ تقبيل كلّ ما يرتبط بالمآتم الحسينيّة من الأخشاب والأبواب والحيطان؟ وهل يستحبّ التمسّح بعرق المؤمن الذي تعرّق وهو في العزاء الحسيني؟ وهل وهل وهل؟ والسؤال شيخنا هو: كيف نتعامل مع كلّ هذه القضايا؟ وكيف نضبط إيقاع المنبر العاشورائي مع كلّ هذه الاجتهادات والاختلافات بين العلماء؟ وكيف نحول المنبر الحسيني إلى منبر إسلامي وليس منبراً شيعياً؟ ألا يستحسن أن نسكت عن هذه القضايا وعدم إثارتها؛ لأنّ البعض يقول: إنّ الجدل فيها يزيد النار اشتعالاً وتتوسّع دائرة المتمسّكين بها؟ ويقول آخر: إنّه إذا دققنا في تاريخ الطف (وكما فعله الشهيد المطهري) على طريقة الموازين الفقهيّة، فلن يبقى من التاريخ شيء وسوف لن يتفاعل الناس مع الأحداث كتفاعلهم اليوم. ما هو رأيكم وتعليقكم؟

(١) إضاءات ١: ٤٨٣

لو تسمحون لي أخي الكريم ببعض الوقفات هنا:

١. من حقّ بل من واجب كلّ إنسان أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويبيّن ما يراه واقع الإسلام، حيث يرى انحرافاً أو خطأً، وهذه هي مهمّة مقدّسة قام بها كلّ الأنبياء والرسل والأولياء والصلحاء والمصلحين عبر التاريخ، فعندما يجد المؤمن أو العالم أو العامل انحرافاً مقصوداً أو غير مقصود، فإنّ من واجبه أن يقومّه بالأساليب الصحيحة المؤثرة والفاعلة، وأن لا يتخلّى عن واجبه هذا بحجّة أنّ فيه صعوبات عليه أو أنّ في طريق هذا الأمر عقبات أو عوائق.

٢. هناك مبدءان يقفان أمام بعضهما بعضاً في بعض الأحيان، وهما مبدأ كشف الحقيقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح حال المسلمين وفكرهم، ومبدأ الوحدة الإسلامية والإيمانية ولم الصفوف وتحصيل حالة التآلف والتقارب، وفي بعض الأحيان يطغى أحد المبدئين على الآخر بشكل يصبح الحكم واضحاً والموقف جلياً، فلو بغت فئة مسلمة على فئة مسلمة أخرى وقاتلتها واعتدت عليها، فإنّ مبدأ رفع الظلم وإصلاح حال المسلمين برفع الاعتداء يصبح مقدّماً على مبدأ الوحدة والتقارب، ولو أدّى الإصلاح إلى التنازع والتدابير والتخاصم بحيث يشقّ عصا المسلمين دون رجاء تحقيقه لأيّ مطلب يذكر، فإنّ ما يجب فعله هو التوقف مرحلياً عن ذلك أو تغيير آلية التعاطي مع الموضوع لصالح مبدأ الأخوة الدينية والوحدة الإسلامية والإيمانية.



ولكن في بعض الأحيان تلتبس الأمور وتصبح أكثر تعقيداً، فيغدو الجوّ ضبابياً لا تتضح فيه الرؤية، فإذا سكت المصلح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وأقصد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما هو أعمّ من معذوريّة الطرف الآخر وعدمها، على تفصيل عاجته في كتابي: فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، فقد يساعد ذلك على تكريس حال الانحراف بحيث لن يعود بإمكان الأجيال اللاحقة أن تحدث تغييراً نحو الأفضل، وهنا قد يرى أنّ الكلام ولو أوجب بعض التشويش إلا أنّه على المدى البعيد سيمنع عن تكريس الخطأ وصيورته أمراً مسلماً، فمن الضروري أن يبقى الطرف الآخر قلقاً لا يعيش استقرار مشروعه. وربما يرى المصلح أنّ سكوته في هذه الحال ضروريٌّ؛ انطلاقاً من أهميّة ملفّات آخر ينبغي تداولها غير هذا الملف، أو لأنّ الحديث في هذا الموضوع سيكرّس الخطأ بدل أن يلغيه.

وهنا لا تخضع المسألة لموقف شرعي بقدر ما تخضع لموقف تقويمي للواقع من طرف الداعية أو المصلح أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أيّ اسم اخترنا له. وإنّني من موقع قراءتي الشخصية أعتقد أنّ الخيار الأوّل هو الأرجح في عصرنا الحاضر، شرط شموله لمختلف القضايا التي تحتاج لتجديد نظر وإصلاح، وأنّ سكوت العلماء والمفكرين والمصلحين عمّا يرونه من أخطاء وظواهر غير سويّة - من وجهة نظرهم - سيفضي إلى دخولنا في مرحلة انغلاقية قاتلة قد تستمرّ عقوداً، وستذهب بتيار النهضة والإصلاح بعيداً حتى تكاد كلّ جهوده منذ الخمسينيات، تتلاشى، كما أنّ النهضويّ يقف الآن بين المطرقة والسندان،

فمن جهة يواجه التيارات الداخلية الراضية لأغلب تغييراته ومن جهة ثانية يعاني من الصورة التي تقدّم للإسلام من قبل هذه التيارات والتي يرى أنّها تتجه بالجيل الشبّابي القادم نحو رفض الدين بأكمله. ولا أرى ذلك - أي السكوت - في مصلحة الإسلام والمسلمين في عصرنا الحاضر الذي بات فيه التيارات ذات العقل السلفي - بالمعنى العام للكلمة - تتجه للإمساك بمصير المسلمين، وعلى الإسلام والفكر والعقل والاجتهاد بعد ذلك السلام.

٣. عندما نرجّح خيار الاستمرار في جهود الإصلاح وعدم السكوت، فهذا لا يعني استخدام أيّ أسلوب في هذا المجال، فهناك فرق بين أن أنتقد المرجعيّة مثلاً بطريقة النقد العام، فأقول بأنّ المرجعيّة الساكّنة غير الحاضرة في حياة الناس هي مرجعيّة نحتاج لبديل عنها، وبين أن أنتقد بطريقة النقد الشخصي التهكّمي المستفزّ بنوعه، كأن أقول: إنّ فلاناً من المرجعيّات لا علم له ولا يصلح للمرجعية الدينية وغير ذلك، مما يثير بطبعه حفيظة الناس. وكذلك الحال في الوسيلة الإعلاميّة التي لا بدّي أن أستخدمها في حركة النقد، فبعض الوسائل - كالإعلام المرئي - تتحمّل قدراً من النقد، فيما بعض الوسائل الأخرى - كالكتب والمؤلّفات - تتحمّل قدراً أكبر، تبعاً لحجم الصدم الجماهيري الذي تمارسه وسيلة الإعلام عندما يتمّ النقد عليها.

ويخطأ الناقدون والمصلحون عندما يبدون فقط فقط وناقدين، بحيث يشعر محيطهم بالاشمئزاز من تذرّهم المتواصل من الواقع، فلا تجدهم يبحثون بحثاً موضوعيّة حياديّة، ولا

يتناولون موضوعات غير ملغومة اجتماعياً، ولا يشتغلون على تقديم بدائل، وهذا من الأخطاء أيضاً. وهكذا أسلوب السبّ واللعن والحكم بضلال الآخر وتضليله أو فسقه وانحرافه الأخلاقي أو التشكيك بعدالته وتدينه وغير ذلك من الأساليب الفاسدة، فإنّ هذا كلّه وأمثاله ينبغي أخذه بعين الاعتبار، ودراسة كلّ عناصر الجدوائية والأخلاقية في المنهج والأسلوب المعتمدين، الأمر الذي قد يختلف من منطقة إلى أخرى ومن موضوع لآخر وهكذا.

٤. في إطار النقطة الثالثة ينبغي التمييز بين حالتين من الاستفزاز، حالة يمكن القول بأنّها مستفزة بطبعها، وحالة أخرى يمكن القول بأنّها بطبعها غير مستفزة، لكنّ الآخر صار مصاباً بمرض الحساسية الزائدة بحيث يعتبر حتى النقد العادي أمراً مستفزاً، والإنسان المصلح مسؤول عن الاستفزاز ذي النوع الأوّل لا الثاني إلا نادراً، فمن حقّ المؤمن عليّ أن لا أهينه أو أجرح مشاعره أو أسخّفه أو أتعرّض لمقدّساته بطريقة غير أخلاقية، لكن ليس من حقّه عليّ أن لا أنتقده إذا لم يكن في النقد إهانة وإنّما فيه انزعاج منه بحيث هو يعاني من مشكلة عدم تقبّل النقد ولو الأخلاقي. وهذا يعني أنّ منعه إيّاي من النقد بحجّة أنّه بات ينزعج منه أو يستفزّه لن يؤدّي إلا إلى سلب حقّي في النقد والتعبير، وسلب حقّي في ما أراه أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وإرشاداً للآخرين إلى ما أعتقده بيني وبين ربّي صلاحاً، وليس من حقّه عليّ ذلك حتى أتنازل عن حقّي في النقد والإصلاح الواجبين عليّ في الأصل، وهذه مسألة مهمّة جداً.

إنَّ النقدَ حقٌّ شرط أن يكون أخلاقياً من حيث النوع، بحيث لو عرضناه على محايدٍ لما أبدى فيه ممانعةً أخلاقيةً، ولا ينبغي أن نسمح للآخرين بسلبنا هذا الحق، وإلا فقد يقول الطرف الآخر الناقد بأنه أيضاً بات يزعج من هذه المقولات التي يذكرونها على المنابر، فهل يحق لنا أن نمنعهم ونسلب حقهم بحجة أن الطرف الآخر الناقد أيضاً بات يستفز ويزعج ويتذمّر من طرح هذه الأمور من على المنابر أو شاشات التلفزة؟ كلا، ليس من حق الطرف الناقد هذا أيضاً.

٥. إن المنبر الحسيني منبرٌ حرٌّ، وإنني أوافق العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي حفظه الله في بعض حواراته التي ذهب فيها إلى رفض ضبط المنبر عبر نقابة أو مؤسّسة؛ لأنّ هذا يفضي إلى قولبة المنبر على المدى البعيد بطريقة أو بأخرى، وليس من إمكانية لضبط المنبر الحسيني سوى بالبحث والنقاش والتداول، ورفع المستوى الثقافي العام، وتأهيل الخطباء أكثر فأكثر، ووضع الحد الأدنى من شروط التصدي لهذه المهمة الجليلة، والسماح بتدخّل العلماء والمرجعيّات والفقهاء والمحدّثين والمؤرّخين، وقيامهم جميعاً بمهامّ النقد والتوجيه والتصويب والإرشاد لهذا المنبر الكريم.

إنّ نقد المنبر وبعض المظاهر الشعائريّة ليس إهانةً لهما، ولا هتكاً للحرّمات، عندما يكون نابعاً من الحرص ومتحلياً بدرجة عالية من المهنية والأخلاقية، ولا يحقّ لرجال المنبر الحسيني الذين شرفهم الله بهذا المنصب أن يعتبروا نقدهم نقداً للحسين عليه السلام، فلنكفّ عن إسقاط المقدّس على ذواتنا.

إنّني أدعو الناقدین هنا لتقدیم بدائل فمن یتمكّن - بحسب إمكاناته المادية والمعنوية - من تأسيس معاهد لإعداد الخطباء وتأهيلهم بالطريقة التي يراها صحيحةً، عليه أن لا یتكفي بالنقد ويعيش عقده أو شهوته، بل يعمل على تأهيل الخطباء، وقبل ذلك لابدّ من إعداد الموادّ العلميّة والعملية عبر مركز دراسات حسینی حقیقی، يعالج كلّ القضايا الحسینیة فی التاريخ والشعائر والمسلكیات بطريقة بحثية جادة، مستمعاً لكلّ الاتجاهات والمقولات على اختلافها وتناقضها. وقد بذلت جهود مشكورة تصبّ فی هذا الإطار فی الجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة خلال الخمس عشرة سنة الماضية، وجرى تأسيس مؤسّسات مفيدة ومنتجة ومثمرة والحمد لله، وهذا ما يحتاج إلى تعمیم وتطوير أكثر، وقد بلغنا أنّ نشاطات شبيهة حصلت فی مناطق أخرى، وأنّ بعض التوجّهات فی هذا الصدد موجودة على مستوى الساحة العراقيّة حالياً، نأمل للجميع النجاح فی ذلك والتوفيق.

٦. لا أجد تنافياً بين البعد المذهبي والإسلامي والإنساني فی الموضوع الحسینی والشعائري، فالموضوع له أبعاد متعدّدة، ولا یصحّ نحر البعد المذهبي المتجلّي فی قضیة الإمامة لصالح أبعاد آخر، وهناك فرق بين الدعوة لاستحضار البعد الإسلامي والإنساني العام فی قضیة الثورة الحسینیة وشعائرها، وبين استبدال البعد المذهبي بهذين البعدين. أعتقد أنّ الأوّل هو الصحيح، فنحن اليوم أمام صراع حضارات، ومن یرید أن يدّعي أنّه حضارة وأنّه بديل عن الغرب والشرق، عليه أن یقدّم خطاباً ورؤية قادرين على عبور القارات. والثورة الحسینیة مادة جيّدة فی تقديري لهذا الأمر بالنسبة للشيعة والمسلمين، عندما یجري فیها الجمع بين

البُعد المذهبي والبعد الإسلامي والإنساني معاً، فحذف أحد هذه الأبعاد ليس مناسباً، وإذا كان البعد الإسلامي أو الإنساني غير حاضر بالشكل المطلوب فهذا لا يعني المطالبة بجعل البعد المذهبي باهتاً، بل يعني ضرورة استحضاره بطرق متناسبة تحفظه وفي الوقت عينه تؤمّن حاجة البعد الإسلامي والإنساني أيضاً.

٧. ليسمح لي السائل المحترم بأن أبدي أسفي وحر جي من القول بأن ممارسة النقد التاريخي والدعوة للتثبّت من وقائع كربلاء تاريخياً تستدعي عدم بقاء شيء من هذه الحادثة ليقال للناس ومن ثمّ ليستدرّ دمعتهم وبكاءهم! هل يُعقل أنّ مذهباً عريقاً كالشيّع - بفرقه المتعدّدة من الإماميّة والزيدية والإسماعيلية وغيرهم - لم يتمكّنوا عبر هذا التاريخ من أن ينقلوا أعظم قصّة مأساويّة حصلت معهم في تاريخهم؟ أين كان إذاً العلماء والمؤرّخون والباحثون كلّ هذه المدّة، حتى إذا ما أعملنا معاول النقد السندي والتاريخي لن يبقى شيء معتمد يتركوه لنا يفي بأن نقصّه على الناس ليستدرّ دمعتهم؟! كيف نجحوا في نقل النصوص العقديّة والفقهية والأخلاقيّة وبأعداد هائلة ولم ينجحوا في هذا هنا؟! أرى هذا إمّا فضيحة أخجل من قولها أو أنّ ما نريد أن نستدرّ به دمة الناس قد رفعنا سقفه ليتجاوز حدود عمل المؤرّخين ومنجزاتهم، فأخرجناهم ومن ثمّ أخرجناهم من دائرة الحكم على ما نقصّه على الناس.

إنّني أعتقد بأنّ ما تركه المحدثون الشيعة بمذاهبهم ومعهم المؤرّخون وعلماء الرجال والتراجم - إلى جانب ما تركه لنا الآخرون من المذاهب الأخرى في نصوص التاريخ والرجال والحديث - حول

القضية الحسينية، يمكن أن يكون مفيداً جداً ونحصل منه على صورة موثوقة لهذا التاريخ الحسيني، حتى لو أعملنا معاول النقد التاريخي؛ فإنّ تظافر القرائن وتعدّد المصادر وكثرة الطرق وتعاضدها وتداول الموضوعات بشكل متنوّع ومختلف بين المذاهب المتعدّدة، من شأنه أن يوصلنا إلى مكان محمود.

لكنّ بعضنا اليوم لم يعد يكفيه ما سيحصل عليه المؤرّخ بعد البحث التاريخي، ويراه قليلاً غير وافٍ بالقيام بعملية مبالغة أو غير مستجيب للمستوى القصصي الذي يريده هو، وإلا فلا يصحّ أن نقول بأنّ المحدثين والمؤرّخين وعلماء الرجال الشيعة قد تركوا لنا واهتمّوا أعظم الاهتمام بقضايا فقهية وأخلاقية تفصيليّة أوصلوها إلينا بنحو الدقّة والثبّت، أمّا في أعظم القضايا التاريخيّة لم نجد عندهم مثل هذا الاهتمام! ويكفينا في مجال التعرّف على السيرة الحسينية نصوص الزيارات التي يحظى بعضها بوثوق وتوثيق تاريخي وسندي جيّد، وهي تحوي معلومات مفيدة لو حلّلناها.

إنّني أسأل: هل هذه الموازين المعمول بها في الفقه على مستوى الثبّت التاريخي من النصوص هي موازين صحيحة ومطلوبة أم هي مبالغات من الفقهاء والأصوليين؟ فإذا كانت هي الموازين التي يفترض أن تعتمد في مجال الثبّت من النصوص، فلا فرق بين المسألة التاريخية والمسألة الفقهية في منهج التوثيق التاريخي للنصّ أو الحدث من الناحية العقلانية، بل بعض المسائل الفقهية أقلّ أهميّة أحياناً من بعض المسائل التاريخية، كما أنّ دوافع الوضع والكذب والاختلاق في المسألة التاريخية (التي تشكّل خلافاً سياسياً ومادّة تراجميّة) أكبر منها في المسألة الفقهية عادةً، الأمر الذي يفرض تشدّداً توثيقياً في

الموضوع التاريخي يزيد على مثيله في الموضوع الفقهي؛ لأنّ مسألة التثبت من نصّ أو حدث تاريخي تعتمد على منهج لا يفرّق فيه في نوعية ما تريد أن تثبته، بحيث يحقّ لك أن تتخلّى عنه في بعض الموضوعات. فكيف يجوز لي أن أصنع وعي الناس الثقافي والتاريخي بنصوصٍ متهالكة المصادر وتالفة الأسانيد وما لذلك من تأثير كبير على الفكر الديني، فيما لا يجوز لي أن أثبت كيفية الاستنجاء أو الدخول إلى الحمام إلا بنصّ موثوق وإلا كنت متقولاً على الله؟! يبدو لي هذا شكلاً من أشكال التشطّي المنهجي.

إنّني أعتقد أنّنا صرنا اليوم مراقبين أكثر من قبل التيارات السلفية المحيطة بنا والتي تنتظر كلّ هفوة لكي تقول للعالم بأنّ الشيعة قد شادوا مذهبهم ورؤيتهم للتاريخ على أضعف الروايات التاريخية والحديثية، وأتهم عوّضوا نقصهم هذا بعناصر نفسية اطمئنانية لا ترقى إلى مستوى تحوّها إلى منهج علمي، وأنّ خطابهم العقدي المصاغ في القضية الحسينية التاريخية لا يبلغ سوى مجموعة من القصص - وأحياناً المنامات - التي لا تثبت بالمنهج العلمي الرصين، وهذا يعني أنّه كلّما مارست النقد التاريخي أمكنني أن أقدم صورة أكثر متانة علمياً أمام الطرف الآخر الذي بات يتربّص سوءاً بمذهب أهل البيت عليهم السلام.

نعم، لا يشترط في كلّ خطيب أن يقتصر على النصوص الصحيحة، فإذا كنتم تقصدون هذا المعنى فلا بأس به، لكنّ هذا لا يبرّر فوضى استحضار أيّ نصّ غير موثّق حتى لو كان يحمل مضموناً فيه علامات استفهامات كبيرة، وقد يؤدّي إلى خلق صور غير مناسبة للإمام الحسين عليه السلام وثورته، فينبغي ملاحظة هذا الأمر.



## هل تصحّون نسبة كتاب (الملحمة الحسينية)

### للشيخ المطهري؟ وهل تنصحون بقراءته؟<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: هل تصحّ نسبة كتاب الملحمة الحسينية للشهيد مطهري أم

لا؟ وهل تنصحون بقراءته في حال ثبوت نسبته للشهيد المطهري؟

◆ الجواب: بعد مراجعتي المتواضعة لما قيل عن التشكيك في نسبة الكتاب للشيخ المطهري، وما قيل في إثبات صحّة هذه النسبة، فإنّ الذي يترجّح بنظري القاصر هو تصحيح هذه النسبة وضعف شواهد التشكيك، نعم حيث إنّ الكتاب كان تنزيلاً لما جاء في أشرطة محاضراته رحمه الله فمن الطبيعي التصديق بوقوع بعض الأخطاء الجزئية هنا وهناك في النقل عندما تقام الشواهد على ذلك، وهذا ليس مقصوراً على هذا الكتاب للشهيد المطهري، بل هو شامل للكثير من الكتب الأخرى له ولغيره ممّا كان من هذا القبيل.

وأما عن قراءة هذا الكتاب، فإنّني أنصح بذلك حتى لو لم يكن الكتاب للشهيد المطهري أساساً، فإنّ فيه الكثير من الأفكار المفيدة والجميلة والنافعة، وقد تعلّمنا في مدرسة العقل والمنطق والحكمة وفي ظلّ تعاليم القرآن والسنة أن نتبع الأفكار وليس الأشخاص، فحتى لو لم يكن الكتاب للشيخ المطهري رضوان الله عليه فإنّ المهم هو النظر في مضمونه ودراسة مدى منطقيّة الأفكار التي يذكرها، وهذا يعني أيضاً أنّه ليس كلّ ما جاء في هذا الكتاب - حتى بعد تصحيح نسبته للشيخ المطهري - هو صحيح، بل يحقّ للعلماء والناقدين تناول فكر الشيخ المطهري بالنقد والتحليل والدراسة.

(١) إضاءات ١: ٤٩٢

## الموقف من بعض القنوات الفضائية المذهبية<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: ما رأيكم في أداء بعض القنوات المذهبية، مثل... وذلك بالتركيز على الطقوس والشعائر، بدل طرح الفكر والمنهج الإسلاميين في شتى علوم الحياة؟ أليس هذا تقزيم للإعلام الديني في زمن أهميّة دور الإعلام في نشر الفكر والمعرفة؟

◆ الجواب: للإعلام دور مهمّ جداً في عصرنا الحاضر، وهو السلطة الأولى أحياناً وليس الرابعة كما يقولون، وإننا بحاجة لعقول إعلاميّة ناضجة قادرة على تغطية كلّ المجالات التي يحتاجها المشاهد والمستمع، لتكون معيناً له على قضايا دينه ودينه، وسدّاً للفراغ الذي يعيشه أحياناً، وتقديماً للبديل الجذاب أمام حمى القنوات الأخرى التي تجتذب شبابنا نحو قضايا، أقلّ ما فيها أنّها تسطيح للوعي وإدخالنا في غيبوبة ثقافية وسياسية ودينية.

لكنّ المشكلة أنّ بعض قنواتنا الدينية لا تعرف عن الإعلام إلا ما تعرفه عن الدين، والدين عندها كأنه ليس سوى بعض العقائد (وليس كلّ العقائد)، فإذا حصلت على هذا البعض العقائدي فقد انتهى الدين وتمّ! مع أنّ المفروض أن يكون بدأ لنرى امتداداته الناتجة عن هذه الاعتقادات، ولتفتح لنا القنوات الفضائية مجال الحديث في سائر قضايا الدين والفكر والحياة والإنسان والاجتماع والحضارة... هنا تكمن المشكلة ليس في العقل الإعلامي فحسب، بل في العقل الديني الذي يقف خلف هذا العقل الإعلامي، وهو العقل الذي كأنه لا يرى في الدين سوى مجموعة اعتقادات وكفى!! بل ويذمّنا وينهانا عن أخذ العبرة من التاريخ، مكتفياً بالعبرة والحزن، وكأنّ

(١) إضاءات ٢: ٤٨٧

ضمّ الأوّل إلى الثاني حرام، رغبةً في الإغراق باللامعقول. وكأنّ الفكر والثقافة والسياسة والاجتماع والفنّ والجمال والاقتصاد والتاريخ والتربية والتعليم والطفولة والمرأة والجنس والعمل والطبقية والظلم الاجتماعي والسياسي والحضارة والإنسان والأنا والآخِر وهموم الناس وقضاياهم وغير ذلك لا شأن للدين بها، فالدين كلّهُ هو أن تعتقد بأربع جمل أو عشرة جمل خبرية ويتوقّف!! هذه هي الكارثة الفكرية بامتياز عند بعض القنوات وما يقف خلفها من فكر ديني.

والأنكى من ذلك، أنّ سائر العلوم الدينية لا تجد لها حاضرةً - إلا نادراً - في التثقيف الإعلامي، فلا الفقه ولا الأخلاق ولا تفسير القرآن ولا الحديث ولا الفلسفة ولا العرفان ولا غيرها من العلوم والمعارف الإسلاميّة بالتي تأخذ حظها، بل ولا حتى اللغة العربية رمز موروثنا الثقافي، وكأنّ الدين ليس هذه ولا علاقة له بها!

بل الأسوأ من هذا، وما يدمي القلب ويبعث على التأسّف والخجل، تلك الوسائل الإعلامية التي نذرت نفسها للتفريق بين المسلمين، وسبّ رموز بعضهم بعضاً، وآلت على نفسها إلا أن تجعل عدوّها أخواها المسلم، وهي تنطلق أو تثب من دول الكفر والإلحاد!! من الولايات المتحدة الأميركيّة وبريطانيا وغيرها، فنجدها تسكت عن الغرب، بل وتمتدحه أحياناً، وتعظّم من ملوكه وسلاطينه، فيما تنزل جام غضبها على إختوتها من المسلمين، لتهين مقدّساتهم وتشكّك الناس بنزاهتهم وأخلاقهم، وتمزّق شملهم، وتستخدم أبشع الألفاظ وأسوأ التعبيرات الهابطة البائسة الكاشفة عن تدني الأخلاق والقيم الروحية الدينية الرفيعة.

لا أقصد بذلك قناة بعينها، ولا قنوات مذهب بعينه، بل هذه هي

حال بعض قنوات هذا المذهب أو ذلك. خطابٌ ديني بائس يرتدّ إلى القرون الغابرة، غارق في الخرافة والتهريج، مستفزّ لأبعد الحدود، حتى لتجد بعض أنصاف العلماء وأرباعهم (وأحياناً أقلّ من عشر معشارهم) يدّعي أنه أعلم من المراجع الكبار في طائفته ويهزأ بأكبر مراجع الأمة عند هذا المذهب أو ذلك، مدّعياً أنه خادم المذهب أو أنه نصير الصحابة ومدافعهم!!

إنّني أعتقد أنّ الحلّ يمكن أن يكون مفتاحه بعض الخطوات:

١. إصدار كبار العلماء والمرجعيات الدينية الكبرى في المذهبين مواقف واضحة مُدبّنة وشاجبة لهذا النوع من الإعلام الديني، أو على الأقلّ موجهة له ومرشدة، وإذا لم تتفق المرجعيات على موقف فلتقدم على ذلك تلك المقتنعة ولو كانت لوحدها، فطريق الهدى لا وحشة فيه ولو قلّ سالكوه.

٢. دعم سائر القنوات الدينية الطيبة التي نجد عندها - رغم أنّها قد لا تكون بمستوى الطموح - وعياً وهمّاً رسالياً، واهتماماً بسائر قضايا الدين التي تشغل همومها شبابنا اليوم. فهناك العديد من القنوات الدينية - وليست بالقليلة - عند هذا المذهب أو ذلك تخلّصت بدرجة جيدة من سلبيات تلك القنوات التي تحدّثنا عنها، وقدّمت أنموذجاً أفضل نسبياً، ودعم مثل هذه القنوات بالشكل الممكن وتقويتها وتطويرها واجبٌ علينا جميعاً.

٣. تصدّي العلماء الحقيقيين لمجال الإعلام المرئي والمسموع، دون قمع الآخرين، لكي يطلّوا على الناس من موقع الخبرة والفهم الديني، ولا يتركوا صغار القوم يستبدّون بتمثيل ملايين المسلمين في هذا المذهب أو ذلك.

٤. القيام بورش عمل مكثفة وناشطة في الحوزات والمعاهد والجامعات الدينية، تعمل على تربية وإعداد كوادر علمائية وثقافية واعية، وعلى إنجاز عمل إعلامي وشخصيات إعلامية ناضجة، بدل ترك الأمور للعفوية القائمة حالياً على بعض الصعد.

٥. الاهتمام بمجال العلوم الدينية الأخرى غير الفقه عند الشيعة والحديث عند السنة، والتركيز أيضاً على القضايا المعاصرة (غير العقائد المذهبية)، بوصفها همماً كبيراً أمام الشباب اليوم، وعلى رأسها حركة الإلحاد الجديد.

٦. السعي لتكريس إعلام تسامحي وإنساني، وتقديم صورة وسطية في الإعلام عن الإسلام والدين عموماً.

٧. تأسيس قناة تلفزيونية إسلامية يديرها الشيعة والسنة على السواء، ويشاركون فيها في كل صغيرة وكبيرة، تقدّم خطاباً متفاهماً ومتسامحاً يقرّ بحق الاختلاف والنقد المتبادل، وفي الوقت عينه يحترم كل فريق فيه الآخر، فنقدّم بذلك أنموذجاً للإعلام الوحدوي الحقيقي.

٨. أعرف أنّ هذا كلّه صعب مستصعب، لاسيما في ظلّ ظروفنا السياسية القاتلة الحالية، لكنّ الأمل والتفكير خير من السكوت والإجباط وضرب الأكفّ على بعضها، فإذا أخلصنا النية لله تعالى لربما أمكن لنا الدخول في مرحلة خلق نواة جديدة لمنطق ديني جديد، ووعي ديني آخر، إن شاء الله تعالى.

## بين يدي عاشوراء

### ماذا علينا أن نفعل؟ وكيف نستفيد منها؟<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: نحن في هذه الأيام في انتظار عاشوراء الحرام، فما هو المفروض تحققه من عاشوراء؟ وما هو المتحقق حالياً؟ وجزيتم خيراً.

◆ الجواب: نعيش اليوم في عصر نحتاج فيه بشدّة إلى كلّ مفهوم يمكنه أن ينهض بالأمة، ولا يجوز لنا التفريط بأيّ مفهوم ناهض، فكلّ مفهوم من تراثنا له قدرة التأثير النهضوي فهو ضروري، وكلّ مفهوم معطل له قدرة التشبيط وبث اليأس والخمول فهو ضارّ.

من هنا، وعندما نظر إلى المناسبة العاشورائية السنوية نجد أنّ لديها قدرات كبيرة على تقديم مفاهيم نهضويّة تحتاجها الأمة اليوم أيّما حاجة، ولعلّ من أجلى هذه المفاهيم ما يلي:

**المفهوم الأوّل:** مفهوم المفاصلة مع الظلم واللاشرعية، فإنّ هذه الثورة الحسينية يمكنها لو وظّفناها توظيفاً صحيحاً أن تمدّنا بمفهوم بالغ الأهميّة اليوم. إنّ المفاصلة مع اللاشرعية، هي تقول لي: لا يمكن أن أنضوي تحت لواء غير شرعي، يجب أن أبحث عن انتهاء مشروع في قضايا السياسية والاجتماعية وغيرها. لا يمكن أن أعيش المخالطة مع الظلم طالما كانت لديّ القدرة على الوقوف في وجهه بإعلان مقاومته والتبرّي منه، ولو لم أتمكّن من تغيير الواقع كلّّه.

عندما يكون الحسين عليه السلام مستعداً لهجر الوطن (المدينة المنورة) لأجل رفض الخضوع لما هو غير شرعي، ولأجل تصويب

(١) إضاءات ٤٥٦:٣

الانتهاكات، فهذا يعني أنه من الممكن أن يكون من واجبي أن أتقبل النفي باختياري والمهجرة عن موطني أو أسرتي أو عائلتي أو محيطي كخطوة حصرية لإعلان مفاصلتي مع الانحراف الاجتماعي والسياسي. لهذا ستبدو مفارقة غريبة عجيبة الجمع بين الروح الحسينية وبين الرضا بالظلم واللاشرعية.

عندما نشارك اليوم في مجالس الحسين عليه السلام فعلياً أن نسأل أنفسنا ونحن نرجع إلى بيوتنا سؤالاً: أين أنا من قضايا الظلم اليوم في العالم؟ وما هي مساهماتي؟ ماذا فعلت - بحدود إمكانياتي - ضدّ ظلم الإنسان المستضعف، وضدّ الاحتلال، وضدّ الطبقة الجائرة، وضدّ ظلم الطفولة، وضدّ العدوان على المرأة، وضدّ سلب الحقوق، وضدّ استغلال السلطة والموقع، وضدّ تعمية الحقائق، وضدّ التجهيل، وضدّ الفساد المالي، .. وأين أنا من الشعارات التي أطلقها الحسين عليه السلام؟

وفي هذا السياق يصبح الحسين قيمةً إسلاميةً عامّة يلتقي عليها جمهور المسلمين، لاسيما منهم من يؤمن - من حيث المبدأ - بثقافة الخروج أو الرفض مثل الإمامية والإسماعيلية والزيدية والإباضية والتيارات الجهادية (المعتدلة)، بل يصبح قيمة إنسانية تصل إلى اليسار الجديد في عصرنا الحاضر ولو كان خارج الاطار الديني، وبهذا نخرج حركة الإمام الحسين من أن تكون صراعاً شخصياً أو قبلياً أو عشائرياً أو أسرياً أو طائفيّاً، لتصبح صراعاً دينياً إسلامياً إنسانياً أخلاقياً ضدّ كل انحراف في الداخل والخارج، مهما كان ثوبه.

**المفهوم الثاني:** مفهوم التضحية والشهادة، هذا المفهوم الذي يقدم لي أولوية الأمة على الفرد، وأولوية الإسلام على المسلم، وأولوية

الوطن على الذات، شخصٌ بهذه المكانة يقدم نفسه وأهل بيته قرابين لله تعالى في سبيل تصحيح مسارات أمة، وفي سبيل الإصلاح الديني والاجتماعي والأخلاقي والمفاهيمي .. يريد أن يقول لنا بأن كل شيء يمكن أن يرخص أمام القضايا الكبرى، والتي منها الأمة نفسها ومصالحها العامة.

مفاهيم من نوع التفاني والإيثار والتضحية والبذل والعطاء والشهامة ونكران الذات كلها يمكن أن تثورها في حدث بارز من هذا النوع، ليس على مستوى السرد القصصي لقصة التفاني فقط، بل على مستوى الربط الواقعي بين القصة بوصفها تاريخاً وبين المفهوم الأخلاقي والديني بوصفه قيمة قائمة باستمرار في حياة الإنسان وحاجة ملحة.

إن استذكار الحسين يعني استذكار هذه المجموعة المتناسكة من هذه القيم، وإعادة تظهيرها بصورة عصرية قادرة على تحريك الراكد من واقعنا وخلق نفوس عصاميّة يمكنها أن تزهد بكل شيء في سبيل القضايا الكبرى للأمة والدين.

وكلامي هذا ليس تنظيراً في الهواء الطلق، بل لقد شهدنا واقعه في تجارب حققت نجاحات كبيرة مستعينة بمفاهيم الثورة الحسينية، مثل أكثر من حركة جهادية ضد الاحتلال الإسرائيلي وضد الأنظمة الفاسدة. ماذا تعني لنا تلك الوصايا التي سمعناها أو قرأناها لشهداء الجهاد ضد الكيان الصهيوني الغاصب؟ ألم نسمع فيها دوماً اسم الحسين وزينب والأصحاب؟ هذا يعني أنّ الوعي الجهادي والاستشهادي صار مندجاً بوعي التاريخ الحسيني، وأنّ أشخاصاً مثل الإمام الخميني والإمام محمد باقر الصدر والإمام موسى



الصدر وغيرهم نجحوا في توظيف الثورة في خلق وعي واقعي زمني متواصل لها، فمفاهيمها لا تنفصل عن تضحياتنا اليومية، وعن الشهداء وعوائلهم الصامدة. ونحن مسؤولون عن ديمومة هذا الوعي وعدم تلاشيه.

**المفهوم الثالث:** فاعلية المرأة، فالحدث الزينبي وما حاطه من وقائع نسوية هو بالتأكيد رسالة ضمنية للنصف الآخر من المجتمع أنّ بإمكانك أن يكون لك دور في اللحظات الحرجة على الأقل، فعندما أقدم في المشهد التاريخي دور المرأة في لحظات الانهيار بشكل معاكس تماماً للنواح والعويل، ليبدو وكأنه عصامية غير عادية، تقف في وجه أكبر حكام العصر - عنيت يزيد بن معاوية وغيره من رجالاته - فهذا يعني أنّ المرأة ليست وظيفتها في الحياة النوح على القتلى من الرجال، بل خلق الحدث في لحظات الحزن، الحدث الإعلامي والسياسي والاجتماعي.

هذا مفهوم بالغ التأثير اليوم يمكنه النهوض بالمرأة لتلعب دوراً في لحظات الشدة، بدل أن نعلمها النحيب واللطم على الوجه على ما افتقدت من أسرة وعيال. إنّ الثورة الحسينية هنا تعيد تظهير المشهد بصورة مختلفة، فقد كان من المتوقع أن تنهار تلك المرأة (زينب) وكلّ من معها من نسوة وبنات، لكنّ الأمور وقعت بطريقة مختلفة تماماً، هذا يعني أنّ المرأة في عصرنا إذا أرادت أن تمثل الدور الزينبي فعليها في لحظات الشدة التي تمرّ بها أمتنا اليوم أن تستنفر طاقاتها في رباطة جأش ليكون لها دورها في الفعل والتأثير، لا أن نطالبها بالسكوت والخضوع والجلوس في البيت لا دور لها في الوقوف بوجه الظلم والعدوان والاحتلال والاعتصاب للأرض والعرض والوطن

والقيم والمفاهيم.

**المفهوم الرابع:** الشجاعة، ولا أقصد بالشجاعة تلك الصفة الفردية فقط بما لها من تطبيق محدود، بل أعني مواجهة أزمة الإرادة في الفرد والجماعة والأمة، ففي كثير من الأحيان لا يواجه الفرد أو الأمة أزمة معرفة؛ لأنّ الأمور واضحة، بل يواجه أزمة إرادة وأزمة شعور بالحمول اللامتناهي، إنّها أخلاقيات الهزيمة أو موت الضمير كما كان يسمّيها السيد محمد باقر الصدر، عندما تغلغل في الأمة تنهي أمرها إلى الأبد، فكلّ واحد يرصد مصالحه ويبني علاقاته تبعاً لها، وعندما تتشابك العلاقات يصعب عليه الفرار من قبضتها.

إنّ شجاعة الحسين وأصحابه وأهل بيته سلام الله عليهم تكمن في وجود إرادة وسط إحباط عام في الأمة، هذا موضوع جدّ، الحديث عن خلق إرادة وسط مناخ إحباط وخمول وتكاسل عامّ شيء مهم للنهوض، وشيء ليس بسهلٍ أبداً، وهذا هو ما يقوم به المصلحون عبر التاريخ.

ألا يمكنني بهذه الثورة العظيمة أن أعيد إنتاج مفهوم الإرادة المقدّسة والحديث عن مكوّناته وكيفيات صنعه وتأثيراته ونتائجه وغير ذلك؟! بالتأكيد يمكن ولديّ الكثير من المواد التاريخية الخام في هذه الثورة التي تساعدني في توظيفها لهذا الغرض الشريف. هنا يظهر مفهوم «قلوبهم معك وسيوفهم عليك» أو مفهوم «قلوبهم معك وسيوفهم في أعمادها»، حيث تهيمن ثقافة الشيطان بلغات متعدّدة، يقولون لك: لا فائدة من العمل؟ أمّة لن يصلح أمرها؟ شعوبنا لن تستجيب؟ لن تجرّ سوى الوبلات على نفسك والنقد والتجريح والهجوم والاعتداء.

هذه هي نفس الثقافة التي احتواها الحوار التاريخي بين الإمام  
الخميني وأحد العلماء البارزين رحمهما الله، وعلى أبعد تقدير يتكلم  
المثبِّطون بلسان الحرص على الحسين عليه السلام: لا تخرج فإنك مقتول، لا  
تخرج فسوف يغدر بك أهل الكوفة، لا تخرج..

**المفهوم الخامس:** صدق الولاء أو السلامة الأخلاقية للانتماء، هذا  
موضوع ضروري جداً، فقد رأينا الكثير من الحركات الدينية وغير  
الدينية كيف عانت من النفعيين والوصوليين في صفوفها، ورأينا  
كيف يمكن للشخص الضعيف أن يحرف ولاءه من جهة إلى جهة  
ثانية تحت ضغط الواقع والمصالح الخاصّة.

إنّ تجربة أصحاب الحسين وأهل بيته عليهم السلام تعطي درساً رهيباً في  
صدق الولاء، ليس بمعنى التضحية فقط، بل بمعنى أنني عندما  
أنتمي لفكر أو عقيدة أو مدرسة أو تيار ما في الدين أو الاجتماع أو  
السياسة فإنّني صادق الولاء سليم الانتماء، وهذا يعني أنني مخلص  
لهذا الاتّباع الواعي، ولست وصولياً أو متخلياً في لحظة حسّاسة  
عن ولائي هذا. إنّ صناعة مجموعة مخلصّة يبقى ضرورة عظيمة  
لقيامة أمّة ونهضة وكيان، فما لم تكن هناك مجموعة مخلصّة صادقة  
فإنّ السواد الأعظم يمكن أن تضيع به السبل عبر تحريكه بأيدي  
المنافقين والوصوليين.

إنّ الحركة الإسلامية والنشاط الديني معنيّ اليوم بصنع الصدق  
في الولاء؛ لأنّ هذا الصدق الذي يقوم على مجموعة مفاهيم عقدية  
وإيمانية وأخلاقية وتربوية يمكن أن يشكّل ضمانة سلامة المسيرة  
وعدم انحرافها في المستقبل، وهو ما تستطيع السيرة الحسينية أن  
تساهم في زرعه في الثقافة الاجتماعية العامّة.

المفهوم السادس: الصبر وعدم استعجال النتائج، فكثير منّا لا يصبر للوصول إلى الهدف، وكم من مشروع أجهضناه لأننا لم نعطه الوقت الكافي والطبيعي لكي يُنتج ثماره، فحالنا حال مزارع جاهل قطع أشجاره في الشتاء؛ لأنّها لم تثمر، ولم ينتظر إلى الربيع أو الصيف كي يرى الثمر الطيب. نحن عجولون، نحرق المراحل ونستعجل النتائج وإلا أصبنا باليأس والإحباط، ونحسب أعمار الشعوب والأمم على عمر الفرد العادي، فالفرد العادي يحتاج لعشرين سنة حتى يصبح في عنفوان شبابه، لكنّ الأمم قد تحتاج أحياناً لخمسين أو سبعين سنة أو أكثر حتى تصل إلى هذه المرحلة.

إنّ ثورة الحسين عليه السلام تعلّمنا أنّ النتائج قد لا تكون في حياتك، بل قد تكون بعد رحيلك. إنّها تعلمنا أحياناً أنّ رحيلنا مقدّمة لتغيير الأوضاع، وأنّ ثورة وقعت في ٦١ هـ آتت ثمارها بعد عقود وما تزال. يقولون بأنّه عندما سئل الإمام الخميني: كيف يمكن لك أن تسقط الشاه؟ وهل لك بهذا طاقة وقوّة وفرصة ووقت وأنت في هذا العمر؟ قال بكلّ هدوء: إذا لم أوفق فسيأتي الجيل اللاحق ليكمل المسيرة. هذا مفهوم بسيط لكنّه منتج وناهض، نحن العرب بالخصوص مصابون - كبنّي الإنسان - بالعجلة، نؤسّس مشروعاً ونريد نتائجه في الغد. نفكّر بطريقة التاجر الذي يربح في صفقة واحدة، ولا نفكّر بطريقة العامل الذي يربح بالتدريج.

هذه كلّها مفاهيم معطّلة ومعيقة للنهوض، ويمكن للسيرة الحسينية اليوم أن تساعدنا على تفتيت هذه المفاهيم من وعينا الاجتماعي، وخلق نفوس قويّة صابرة غير مستعجلة، تسير ببطء متواصل بدل أن تسير بعجلة متقطّعة. إنّ خطابات السيدة زينب

فيها ما يشير إلى المستقبل، وأن القضية ليست في هذا النهار فقط، وإنما في المستقبل الذي ننظر إليه بعين أخرى.

**المفهوم السابع:** مفهوم الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المستوى الاجتماعي والسياسي العام، كما جاء في خطبة الإمام الحسين عليه السلام التي حدّد فيها أهداف الثورة والخروج، وليس إبقاء الإصلاح في إطار الفرد، ولا حصر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إطار التدخّل لمنع أغنية يضعها سائق أجرة في سيارته أو شعر من مقدّم الرأس يظهر من امرأة في الطريق.

إنّه تحويل مسارات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وثقافة مفهوم الإصلاح من الأبعاد الفردية إلى الأبعاد العامّة المجتمعيّة، إلى الإعلام والثقافة والتربية والتعليم والسياسة والاقتصاد والظلم الطبقي وسوء الاستهلاك وتبديد الثروات وغير ذلك. لقد كان هذا هو الخلاف بين الإمام الحسين وبعض الصحابة في عصره. وعندما تفكّر الأمة - بقواعدها ونخبها - بهذه الطريقة فيمكن لنا أن نتصوّر النهوض والبناء والقيامة، أمّا لو حصرنا الوظائف بالنمط الفردي وتخلّينا عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح العام في المجتمع، ودخلنا في نهج اللاأبالية فلن نتمكّن من الإمساك بزمام أمورنا يوماً.

**المفهوم الثامن:** مفهوم إنسانيّة الدين وإنسانيّة الحرب، وهو المفهوم الذي تجلّى في غير موقع في المسيرة الحسينية، في ثقافة العفو وقبول التوبة مع الرياحي، وفي ثقافة الماء وتوزيعه على الأعداء، في مقابل الثقافة غير الإنسانية التي انتهجها الخصوم، وهنا يمكن التركيز على تأثيرات الثقافة الإنسانية في الدين من خلال تأثيرها في

الحرّ بن يزيد الرياحي وغيره.

إنّ لغة الحسين ولغة خصومه هي لغة الإنسان ولغة الوحش القابع في النفس الإنسانيّة، فأبى مراجعة للنصوص من كلا الطرفين سوف تعطينا هذا الأمر، وقد جاء في الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام مخاطباً عمار بن أبي الأحرص: «أما علمت أنّ إمارة بني أمية كانت بالسيف والعسف والجور، وإنّ إمارتنا بالرفق والتألف والوقار والتقية وحسن الخلطة والورع والاجتهاد، فرغبوا الناس في دينكم وفيما أنتم عليه» (الخصال: ٣٥٤-٣٥٥).

كم نحن بحاجة اليوم لما بات يسمّى بـ «إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين»، حيث بنتنا نشهد تديناً عدوانياً صدامياً لا يعرف الرحمة ولا الشفقة ولا المودّة ولا الرقّة، حرّياً بنا أن نستخرج إنسانيّات الثورة الحسينية لنضياء عليها مقدّمةً لإحياء النزعة الإنسانية في حياتنا.

**المفهوم التاسع:** مفهوم القيادة الصالحة، حيث أراد الحسين عليه السلام فضح زيف القيادة غير الصالحة ولو كان من حولها من ينسج لها التبريرات الدينية ويباعها على السمع والطاعة. لقد رفض الحسين تبريراتهم، وقال لهم بأنّ مثل هذا الإنسان لا يمكن أن يتولّى منصب خلافة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

حركة الحسين تفرض عليّ النظر في زمني، ففي هذا العصر أيضاً يزيدٌ وحسين، وذلك عندما أوّمن باستمرارية المفاهيم التي بعثت ثورة الحسين، وعليّ أن أبحث عن يزيد لأواجهه وأرفضه، وعن الحسين لأنتمي إليه، فالحسين ليس تاريخاً فقط، بل هو واقعٌ إنساني مستمرّ في صراع البشر، وفي صراع الميول والقيم، ليس في السياسة والسلطة العسكرية والأمنية فحسب، بل في الاقتصاد، وفي الاجتماع،

وفي حياتنا المدنية، وفي عيشنا الديني، توجد نماذج متنوّعة يزيدية وحسينية. وعندما أبكي الحسين فإنني أبكي واقعاً مؤملاً لتكون دمعتي شعلةً للتغيير نحو الأفضل، وإلا فيسكون من التناقض أن أبكي الحسين في التاريخ وأوالي يزيد العصر في الحاضر والمستقبل.

**المفهوم العاشر:** مفهوم العقل المبدئي في مقابل العقل البراغماتي النفعي، لقد قلت يوماً الجملة التالية: «يوماً ما لم أفهم بعقلي البراغماتي (فقه المصلحة القائم على نظرية التزاحم) تصرفات بعض الشخصيات الكبرى كالإمامين علي والحسين عليهما السلام، لكن عندما عاشرت تجارب الانحراف الأخلاقي المجتمعي الذي يقع داخل الوسط الديني بحجة المصلحة والضرورات، أدركت أن بعض الخطوات المتفضة على الواقع والمتصادمة معه لا تحتاج لأن تكسب نتائجها المصلحية، بقدر ما يكفيها أن تهزّ وجدان، وتخلق شعوراً بعدم الرضا عن الأنا الفردية والاجتماعية. يجب أن لا يبقى الانحراف متنعماً بسكينة باطنية ومتحرراً من عذاب الضمير، هذه خطوة مهمة للتغيير المستقبلي، حتى لو لم يقع التغيير أساساً في لحظتك» (إضاءات في الفكر والدين والاجتماع ٢: ٥٧٧).

كثيرون عابوا ضعف السياسة عند الإمام علي والإمام الحسين عليهما السلام، لكنني أجد أن الثبات على المبدأ ولو بطريقة حادة، يظل ضرورة أحياناً لاسيما في المناخ الديني؛ لأن هيمنة الثقافة المصلحية التي توازن المصالح - ولست ضدّ فقه المصلحة من حيث المبدأ - قد يقدّم المبادئ يوماً ما قرابين على مذبحها، وهذه نقطة خطيرة، فحركة علي والحسين هي حركة المبدأ حيث يحتاج إلى صدمة وإلى زوايا محدّدة كي يبقى في الذاكرة الجماعية وفي الضمير المدفون، مقابل حركة

المصلحة التي قد تذيب كل شيء بزواياها المدوّرة لأجل حساباتها الخاصة، ولو كانت حسابات ملوّنة بالدين أحياناً.

أكتفي بهذا القدر؛ لأنّ الكلام طويل جداً، والفرصة غير مؤاتية، ولو أراد الإنسان أن يقف مع نصوص وكلمات هذه الحادثة ووقائعها واقعة واقعة وكلمة كلمة، لأمكنه أن يستخرج عدداً كبيراً من المفاهيم العمليّة والبنائيّة التي تجعل حياتنا حسينيةً بالمعنى الأفضل، فالحسين يُقرأ جزءاً من كلّ، لا يمكن أن تقرأه بعيداً عن العقيدة والشريعة والقيم والمفاهيم، هو ليس حدثاً مستقلاً عن المنظومة الدنيوية والأخلاقيّة، بل هو جوهرها وخلاصتها، فلا بدّ من التفتيش عنها فيه.

لكنني أشير في نهاية الكلام إلى نعمة الاجتماع والتواصل في عاشوراء، فهذه الحشود العظيمة التي تتلاقى كلّ يوم في المجالس والمرابد والحسينيات وفي كلّ مكان، هي بنفسها مظهر تواصل اجتماعي، كيف أستثمره؟ كيف يمكن لأهل البصيرة أن يستثمروا كلّ هذا الحشد الهائل للناس وكلّ هذا الاستعداد للسماع؟ من الصعب أن تجمع كلّ هذا العدد ليستمع في أيام معدودة، فكيف يمكنني أن أستفيد من هذا الاجتماع البشري مترامي الأطراف؟ إنّ عاشوراء فرصة لإيصال الرسائل، فلو يكون هناك مجلس عالمي أو وطني للخطباء الحسينيين أو غيرهم ممّن لهم نشاط في هذه الأيام، وتكون هناك خطط استراتيجية لتحديد الموضوعات والأولويات العامّة والمناطقية لتداولها، فستكون لدينا قدرة تأثير كبيرة جداً، لأنّ طاقة الاستماع عند الناس مضاعفة في هذه الأيام. عندما يتحدّث المئات من الخطباء في هذا البلد أو ذاك عن مشاكل هذا البلد السياسيّة أو



الاجتماعية أو الأخلاقية وتتنوع طرائق بيانهم وأساليبهم، فسيكون لذلك وقعٌ كبير.

إنّ عاشوراء تقدّم لي مجاناً مجموعة كبيرة من الناس أتت باختيارها إليّ لتستمع بأذن صاغية، فكيف لي أن أستغلّ هذه الأذان لإيصال رسائل التوعوية؟ وكيف لي أن أنبّه في هذه الأيام على مشاكل محدّدة ودقيقة وبشكل جماعي متنوع ومدروس؟ هذه فرصة تاريخية سنوية توفّر لها عاشوراء ويمكن الاستفادة منها أيضاً لتداول مشاكل الأمة خلال العام كلّ.

نسأل الله تعالى لكلّ القيمين على هذه المجالس الكريمة ولكلّ الداعمين ولكلّ الخطباء والمشاركين التوفيق لإقامة عاشوراء ناصعة مهيبة، تساهم كلّ المساهمة في قيامة ديننا وإنساننا قيامةً صالحة في هذا الزمن العسير، والله الموفق والمعين.

## استغراق حركة الإصلاح الديني في جزئيات الخلافات العقديّة والشعائريّة<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: تكثر في الآونة الأخيرة الجدالات حول تفاصيل عقديّة وشعائريّة بين المؤمنين، ويتحسّس كلّ منهم من الطرف الآخر في تعابيره وكلماته، إنني أعتقد بأنّ الإصلاح والتغيير لا ينصبّ على مثل هذه المفردات والممارسات الشعبيّة، فنحن بحاجة إلى مشروع إصلاح ولكن قبل ذلك نحتاج إلى رؤية ونحتاج إلى خارطة طريق - إذا جازت الاستعارة - ونحتاج إلى وضع أولويّات ودراسة النتائج - وحتى مع القول الذي يؤمن بفكرة الصدمة وبضرورة النقد، فإنّ «الخراب» في الأمة هل يمكنه في هذه الأدعية والتوسّلات أو في هذه الزيارة أو في تلك الشعيرة أو في هذه العقيدة التفصيليّة حتى تركّز كلّ الجهود عليها؟! أم أنّه تعبير عن فشل في التشخيص وإفلاس في تقديم مضمون فكري ثقافيّ واع وعميق في الأمة؟ لقد علّقت على بعض مقالات الشيخ (...) وقلت: ما باله يختار مفردات تتعامل معها الأوساط الشعبيّة من قبيل حديث الكساء ورواية «لولاك» و«نحن حججه وفاطمة حجة علينا» وما شابه؟ لماذا لا يقوم بوضع مشروع دراسة موسّعة لسيرة النبي ﷺ والأئمّة ؑ؟ لماذا لا يشكّل فريقاً لوضع دراسة موسّعة متعدّدة الأبعاد تاريخية ودعوية حركية وتربويّة وتشريعيّة وسياسيّة عن النبي والأئمّة مثلاً؟ ثم إنّ التخلف حالة عامة ليس في أمة العرب والمسلمين فقط، بل في عموم العالم الثالث، فهل كلّ هذا التخلف مصدره هذه الثقافة السائدة في الوسط الشيعي مثلاً بحيث يتعامل بعضٌ معها على أنّها تنشر الخرافة والتخلف وما شابه، وكأنّ معالجتها والقضاء عليها سينقل العرب والمسلمين إلى عالم الأنوار وما بعده؟! ثم

(١) إضاءات ٣: ٤٩٧

حتى لو تنزّلنا وقلنا بأهمية تناول هذه الأمور ونقدها ولكن لا بدّ من اتّباع طرق وأساليب علميّة موضوعيّة وخطاب منضبط يسهم في نشر الفكرة بدلاً من الإثارة! لا أدري ما رأيكم؟

◆ الجواب: أوافقكم في الجملة على ما ذكرتموه، لكن لديّ ملاحظات قد تجعلنا مختلفين في المنهج والتصوّر:

أولاً: إنّ الخلافات الجزئية التي أشرتم إليها (وغيرها كثير) يمكن أن نقرأها من زاويتين: ففي الزاوية الأولى ستبدو خلافات جزئية وطفيفة وسطحية، لكنّها في الزاوية الثانية ليست سوى مصاديق وتظاهرات لمناحي فكرية في فهم الإسلام، فهناك في تقديري صراع بين منهج القرآن ومنهج الحديث، بين منهج التوثيق الحديثي ومنهج النقد الحديثي، بين المنهج العقلاني ومنهج اللامعقول الغيبي، بين المنهج التاريخي والمنهج غير التاريخي، بين منهج صناعة عادات وثقافات وأنماط عيش دينية جديدة ومنهج يرفض ذلك ويراه بدعاً، بين منهج دفاعي ومنهج نقدي، بين منهج تواصل مع الغرب في مجال الإنسانيات ومنهج تقاطعي، بين منهج توحيدي مع أهل السنّة ومنهج تمييزي، بين منهج (كفى سكوتاً عن تقصيرات المرجعية الدينية) ومنهج لا بدّ من التغيير الصامت، إلى غير ذلك من الاختلافات.

واعتقد بأنّ هذه المعارك المبعثرة هنا وهناك ترجع إلى أنّ العقل الشيعي يحدّد خياراته، وأنّه على مفترق طرق في اختيار المناهج والعقول المعتمدة، ولهذا فأنا لا أبسط ما يُثار؛ لأنني لا أراه لوحده، بل أراه انعكاساً لصراع مناهج وطرائق تفكير وخيارات استراتيجية.

ثانياً: وفقاً لذلك، فأنا إذا اخترت منهجاً فلا أستطيع أن أكون

نخبويّاً، أعيش مع المنهج، وأتحدّث فقط في المنهج والتنظيرات والثقافة المخملية الصالونيّة التجريديّة، ثم أخلي الساحة لتطبيقات المنهج الآخر، فهذا ضرب من النخبويّة الخياليّة النرجسيّة المتعالية التي لا فائدة منها، فأنت مقهور على النزول إلى التفاصيل، لكي يخوض المنهج معركة الوجود فيها.

نعم، قد لا يناسب أن ينزل الجميع للتفاصيل، فإنّ في هذا استهلاكاً للطاقات وبعثرة للأولويّات، لكن نزول البعض ضروريّ، كيف والآخر يخلق كلّ يوم تفاصيله التي تسيطر على الساحة وتشكّل وعياً جديداً سيجعلك في نهاية المطاف في غرفة مغلقة مهما أنتجت من كتبٍ ومجلات وفكر ومؤتمرات، فهذا مثل التقريب بين المذاهب، فما لم يدخل التقريبيون في صراع ميداني فكري مع اتجاهات التمزيق والسلفيّة فإنّ الحديث عن التنظيرات العامّة لا فائدة منه حتى لو قدّمت عشرين ألف مجلّد. والمعركة الفكرية ليست معركة أوراق وتأمّلات في الفضاء الطلق، بل لها جانب عملي في الإمساك بالأمر، وهذا الجانب يفرض قوانينه الخاصّة، وإلا تحوّل الإصلاح إلى نخب تجلس في مقاهي الثقافة والشعر ونوادي الأدب والخطابة!! وعموم الناس ومتوسّطو الحال لا تنفع معهم المشاريع الفكرية الكبرى، بل لا بدّ أيضاً من إصلاح التفاصيل والعادات، أليست هذه سنّة الأنبياء في محاربة العادات حتى الجزئية والإطاحة بها؟ فهل الأنبياء جلسوا ينظّرون في الكليات العامّة أم دخل النبيّ في التفاصيل وفي العادات وفي اليوميّات وصحّحها حتى لو انفعل قومه الذين لا يريدون تغييرها؛ لأنّ تغييرها من تغيير مواقعهم وسلطتهم؟!!

ثالثاً: أتفق معكم أنّ النزول هذا يجب أن يكون مدروساً ومتوازناً

وعقلانياً يحسب الحسابات من جميع الجهات، بحسب ما أوتيت عقولنا من طاقات وإمكانات، وأن الكثير من أصحاب المشاريع الجديدة أخطأوا في هذه النقطة، ولعلّ هذا هو الذي يوحى بكلّ الإشكالات الأخرى.

رابعاً: إذا كان هيجان العامّة ضدّ الفكر الإصلاحى ردّة فعل، فلماذا لا نحسب تيار النقد بنفسه ردّة فعل على مآلات أوصلتنا إليها العقليّة القديمة السائدة التي تمتاز بأنّها المسككة بالأمر سابقاً وحاليّاً؟ وإذا أردت أن أعذر هنا فعليّاً أن أعذر هنا أيضاً؛ لهذا أعتقد أنّ علينا ممارسة التعذير في كلّ النواحي وفي الوقت نفسه النقد.

خامساً: إنني دوماً أفرّق بين التقويم والتوصيف والتوقّع، فسلوك النقيدين يمكن تقويمه سلباً أو إيجاباً، وأنا أقبل بوجود ملقّات أخرى هامّة مغفلة عندهم نسبياً، رغم أنني أختلف معكم في أنّ القوم اهتموا كثيراً بغير قضايا المذهبيّات؛ لأنني لا أعتبر أنّ جماعةً بعينها هم الإصلاحيون الوحيدون في الساحة، ولا أقرأ الإصلاح بهذه الطريقة، فقد اهتمّ الإصلاحيون بالفكر السياسي كثيراً، وكتبوا في التفسير وفي الحديث وفي العلاقات الاجتماعيّة والتربويّة وغير ذلك. وإنني أرفض أن نجلد ذاتنا أو أن نستسلم لتوصيفات الآخرين الذين يريدون دوماً تصوير رموز الإصلاح الديني بالضعف العلمي، فهذا وهم، فالآخرون أيضاً يعانون من مشاكل في قضاياهم الفكريّة.

لكنّ تقويمى للإصلاحيين شيء وأن أتوقّع ظهورهم ولا أصاب بالدهشة منه في كلّ مرّة شيء آخر، لأنّ مسارات الأمور تفضي منطقياً لظهور تطرّف عندهم كما تفضي عند غيرهم، ولا يصحّ أن أضع الضحيّة والجلاد في كفة واحدة، كما لا يصحّ أن أعتبر أنّ الفعل دوماً

في طرف وردة الفعل في طرف آخر، بل هي علاقة جدلية. هذا، وكلامي بالطلق أما المصداق الفلاني هنا في هذا البلد أو هناك في ذاك البلد، فلست متعرّضاً له فيما قلته هنا.

سادساً: لا أحد يقول بأنّ الخراب في الأمة مكمنه هذه الأمور فقط، لكنّ عالم الدين مسؤول عن عناصر الخراب المتصلة بشؤون الدين، لهذا من الطبيعي أنّ عالم الدين يتصدّى لعناصر الخراب الدينية، فيما يوكل مهمّة إصلاح العناصر الأخرى لسائر الفئات الاجتماعية والعلمية أو على الأقلّ يشارك هناك بمشاركة من الدرجة الثانية، إذا كان لا يجوز أن نتقد رواية هنا لأتمّها ضعيفة أو زيارة هناك أو مسلكية هنا أو رأياً مشهوراً هناك، أو نتقد مرجعاً أو فقيهاً؛ لأنّ المرحلة لا تتحمّل، ولا نتقد تياراً فكرياً معيناً ...

ونبقى دوماً في نقدٍ مقنّع متخفّ يهمس من بعيد، فكيف نصلح عناصر الخراب المتصلة بالدين؟! هل جرّب أحدٌ طريقة التغيير الصامت هذه في العصر الحديث ونجحت معه؟ ألم يشنّ الإمام الخميني والسيد فضل الله والشيخ شمس الدين والسيد محمّد الشيرازي والسيد الصدر والسيد موسى الصدر والسيد محمّد صادق الصدر والشيخ المطهري والعلامة الطباطبائي والدكتور علي شريعتي والسيد محمود الطالقاني والشيخ محمّد جواد مغنّية والسيد هاشم معروف الحسني والسيد محسن الأمين وغيرهم أعنف الهجمات على الحوزة العلمية أو على الأفكار المهيمنة التي كانت سائدة في عصرهم وتعرّضوا للتشويه والنقد، وخاضوا معارك - كلّ بحسبه - في هذا الإطار، وتدخّلوا في تفاصيل الوعي الديني الذي كان سائداً، حتى تحوّلوا اليوم إلى مسلمّات وتخطّينا الكثير من

## الأفكار التي حاربوها؟

هل كان هؤلاء الرموز لم يثيروا ضجة في الأوساط الشيعية ولم تحدث قلاقل في الخلاف معهم؟ هل كانت حركتهم هادئة؟ أم حوربوا وافتعلت الأزمات ضدّهم (حتى وصلت بعض تجلياتها في المنهج الفكري والعملي إلى حروب داخلية فرضت عليهم وسفكت فيها دماء الشيعة)؟ ولولا أنّهم صاروا الحلقة الأقوى بانتصار تيارهم السياسي والاجتماعي لرأينا استمراراً للحرب عليهم إلى يومك هذا (بل هي ما تزال موجودة في الغرف المغلقة)!!

إنّ من المهم قراءة التاريخ لنعرف أنّ هؤلاء جميعاً أو غالبيتهم الساحقة واجهوا مشاكل من هذا النوع؟ كلّ ما في الأمر أنّ الأمور اليوم صارت مكشوفة ليس لشيء إلا لتساع رقعة ومساحة نشاط وسائل التواصل والإعلام، وإلا فإنّني لا أجد في القضية شيئاً آخر مختلفاً، فهل كانت لغة السيد فضل الله أو الشيخ الذي ذكرتموه أعنف وأقسى من لغة مطهري أو الخميني أو مغنّية في حقّ الحوزات؟ راجعوا نصوص الفريقين وسترون، ولكنّ ذاكرتنا الجماعيّة قد تضعف في بعض الأحيان.

إنّ التغيير الصامت يمكن تطبيقه في الدول والبلدان المستقرّة مثل الغرب، أمّا في مثل العالم الثالث فلا بدّ من قفزات فكريّة ونهضويّة وثورات حتى يتمّ التغيير. لست ضدّ التغيير الصامت لكنّني لا أراه كافياً في الكثير من المواقع، وإن كان مفيداً جداً في مواقع كثيرة أخرى، لكنّ تحويله إلى منهج عام يفضي إلى عجز.

وأخيراً، أودّ أن أشير إلى أنّ رجالات الإصلاح الديني وأتباعهم لم تقتصر جهودهم - كما يريد خصومهم أن يصرّوهم - على ملاحقة

القضايا الجزئية الخلافية، بل رأينا لديهم مشاريع كبرى، بحيث بدت هذه القضايا الخلافية أمامها أقل من الواحد في المائة من مجموع عملهم، لكن الآخرين يكبرون هذا الواحد في المائة ليشغلوا الساحة به، فيما ينسى الجميع أن هؤلاء الإصلاحيين قد قاموا بأنشطة كثيرة أخرى وتجارب رائعة أخرى في حياتهم، خذ مثلاً السيد فضل الله الذي يعد أكثر الذين اهتموا بإرباك الساحة بهذه الأفكار النقدية، هل قضى عمره كله في التعليق على هذه العادة أو تلك أو هذه الرواية أو تلك أو هذه الزيارة أو تلك؟!

كم هو عدد كلماته في هذا الإطار قياساً بما يقرب من ثلاثين مجلداً في الفقه (وبعض أبحاثه في الفقه جاء مقارناً مع القانون الوضعي مثل كتاب الإجارة) وأخرى مثلها في تفسير القرآن الكريم، وعشرات آلاف المقالات والمحاضرات والإجابات والاستفتاءات في قضايا الفكر والسياسة والاجتماع والثقافة والأخلاق والتربية والتاريخ، ونظرياته ونهجه الفكري الذي وضعه في قضايا الحوار الإسلامي الإسلامي، وقضايا الحوار الإسلامي المسيحي، وقضايا المرأة، وما قدمه من نموذج متطور للرسالة العملية (فقه الشريعة) شهد أمامي بعض كبار تلامذة السيد الصدر بأنها أفضل من الفتاوى الواضحة للسيد الشهيد، من حيث اللغة والمنهج والتنظيم القانوني، فضلاً عن مشاريع ميدانية يقرّ بها العدو قبل الصديق لبناء الجيل الصاعد؟!

خذ مثلاً آخر، حركة الإصلاح الديني (لا السياسي) التي شهدتها إيران منذ بداية التسعينيات، ألم يسهم الإصلاحيون (المعتدلون منهم ولا شأن لنا بالمتطرفين) في تأسيس علوم جديدة تراجعت مع الأسف



مع تراجعهم، مثل علم فلسفة الفقه، وعلم الكلام الجديد، وعلم  
فلسفة الدين، وكانت لهم مساهمات فلسفية ومعرفية مشهودة؟! هل  
يكون بناء المشاريع البديلة بغير التراكم التدريجي؟ تعالوا لننصف  
الناس جميعاً، ولا نصوّرهم وكأنّهم عاطلين عن العمل لا يعملون  
إلا في مجال التعليق على زيد أو عمرو أو ملاحقة بعض التفاصيل،  
وتعالوا لتكون لدينا الجرأة لنقد خصوم الإصلاحيين علناً كما  
ننتقدهم هم علناً أيضاً وبنفس الدرجة، وإلا ما راعينا قانون العدل  
والإنصاف! والله من وراء القصد.

## تعليق على كلام د. مصطفى محمود حول الإسلام الطقوسي والشعائري<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: يقول المرحوم الدكتور مصطفى محمود: إن الغرب لا يخشى الإسلام الطقوسي والشعائري، بل يخشى الإسلام الذي يدعو إلى العلم والعمل والتقدم والحضارة. فهل تتفق شيخنا مع هذا القول؟ هل نستطيع التفكيك بين العمل وبين الشعار؟ ألا تخدم الشعائر مسيرة العمل؟ أليس المجاهدون في لبنان يستمدون طاقة الجهاد والتفاني من الصلاة ومن الشعائر الحسينية؟ أوليست الشعائر هي بنفسها تجسد التفاني والإخلاص والتطوع والتبرع بالأموال كما نشاهد ذلك أثناء الشعائر الحسينية؟

◆ الجواب: لعله حصل خطأ بسيط في فهم ما يريد الدكتور مصطفى محمود بحسب نقلكم، فليس مقصوده ومقصود أمثاله من الذين تحدّثوا عن هذا الموضوع كالإمام الخميني والشيخ المطهري والدكتور شريعتي وغيرهم، هو القول بأنّ الشعائر الدينية لا قيمة لها أساساً، بل المقصود أنّ التدين تارة يكون طقوسياً فقط، فنسمّيه بالتدين الطقوسي، وأخرى يكون تديناً حياتياً وهو الذي تتحوّل فيه الشعائر إلى مادة خصبة لبناء الحياة والوجود، ولقيامه الدنيا والآخرة.

ف عندما نجد مجموعة من الأشخاص همهم فقط إقامة الصلاة في المساجد وإحياء المجالس الحسينية والذهاب للحجّ ونحو ذلك، فيما لا تجد لهم في قضايا الدفاع عن المظلومين، ولا في بناء الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية للأمة الإسلامية دورٌ يُذكر، بل تراهم دعاة راحةٍ ودعة ومسالمة مع المعتدي والظالم والجائر، فهذا

(١) إضاءات ٥١٦:٣

هو الإسلام الطقوسي. لقد قال الإمام الخميني يوماً: إنَّ أمريكا لا تنزعج من الصلاة، فلنصلَّ إلى يوم الدين فهي لا تنزعج، والشاه بنفسه كان يقيم المجالس الحسينية ويدعمها ويشارك فيها شخصياً!! إنَّ مقولة الإمام الخميني هذه لا تعني أن نترك الصلاة أو الشعائر الحسينية، بل معناها هو استثمار هذه الشعائر في بناء مجتمعٍ سليم، كما يحصل مع المجاهدين في هذا البلد أو ذاك.

ومن هنا وجدنا الكثير من الكلام عند العلماء والمفكرين النهضويين في القرن العشرين حول الجوانب الاجتماعية للعبادات؛ لأنَّ المفكر المسلم رأى ضرورة استثمار العبادات في المجال الاجتماعي وعدم التضحية بالإمكانات التي توفرها لنا هذه العبادات في هذا المجال، بل رأينا بعضهم يتحدث عن البُعد الاجتماعي في العقائد وأصول الدين أيضاً، حتى أدرجه السيد محمد باقر الصدر في مقدِّمة وخاتمة رسالته العمليَّة (الفتاوى الواضحة).

إنَّه همُّ كبير حمله علماء النهضة المسلمون في كيفية تثوير العقائد وإخراجها من الجانب النظري السجالي إلى مجال بناء الحياة والمجتمع، وكذلك الحال في العبادات، ولكم أن تراجعوا في هذا المجال كتابات ومقولات أمثال: مالك بن نبي، وروح الله الخميني، وعلي شريعتي، ومحمَّد باقر الصدر، ومحمد صادق الصدر، ومحمد عبده، ورشيد رضا، ومرتضى مطهري، وحسين علي منتظري، ومحمَّد حسين الطباطبائي، ومحمَّد حسين فضل الله، وإقبال اللاهوري، ومحمَّد رضا حكيمي، ومحمَّد مهدي شمس الدين، وسيد قطب، وحسن البنا، ومحمد حسين كاشف الغطاء، ومحمد جواد مغنّية، ومحمد الغزالي، وموسى الصدر، ومحمد سعيد رمضان البوطي، ومحسن الأمين،

ومهدي بازركان، وغيرهم، فضلاً عن الكثير من العلماء المعاصرين. وعليه، يمكن التفكيك بين الشعار والعمل، بل قد حصلت على طول التاريخ ألوان كثيرة من ذلك، ومن يطالب برفض الإسلام الطقوسي إنما يطالب برفض الإسلام الذي يجمد على الطقوس ويحوّلها إلى عادات، ويستغرق كلّ طاقاته فيها، ويفقدها بعدها الاجتماعي والنهضوي والإنساني بالمعنى العام للكلمة. أعتقد أنّه بهذا الفهم لمراد هؤلاء العلماء والمفكرين - وهو الفهم الصحيح من وجهة نظري - يحصل التوفيق بين ما قلموه وبين ما قالوه.

## هل الحسين شعار المرحلة؟

وماذا عن هدر الأموال في عاشوراء؟<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: نحن في العراق، كنا في العهد المقبور نقيم الشعائر حسب الإمكان، ونتعرض لما نتعرض له من اعتقال وترهيب؛ لكي نُعلي رمز الحسين ﷺ إمام المظلومية، ففي ذلك الزمان كان الحسين رمز الثورة على الطاغية، ولا أحد يستطيع المزايدة على شيعة العراق في ذلك، وبعد الانعتاق من الطاغية تعيش الشيعة جواً من الحرّية لم نأفقه سابقاً. سؤالي: هل من المنطقي أن نستمرّ باعتبار الحسين ﷺ رمز المرحلة أم أنّ نتوجّه إلى رمز آخر كالإمام أمير المؤمنين ﷺ في فترة حكمه الميمون أم الصادق ﷺ في فترة التدريس والانفتاح، ونبدأ بإرساء العدل الاجتماعي والوعي الديني والإنساني؟ وسؤالي هذا نابغ من الجهود والإمكانات الهائلة التي تُنفق في محرّم وصفر، والتي يراها بعضهم أنّها نوعٌ من الإهدار وفي غير المحلّ المناسب.

◆ الجواب: ممّا لا شكّ فيه أنّ المراحل في حياة الفرد والجماعة تتغيّر باستمرار، وأنّ على الإنسان في كلّ مرحلة أن يتخذ نهجاً أو أسلوباً أو أداءً يتناسب مع متطلّبات تلك المرحلة، فالشيعة - على سبيل المثال - لطالما عاشوا نهج المعارضة، فإذا صاروا في السلطة وتكرّس هذا الواقع لم يعد من المنطقي لمن هو في السلطة أن يعيش نهج المعارضة وعقليتها حصراً، بل صارت أمامه استحقاقات جديدة تتطلّب أداءً مختلفاً بعض الشيء. ولا يعني ذلك التباين في المواقف أو الأداء، وإنّما يعني شيئاً من الاختلاف وشيئاً من إعادة رسم الأولويات، وهذا أمر طبيعي جداً.

(١) إضاءات ٤: ٤١٣

وإنني أشارككم في أن الشيعة أو أيّ مذهب آخر إذا انتقل من مرحلة المعارضة إلى مرحلة السلطة فلا يصحّ أن يبقى مسكوناً بعقليّة المعارضة حصراً، بل عليه أن يضيف وينوّع كي يضمن استمرار مشروعه، فليست معارضة الظلم هي المشروع الوحيد في الحياة، وليس الدفاع عن المظلومين هو الهدف الوحيد في الحياة، بل أيضاً بناء الجماعة الصالحة التي خرجت من ركام الظلم وحطامه، وتمتين علاقاتها الداخلية، وتنمية حياتها الاقتصادية والثقافية والفكرية والاجتماعيّة والعلمية والإدارية والبشرية والروحية وغير ذلك.. هذه أيضاً أهداف جديدة دخلنا في استحقاقاتها بعد أن صارت الجماعة تملك سلطةً فيما كانت من قبّل تدفع عن نفسها ظلم السلطات فقط.

ولا يعني هذا أن الظلم قد توقّف، بل يعني أنّه قد استجدّ - إلى جانب الظلم الذي يمارس على الجماعة على المستوى الإقليمي - استحقاقٌ آخر، وهو إدارة الجماعة والبلاد والأوطان، ولا تدار أوطانٌ بخطاب المعارضة فقط. من هنا، فأيّ جماعة كانت في موقع المعارضة والقمع والمظلومية، وخرجت لتملك غير مفصل من مفاصل الواقع، مطالبةٌ بأداء جديد، وأن لا تجلس تبكي فقط على حالها.

وهذا ما نجده في سيرة الأنبياء والأئمّة، حيث تحرّك كلّ واحدٍ منهم وفقاً للاستحقاق الذي كان يعيشه، ففيما كان همّ موسى عليه السلام رفع الظلم والبغي والجور الفرعوني عن بني إسرائيل، كان همّ شعيب رفع الفساد الاقتصادي (البخس في المكيال والميزان)، وإصلاح أخلاقيات التعامل المالي، وكان هدف لوط نشر القيم الأخلاقيّة

لمواجهة الانحراف السلوكي الغريزي في المجتمع، وفيما كان الأداء الحسيني في آخر عمره عليه السلام ثورةً ورفضاً وشهادة، كان العمل الحسيني مختلفاً من هذه الزاوية في آخر عمره عليه السلام، وكان الإمام الصادق عليه السلام يعمل - بحكم المرحلة - على نشر العلم والمعرفة. وقد ورد في الرواية الصحيحة أنّ الإمام الباقر والصادق هما من علّم الشيعة أحكام الشريعة، بعد أن كان السائد في الشيعة الجهل بهذه الأحكام.. فلكل واحدٍ منهم مرحلته وشعاره، مع وجود قواسم مشتركة بينهم جميعاً أيضاً مثل الدعوة إلى التوحيد..

فهذا المنطق هو منطقٌ طبيعي. وإذا لم نسر معه فستكون النهاية هي السقوط المدوّي؛ لأنّ الواقع لا يرحم ولا يجامل وليس في قلبه شفقة، بل هو يحنّك دوماً على العمل والانسجام مع متطلّباته.

لكنّ هذا لا يعني أنّ شعيرةً مثل شعيرة عاشوراء يفترض أن تتوقّف؛ لأنّ الظلم في هذا العالم لا يتوقّف، وكثير من أتباع مذهب أهل البيت ما زالوا يعيشون حياة المعارضة والظلم والقمع في غير بلد مسلم، ولم تأت عاشوراء لكي نعيشها إذا كنّا معارضةً فقط أو مقموعين من نظام استبدادي محليّ، بل أتت لتعلّمنا ثقافة رفض الظلم أينما كان وحلّ، وأتت لتقول للناس: إنّ حكّامكم الجدد - ولو رفعوا شعار الإسلام - لكنّه لا يجوز لهم الظلم والبغي والجور، فلا تغفلوا عن الظلم أبداً، وأبقوا عيونكم مفتوحةً لأيّ انحراف في الأُمّة، وابدوا كامل جهوديّتكم للتضحية بمختلف أشكالها حيث يتطلّب الأمر، وبالطريقة المناسبة، فقد تكون التضحية شهادةً في سبيل الله، وقد تكون غير ذلك.

فالمبادئ التي نستلهمها من رمزيّة مثل حركة عاشوراء في الثقافة

الإسلامية هي مبادئ عامة، كما سبق لي أن شرحت بعضها باختصار من قبل و عددت منها عشرة مبادئ، وكلّمنا نجح العلماء والمصلحون في تجريد الرمزيات لتحويلها إلى مبادئ عملية - إلى جانب الحدث التاريخي - فسيكون بمقدورهم توظيف هذه الأحداث التاريخية في صناعة مستقبل أفضل .

من هنا، لست أوافقكم على أنّ تغير الحال في بلد كالعراق يستدعي وقف هذه الشعيرة، لاسيما والظلم العالمي لم يتوقف قط، فالظلم ليس في العراق فقط، وأنا - بوصفي إنساناً وبصفتي مسلماً - معنيٌّ بدرجةٍ ما بما يحدث على الإنسان الآخر من ظلم في بلاد المسلمين أو غيرهم، لأكون بذلك إنساناً حقيقياً، وأكون بذلك مسلماً حقيقياً يعيش ما يعيشه المسلمون في وجدانه ويهتم لأمرهم بطريقةٍ حكيمة لا تفسد عليه أمره وأمرهم معاً! هذا كلّهُ إلى جانب البعد الديني في شعيرة عاشوراء والمرتبط بمبدأ المودة لأهل البيت وتعميق العلاقة معهم روحياً وعاطفياً.

لكن لعلكم لا تقصدون هذا - أي إلغاء الشعائر - وإنما تقصدون حجم الاستهلاك الهائل فيها، وهذا موضوع آخر، يجب أن ندرسه من زوايا متعددة اقتصادية واجتماعية ودينية وسياسية محلية وإقليمية؛ لأنّ ما يحدث في كربلاء أيام محرّم وصفر لم يعد يقتصر على وضع مذهبي داخلي، بل صارت له رسائله الإقليمية والسياسية الواسعة، فقبل الحكم في هذا الأمر، علينا دراسة هذه العناصر مجتمعةً، وهو ما لا يفسح به المجال.

لكن دعني أوّكد على مفهوم (الهدر والإسراف)، حيث يدّعي بعض الناس أنّه لا إسراف في قضايا الشعائر، بل لا إسراف عندهم



فيما يسمّونه شعائر ويلحقونه بها إلحاقاً، ولو طيلة العام وليس في محرّم فقط، هذا موضوع مهم جداً، عنيتُ الإسراف والهدر في الوقت والمال والطاقات، وكذلك التبذير بسائر التكاليف بهدرها وعدم إعطائها حقّها في نظام الأولويات، وهذا يستدعي ليس إلغاء الشعائر كما يتوهّم بعضهم، وإنّما العمل على تنظيمها بشكلٍ دقيقٍ زنياً وأدائياً بما يحفظ تمام القيم الأخلاقية والدينية.

فلو فرضنا مثلاً أنّ شعيرة الحجّ ستفضي - بطريقةٍ ما في أسلوب أدائها - إلى فقر المسلمين وضعفهم وتخلّفهم، فهل يعقل أنّ الشريعة فرضت هذه الشعيرة لكي يتراجع حالنا؟ كيف وقد رخص القرآن للناس بالتجارة في موسم الحجّ ولم يعطلّها عليهم كما هو معروف، وهنا أنا لا أتكلّم عن أصل الفريضة أو الشعيرة، بل أتكلّم عن طريقتنا في أدائها، بحيث تجدنا نُلغي - أثناء تأديتنا لها - فرائض آخر كانت لازمةً علينا أيضاً، من نوع بناء الأوطان وتقوية اقتصاد المسلمين، ورفع مستوى الوعي والثقافة في حياتهم وغير ذلك، وكأبّها أمور لا تعني المسلم قطّ في هذه الحياة.. أو كأبّها ملفّات انتهينا منها ويحتاج العالم لسنوات كي يلحق بنا فيها!!

نحن اليوم - أخي الكريم - في حال طوارئٍ ولسنا في حال رخاء، وهذا يجب أن نعرفه جيداً.. هل تطوّرنا العلمي اليوم ونجاح شبابنا في تطوير العلوم الإنسانيّة والطبيعية لما فيه مصلحة أوطان المسلمين ولو بالاستفادة من الشعوب الأخرى، أمرٌ مستحب ومن الكماليّات أم واجب ومن الضروريّات؟ هل اكتفاؤنا الذاتي اليوم على المستوى الصناعي والتكنولوجي مستحبّ وكمالي أم واجب وضروري؟ هل إصلاح بل وتطوير أوضاعنا الإدارية ومحاربة الفساد المالي والإداري

اليوم واجب أم مستحبّ؟ هل تطوّر بلاد المسلمين في الإنتاج على مختلف الصعد مستحبّ اليوم أم واجب وضروري؟ هل حثّ شبابنا على طلب العلم في أصقاع الأرض وبأعلى الشهادات وأرقاها لازم للامة أم خطر؛ لأنّ بعض الأشخاص ارتدّوا مثلاً، وكأثمّ لن يرتدّوا لوبقوا في بلاد المسلمين؟! وهل كلّ تلك الحضارة التي بناها المسلمون عبر التاريخ كانت أمراً مستحبّاً وليس بواجب؟! ألم نلاحظ في القرآن والسنة تکرّر الدعوة للأخذ بالأحسن وطلب الزيادة في العلم وغيره؟! فلماذا صارت هذه الأشياء مستحبات وكماليات لا يعيش المتديّن اعتبارها من فروض الكفایات، عنيت فرض تطویر المسلمين وتقدّمهم على مختلف الصعد بما يرفع حالهم ليكونوا في مصافّ بل أرفع من الأمم الأخرى..؟ وألسنا بحاجة إلى العقل الديني الذي يحمل هذا النمط من الفهم؟ ألم يذمّ الرسول في الرواية المنقولة عنه ذلك الشابّ الذي ترك أهله وعياله للتعبّد لله تعالى وهم محتاجون للنفقة؟ أليس المسلمون عيال بعضهم، يلزمهم أن يحقّقوا وضعاً اقتصادياً يرفع الفقر بينهم؟!

إنّ طريقة الأداء هي التي يجب أن نفكّر بها، وهي تخضع أيضاً لنظام الأولويّات والقراءة المجموعيّة للدين، فلا يصحّ لك عندما تمارس فريضة الصلاة أن تقوم بها بأيّ طريقة كانت، ولو بأن تصلّي على أرضٍ مغصوبة، فالله لا يمكن أن يُطاع من حيث يُعصى، ولا يمكنك وأنت تريد أن تؤدّي فريضة الصوم أن تؤدّيه بأيّ طريقة كانت، ولو لزم من ذلك الضرر البدني عليك، فالشريعة هنا تمنعك من هذا الاندفاع العاطفي لهذه الفريضة بحيث تؤذي نفسك بدنيّاً ومادياً.. ولا يجوز لك أن تتفاعل روحياً وعاطفياً مع الصلاة وبجانبك طفلٌ صغير تهمّ أفعى سامّة بالقضاء عليه.. هذه ليست

روحانيّة العبادات، بل هذا ضربٌ من مخالفة الدين..

الأمر بعينه يجري في سائر الفرائض والشعائر، لكن ليس على المستوى الفردي فحسب، بل على المستوى المجتمعي أيضاً، فمثلاً - وهذا مجرد فرض غير واقعي - هل يجوز أن يظلّ الشيعة طيلة أيام السنة يعطلّون أعمالهم ويذهبون فقط للزيارة كما يحصل مثلاً في أيام عاشوراء، فهل يجوز تطويل هذه المدة لكلّ أيام السنة وليس فقط ليوم العاشر من المحرم بحيث يتكرّر العاشر بزخمه وقوّته واستنفاره لثلاثمائة وخمسة وستين يوماً في السنة؟ بالتأكيد لا يرضى الفقهاء أنفسهم بذلك؛ لأنّ هذا يعطلّ حياة الناس ويوجب تخلفهم وتضرّرهم..

هذا كلّه يدلّني على أنّه لا بدّ من توجيه ديني وديني (علماء الدين والسلطات الحاكمة) في كيفية استثمار هذه الشعائر بأفضل طريقة وأقلّ خسائر من الجهات الأخرى، بما يحقّق - من حيث المجموع الروحي والمادي - مكسباً إضافياً للفرد والأمة، ويوازن كافة التكاليف والفرائض والمستحبات الأخرى.

ونتيجة القول: إنّ التعامل مع الشعائر يجب أن يكون - كما مع سائر الفرائض الدينية - وفقاً لمنطق أنّ الشعائر لا تحلّل الحرام، ولا يصحّ أن نقول فيها: إنّ المشاركة في الشعائر حسنة لا تضرّ معها سيئة! أو نقول: إنّ الشعائر فعلٌ حسن يُسقط سائر الأفعال الحسنة عن كاهلي! ولا يصحّ فيها أن نقول: ليس هناك في الدين والدنيا غير هذه الشعائر! فكلّ هذا منطق غير صحيح لا شرعاً ولا غيره، بل الشعائر جزءٌ من المنظومة الدينية المتكاملة التي تؤخذ معاً، وتنظّم بالطريقة التي تحقّق أفضل المكاسب وأقلّ الخسائر، آخذين بعين

الاعتبار الجوانب الروحية والمادية، وليس فقط المادية منها، وآخذين بعين الاعتبار أيضاً التمييز بين كون الشعائر سبباً في تخلفنا وتراجع حالنا، وبين كون طريقة أدائها لها هي الموجبة لذلك، وفي الحالة الثانية علينا الاشتغال على تطوير أدائها باستمرار بما يحقق قيامة هذه الشعائر من جهة، ويضمن تحقيق مستوى أعلى من المكاسب منها للفرد والأمة من جهة ثانية.

هذا هو المنطق الذي اعتقد أن به يمكن إقامة أفضل أنموذج للشعائر، فكما كانت لحوم أضاحي الحجّ تذهب هدرًا، وبدأ التفكير باستغلالها، وتحقق تقدّم كبير للغاية في هذا المجال والحمد لله، واستطعنا ترشيد أدائنا الحجّي، كذلك الحال في أيّ شعيرة أخرى، حيث يجب أن نفكر دومًا في الآثار السلبية التي قد تنجم أحيانًا عن قضية تفصيلية هنا وأخرى هناك، لكي نقوم بتفاديها وترشيد الأداء الشعائري العام، دون أن يطغى أداء شرعي كالشعائر على وظائف أخرى نحن مكلفون بها أيضًا، فليس الدين - كما يريد بعضهم اليوم - شعائر وشعائر فقط، بل هو مسؤوليات أخرى جمّة في الحياة أيضًا إلى جانب هذه الشعائر، وعندما نقيمه بهذه الطريقة، ستبدو الشعائر أكثر جمالاً وهيبة؛ لأننا نضعها في سياق مركّب متكامل ومنسجم .

وأخيراً: إذا كان الكثيرون اليوم يتحدثون عن تشويه بعض ما يسمّى بالمنظمات الدينية الجهادية لصورة الإسلام (علماً أنّ هذه المنظمات تبريراتها الفقهية أيضاً) فإنّ هذا الهمّ يجب أن يكون معنا أيضاً في غير باب الجهاد، فربما نفعل أشياء لا ندرك - كما لم ندرك هذه المنظمات الدينية الجهادية - أنّها تشوّه صورة الإسلام، وتعطلّ

تقدّم المسلمين على مختلف الصعد.

إنّ تقديم تجربة دينية اليوم تهتمّ بأمر الشعائر أيما اهتمام لكنّها تعجز عن تقديم حال المسلمين وتطويرهم على مختلف الصعد، بحيث يبقى الفقر والجوع والتخلّف والصراع والأميّة والفوضى والعبثيّة والعيش على إنتاج الآخرين وغير ذلك، مهمناً عليهم.. إنّ تقديم مثل هذه التجربة قد يشوّه القضية الحسينية نفسها؛ إذ يقدّمها للناس على أنّها مشروعٌ أفضى بجماعته للتخلّف والزوال والجهل والرجعيّة والعدميّة، وفي هذا عبرةٌ لتفكّر، وفُسحةٌ نظرٍ لتأمّل.

## أسباب المبالغة بالشعائر والمندوبات

### وتقديمها على الواجبات<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: ما سرّ تمسّكنا ببعض المستحبات أو بعض الأعمال غير الثابتة أو فيها كلام بين العلماء إلى الحدّ الذي نجعلها فوق الواجب، فنهتمّ بها وننفق عليها كثيراً من المال والوقت مثل بعض الزيارات وغيرها؟

◆ الجواب: هناك أسباب متعدّدة متداخلة ومتواشجة لهذا الموضوع يمكنني أن أذكر بعضها باختصار:

١. وهو في نظري من أهم الأسباب التي تكمن اليوم وراء هذا الموضوع. إنّه الخوف على الهوية أو الهاجس الذي نعيشه إزاء الاستمرار في التخلّي أو التخفيف من رونق أو وهج بعض الأمور الدينية، فعندما يقوم فريقٌ من الناس بنقد هذا المستحبّ أو ذاك، أو نقد هذا التفصيل العقدي أو ذاك، أو نقد هذه الرؤية التاريخية أو تلك، أو نقد هذا التفسير أو ذاك، أو نقد هذا الحديث أو ذاك.. فإنّ ما يقوم بفعله قد يكون عمليةً بسيطةً لا يُفترض أن تؤدّي إلى قلق، لكنّ القلق يكمن في الشعور بأنّ عملية النقد هذه أو عملية التهميش هذه لا تقف - بحسب طبيعتها - عند هذا المستحبّ أو الاعتقاد أو التاريخ أو الحديث أو.. بل إنّها سوف تمتدّ لتستوعب مجالاً أوسع، وفي هذه الحال يظهر شعور بالخوف من أن يكون الذهاب خلف عملية النقد التفصيلي هذه مما سيجرّ إلى تساقط أوراق الشجرة المثمرة أو تهاوي حبّات السبحة، فيظهر شعور بالقلق تجاه مستقبل الوضع الديني لو أخذنا هذا النقد التفصيلي هنا أو هناك.

(١) إضاءات ٤: ٤٥٨

إنّ القلقين ليسوا سدّجاً، إنهم يدركون - أو على الأقل قسمٌ ليس بالقليل منهم يُدرك - بوضوح أنّ هذا التفصيل العقدي أو التاريخي أو الفقهي أو الحديثي ليس مشكلةً في حدّ نفسه، إنّما المشكلة هي التيار النقدي الذي قد لا تتوقّف آلة النقد الهدامة عنده عند هذا التفصيل أو ذلك، بل ستستمرّ، وهناك خوف من المآلات التي ستوصلنا إليها عملية الاستمرار هذه. لقد قلتُ مرةً بأنّ بعض القلقين يحاول تضخيم تفصيلٍ صغير لكي يحمي بذلك أمراً كبيراً يخشى أن تطاله عملية النقد والهدم بعد ذلك، فكما أنّك تضع خطوطاً دفاعيةً متعدّدة لكي تحمي العمق، بل قد تذهب ناحية أراضي الآخرين لتحمي نفسك من تقدّمهم العسكري نحوك، كذلك الحال هنا، هناك من يضخّم من تضعيف هذا الحديث أو ذلك، أو هذه القضية الفقهية أو تلك، أو هذا الرأي الفلسفي أو ذلك؛ لأنّه يريد بذلك - ولو من حيث لا يشعر - أن يحمي المنظومة القابضة خلف هذا التفصيل، فإنّ الكثير من التفاصيل تقوم بدور حماية المراكز الكبرى في المنظومات الفكرية.

ولهذا السبب تجد أنّه في ظرفٍ زمنيّ معيّن يمارس القلقون أنفسهم نقداً شبيهاً بهذا الذي خافوا منه، فالمحافظون نقدوا بأنفسهم في مرحلةٍ زمنيةٍ الكثير من الموروث، لكنّهم اليوم شعروا بالخوف من استلام آخرين لدقّة النقد هذه، واستمرار الآخرين بها، بحيث أو جب ذلك قلقاً على ما تبقى من المنظومة، ولهذا تجد اليوم أنّ الكثيرين من أنصار الشيخ المطهري أو السيد الصدر أو الشيخ محمد عبده أو غيرهم يخشون من ذكر بعض أفكارهم، رغم أنّهم كانوا يروّجون لها في الماضي القريب، لماذا؟

لأنّ الوضع انقلب من مرحلة الإحساس بالأمان إلى الشعور بالخوف على الذات بفعل تراجع أوضاعنا الدينية وتنامي المدّ العلماني الناقد للمنظومة الدينية من الداخل، وهي مرحلة جديدة من الصراع العلماني الديني شهدناها في العالم العربي والإسلامي، وهي غير النقد العلماني المخارج لهذه المنظومة، فالعلمانيون اليوم أخذ فريقاً منهم بنقد الفكر الديني بواسطة إعادة إنتاج فهم جديد له، وليس فقط بواسطة نقد خارجي عليه، وهذا كالفرق بين من يقتحم صفوف العدو برياً، وبين من يقصفهم من بعيد.

٢. عدم الثقة بمن يدير المشاريع النقدية والإصلاحية والفكرية الجديدة، فهناك أزمة ثقة بين الناقد الجدد والمحافظين. إنّ المحافظين لا يثقون ببعض أو بكثير من الناقدين ولا بنواياهم، لهذا يشكّون في أنّهم تركوا مذهبهم أو لا يؤمنون بالدين أساساً وإنّما يتلبّسون بما تراه الأغلبية لكي يمرّروا أفكارهم من خلال ذلك، إنّهم يريدون تدمير المؤسسة الدينية والبنية التدينية للناس، إنّهم خبثاء منحرفو القصد يجيدون أعلى مستوى من ممارسة التقيّة، وربما يصل أمر التشكيك بهم إلى حدّ التخوين بالعمالة للأجنبي، الأمر الذي يتعزّز ببعض المعطيات هنا وهناك.

هذه الحالة من فقدان الثقة موجودة، وعندما تفقد ثقتك بمن يدير مشروعاً فكرياً دينياً فمن الطبيعي أن تُبدي حساسية عالية إزاء كلّ ما يصدر عنه ولو كان أمراً يمكن تصحيحه في حدّ نفسه. وكلّنا يعرف أنّ إعادة بناء الثقة ليست عملية بسيطة أبداً، ولا تكفي فيها البيّنات ولا الأيمان المغلّطة. إنّ فقدان الثقة



تصاحبه عادةً حالةً من الجفاء، والجفاء يسمح للخيال السلبي بالنشاط، فعندما تتعد عن شخص وتكتفي بما يصلك عنه ممّا يعزّز فقدان الثقة به، فإنّ الخيال يصبح نشطاً في مجال شيطنته في عقلك، فيزداد الموقف تأزماً، ويصبح من العسير أن تصدّق بأنّه لا يحمل كلّ هذه السلبية والخبائثة التي تعتقدها فيه.. نحن نتعامل مع وقائع، وعلينا وعيها بشكل كامل، هذه ردّات فعل تبدو لي أحياناً طبيعية ومتوقّعة، مهما كانت غير صحيحة فكرياً ولا قيمياً.

٣. تحوّل الجماعات الناقدة إلى خصم سلطوي ينافس التيارات المحافظة في اكتساب الجماهير أو مواقع النفوذ المالي والاجتماعي والسياسي. أرجو أن لا يظنّ أحد أنّني أتكلّم عن نوايا غير أخلاقية عند أحد، إنّني أتكلّم عن صراع نفوذ وتجاذب فيما يراه كلّ طرف هو الحقّ وهو الدين الذي لا بدّ له أن يدافع عنه. لقد تحوّل الواقع إلى تيارات أتت من أفكار وغيرها، والتيارات تعتبر قوى نافذة على الأرض، وتعدّد القوى النافذة في ظلّ وضع غير سويّ على مستوى المشاركة السلطوية عموماً في العالم الإسلامي - بالمعنى العام للسلطة - يفضي إلى تصارع يبدو أحياناً غير منطقي، فلو كنّا في بلدان مستقرّة لا يعيش أحدٌ فيها الخوف على الوجود والعنوان، لكان التنازع بين التيارات مؤطّراً بالأطر الطبيعية العامّة التي تحكم المجتمع عموماً، أمّا عندما نكون في بلدان غير مستقرّة كأكثر بلداننا الإسلاميّة، فإنّ التنازع بين التيارات سوف يفضي عادةً إلى صراعات أشدّ، لاسيّما ونحن نتكلّم عن تيارات دينية أيديولوجيّة. واشتداد الصراع يفضي إلى قطيعة، والقطيعة تفضي إلى التركيز على الخصوصية الفئويّة،

بمعنى أنه عندما يتم التنافس السلبي بين التيارات فإن كل تيار يحاول أن يقطع علاقته بالتيارات الأخرى، والعلاقات المقطوعة سياسياً وفكرياً واجتماعياً .. تؤدّي عادةً إلى سعي كل فريق للحفاظ على خصوصيته، فيزيد كل فريق من لونه امتيازه عن الآخرين ويقلل من العناصر التي تؤدّي إلى تشاركه مع الآخرين، وهذا ما يؤدّي بطبعه أيضاً إلى أن تجد تشديداً على أمر غير ثابت أو فيه كلام لا لشيء إلا لأجل الامتياز عن التيارات الأخرى التي تواجه معها معركة نفوذ أو وجود، ولهذا أنت تجد أنه كلما اشتدّ الخصام بين المذاهب والتيارات الدينية زادت نسبة العادات والأعراف والمفاهيم التمايزية وقلّ رونق المفاهيم والأعراف المشتركة، وهذا بالضبط ما حصل تاريخياً وإلى يومنا هذا مع المذاهب الإسلاميّة عموماً تقريباً.

بل نحن نجد التنظير لمخالفة الآخر المذهبي وأنّ الرشد في خلافه، وأنه يجب ترك كذا وكذا لأنّ أنصار هذا المذهب يفعلونه، ويجب فعل كذا وكذا، لأنّه ثابت في أصل الدين والشرع بنصّ أو بدليل خاصّ به، بل لأنّه صار عنواناً للخصوصيّة المذهبية هنا أو هناك، والخصوصية صارت بنفسها قيمة ذاتية تضيفي على الأشياء قيمةً جديدةً، وهذا بعينه يحصل داخل التيارات في المذهب الواحد، وقد يولّد بمرور الزمن مذاهب داخل هذا المذهب لو طالّت مدّة التخاصم هذه.

٤. الإحساس بفقدان البدائل، وهذا أمر لا ينبغي أن نستهيّن به، فعندما يقوم الناقدون بتهديم صرح مفهوم ما أو عادة ما أو شعيرة ما، فإنّ الشعور العام يعطي أنّ الثقافة الدينيّة قد

فرغت من هذه الشعيرة، وعندما لا يقوم الناقدون بتعبئة هذا الفراغ بشيء آخر يرونه ثابتاً، فإن الإيحاء العام يعطي أتهم يقومون بهدم الدين دون بدائل، وهذا يعني أن القيم الدينية يتم الإنقاص منها دون أن يتم التأكيد عليها، وهذا ما يولد أيضاً شعوراً بالخوف والقلق.

من هنا، يخطأ الناقدون عندما لا يركزون على البدائل حيث يمكن؛ لأن الحالة النفسية الاجتماعية تشعر بالفراغ الديني حينئذٍ (حتى لو كنت تعتبر شخصياً أن هذا الفراغ وهمي)، الأمر الذي يعطي إحساساً بأن التدين يتراجع، فإذا جاء شخص يقول بأن حذف صلاة الرغائب مثلاً هو تضحية بحالة إيمانية تحصل في بدايات شهر رجب، فهو يتكلم عن واقع اجتماعي حقيقي، إذ بالفعل سوف يحصل هذا وفقاً للوضع القائم، فإذا لم تكن لديك رؤية لتعبئة مكان الفراغ الذي خلفته عملية الحذف هذه، فسوف تواجه أزمة، لهذا عندما يدافع بعض الناس عن هذه الصلاة عالمين بأنها غير ثابتة مثلاً فقد يقصدون - بالتحليل النفسي - إبداء رفضهم للتضحية بحالة دينية معينة تم توفرها لسبب أو لآخر، كما وإبداء تمايزهم عن الجماعات الناقدة، ولهذا تجد بعض الناس يستغل هذه المناسبات لإبراز عناصر التمايز عن هذه الجماعات عبر التركيز على هذه الشعيرة مثلاً، وكأنه يريد أن يقيها بالقوة والقهر، في حين لا تجده بهذه الحماسة في شعيرة أخرى ثابتة باليقين في النص الديني ومهجورة في الوقت عينه مثل صلاة الليل! والسبب هو هذا، لا لأنه لا يعرف أن الأمور علمياً على الشكل التالي، بل لأنه يريد أحياناً أن يتمايز عن هذه الجماعات أو لأنه يريد أن لا يخسر - في فضاء تتساقط

فيه الكثير من الأوضاع الدينيّة - حالة إيمانية شعبيّة متوقّرة تظلّ بنظره أفضل من ذهاب شبابنا نحو مكان آخر.

بهذه الطريقة تتمّ العملية، فكلّما لم تقدّم أنت بدائل فإنّ النقد قد يذهب بالحالة الشعبيّة نحو مكان أسوأ من الأمر الذي قمت أنت بنقده.

٥. مساس بعض الأمور بالجانب الشعبي الناظم للجماعة الدينية كالشعائر العامّة، فإنّ الشعائر - من زاوية من الزوايا - تعدّ أحد عناصر انتظام الجماعات الدينية والتّامها وتماسكها (وشحنها)، فعندما تقوم بالتخفيف من رونقها فأنت تهزّ عنصر اللحمة الجماعيّة الدينيّة أو المذهبيّة، صحيح أنّك تتقدّ بطريقة علميّة، لكنّ الزاوية الاجتماعيّة لنقدك يتلقّاها الطرف الآخر على أنّها هدم لركن أو عنصر من عناصر الاجتماع الدينيّ..

تصوّروا مذهباً أو ديناً بلا شعائر عامّة، إنّهُ قد يكون أقلّ استحكاماً على المستوى الاجتماعيّ من الدين الذي يلتحم فيه أبناءه عبر هذه الشعائر التي تمثّل شحنات روحية اجتماعيّة عامّة. والذين يدافعون عمّا تنتقده أنت قد يتحرّكون في لاوعينهم ضمن هذا السياق، فكلّما حافظنا على هذه الشعيرة فنحن نحافظ على قيامة المذهب أو الدين، في مقابل الآخرين، كما أنّنا نمارس عرض قوّة في مقابلهم في مناخ يعجّ بالتوتر الطائفي، هذا كلّهُ يجب أخذه بعين الاعتبار.. صحيح أنّهُ لا يؤثر على القيمة العلميّة لنقدك، لكنّه لا يمكن تجاهله بالنسبة للإنسان الرساليّ الذي يريد بنقده حماية الدين على أرض الواقع لا هدمه.

عندما أضع هذه العوامل - وهي مجرد أمثلة - لا أقصد تأييد ما يحصل، بل إنني أعتبره مخالفاً لفقهِ الأولويات، وإنما أقصد فهم بعض جوانب ما يحصل، وعدم التعامل مع الأمور من جانبٍ علميٍّ بحثيٍّ فقط؛ لأنَّ فهم الآخر فهماً سليماً ووعي منطلقاته الملموسة والمستورة في ردّات فعله ضروريٌّ للغاية أيضاً. إنَّ بعث الشعور بالأمان والعمل على خلق بدائل على المستوى الاجتماعي والروحي.. عناصر مهمة لنجاح عمليات الإصلاح الديني في مناخ يعيش الدين بوصفه ركناً أساسياً من أركان الحياة.

## أشعار بعض الشعراء والمدّاحين ومسألة الغلو<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: ما هو رأيكم بمن يقول في شعره - لأجل تعظيم الإمام الحسينؑ: يا حسين أنت كبير، يا حسين أنت عظيم، أكبر من الله أكبر والصلاة.. وقد انتشر هذا الشعر على وسائل الإعلام الطائفي لتشويه صورة مذهب أهل البيتؑ، نتيجة لما قاله بعض المدّاحين في إحدى القنوات المحسوبة على التشيع. فما صحة الاعتقاد بمثل هذه العقائد؟ وهل فيها شرك بالله سبحانه وتعالى؟ وهل أهل البيتؑ أكبر من الله أكبر والأذان وقول لا إله إلا الله والدين؟ وكيف ينسجم ذلك مع قول الرسول الأكرمؐ: (ما قلت ولا قال القائلون قبلي مثل لا إله إلا الله)؟

◆ الجواب: لقد سبق لي أن تابعت هذه القضية والجدل الذي وقع فيها، ووجدت أنّ بعض الناس فهم من هذا الشعر أنّ الحسين أكبر من الله، وهذا غير صحيح، فمن يستمع لهذا الشعر يعرف أنّه لا يريد أكثر من كون قضية الحسين والإمامة أكبر من الصلاة والأذان، وهذا لا يصنّف في ضمن الشرك أو الكفر بالله تعالى، ولا ينبغي التهويل في الأمور كثيراً لأغراض سياسية أو مذهبية أو طائفية، وقد رأينا عشرات الحالات التي من هذا النوع يصار إلى تصوير الأمور فيها بطريقة تشويبية أو مبالغ بها بحيث تخرج عن وضعها الطبيعي، من هنا فلا أجد أنّ هذا المقطع من الشعر تعبيرٌ عن كون الحسين أكبر من الله أو كونه شريكاً لله تعالى في خلقه أو تدبيره أو غير ذلك والعياذ بالله.

إنّما ينطلق مثل هذا الشعر من ثقافة موجودة عند كثير من

(١) إضاءات ٥: ٤٥٧

الشيعة في تقديم قضية الإمامة على سائر الفروع الفقهيّة، كما تتقدّم قضية النبوة عليها عند جمهور المسلمين، فالإمامة أفضل من الصلاة والصوم والحجّ والخمس والزكاة والعمرة وغير ذلك، وهي أعظم ما نودي به في الأمة مقارنةً بأكبر الفروع الشرعيّة العمليّة، بل قد اعتبرها بعضهم من أصول الدين التي تتقدّم بشكل تلقائي عادةً على الفروع العمليّة في الدين الإسلامي نفسه، وهذا الرأي هو الذي يريد الشاعر أن يعبر عنه، ولا يريد أن يقول بأنّ الحسين أكبر من كلمة التوحيد في الأذان، ولا من الرسالة التي نطق بها في الأذان والإقامة، بل يريد أن يقول بأنّ الأذان والصلاة هما شعار العمل الصالح في الإسلام، والحسين أكبر منهما، بوصفه رمزاً للإمامة بكلّ قضاياها الكبرى التي يؤمن بها الشيعة.

نعم، ينتقل الموضوع هنا إلى أنّ هذه الفكرة، وهي فكرة أنّ الإمامة أكبر من فروع الدين برمتها، هل هي فكرة صحيحة أو هي فكرة غير صحيحة؟ فمن حقّ فريق أنّ يقول بأنّ هذا المفهوم خاطئ ومناقض للنصوص القرآنيّة والحديثيّة، انطلاقاً من فهمه للنصّ الديني بمجمل أطرافه، أو كما كان يقول أبو الفضل البرقي - فيما ينسب له - بأنّ الإمامة طريق للدين وتعريف به وليست جزءاً منه. ومن حقّ فريق آخر أن يجتهد فيرى أنّ الإمامة أعظم من مختلف الفروع الفقهيّة والعمليّة والشعائريّة في الإسلام، وينطلق في ذلك من نصوصه التي يؤمن بها، ومن فهمه لمجمل أطراف النصّ القرآني والحديثي في هذا السياق.

وهذا الخلاف مشروع، ولا أريد أن أبدي فيه الآن رأياً، لكنّه لا يمتّ بصلة لقضية الشرك والتكفير حتى نمارس تمييزاً كبيراً للناس

في ذلك، أو نحاول أن نقرأ الشعر بطريقة أخرى، وهي: الحسين أكبر من الله، أكبر والصلاة، بحيث يكون المعنى أن الحسين أكبر من الله ومن الصلاة؛ فإن الشعر ليس كذلك، وكل من يسمعه يعرف هذه الحقيقة بوضوح.

وليس همّي هنا أن أدافع عن هذا الشعر أو أفسّره، بل همّي أن نتقل من هذه الحادثة / المفردة، إلى وعي منهج يقوم على:

أ. عدم اقتطاع النصوص بهدف تعظيم النصّ المقتطع، أو تقديمه بصورة غير دقيقة، وهي عمليّة تمارسها الكثير من المذاهب عادةً في حقّ بعضها.

ب. حمل المسلم على التفسير الأحسن لكلامه؛ إعاداً للنفس عن اتهام الناس بالكفر أو بالشرك، فالاستعجال في الاتهام مشكلة عظيمة ابتليت بها الأمة، وما دام هناك محمل في هذا النص أو ذاك فلا بأس باختياره، نعم لو كان النصّ واضحاً فلكلّ إنسان الحقّ في الحكم عليه.

ولست أرفع التهمة عن بعض الناس الذين أعتقد شخصياً بأنّ في كلامهم ما ظاهره الكفر أو الشرك هنا أو هناك، سواء قصدوه أم لم يقصدوه (دون أن أنصب نفسي في الحكم على دينهم)، بل أقصد إلى أن تربيّت كثيراً في هذا الموضوع، وملتمس المعاني الأحسن والأبعد عن الشبهة في فهم كلام المسلمين، ولو رأينا في كلامهم ما فيه شبهة فالأفضل أن نعظّمهم بتجنّب مثل هذه الكلمات، قبل أن نسرع إلى اتهامهم بالشرك على أساسها مع إمكان حملها على معنى لا ينافي التوحيد.



ج. أن نعرف أننا اليوم في عالم مفتوح، وقد انتهى زمن السرّ والعلن في كثير من الأمور، وأنت عندما تكون في مجلسٍ هنا أو هناك فإنّ الكثيرين يرصدون ما تقول أكثر مما ترصد أنت نفسك وجماعتك ما يقولون، فهذه حقيقة قاطعة واضحة تجلّت خلال العقود الثلاثة الأخيرة في صراع المذاهب فيما بينها، وساعد عليها انفجار المعلوماتية وتطوّر وسائل التواصل، وهذا يعني أنّ الكلام الذي يحتمل أكثر من معنى ينبغي - قدر الإمكان - السعي لتجنّبه؛ حذراً من حصول فهم مغلوطة له، نتيجة الشحن الطائفي القائم في المنطقة.

نعم لو كان الكلام واضحاً جلياً، ولكن الآخر يريد الاتهام كيف شاء والافتراء.. فلا ضير ولا تثريب على قائل الكلام، لكن ما دامت بعض الكلمات تحتمل وجوهاً في المعنى، وأحد وجوهاها ملتبسٌ، وقد يخلق مشكّلةً، فالأحسن تجنّب ذلك؛ حذراً من أن يفهم الإنسان خطأ على مستوى موضوع التكفير والإيمان ونحو ذلك من القضايا الفاتحة الحساسة والأهميّة.

ومن هنا دعوتي للكثير من الشيعة والصوفيّة والسلفيّة أن يتجنّبوا التباس الكلمات في تعابيرهم في هذه المرحلة الخطرة من عمر الأمة، كما أدعو - بصفتي مسلماً من آحاد المسلمين - المرجعيّات الدينيّة في المذاهب المختلفة لوضع حدّ لفوضى تصدّي أيّ كان للتعبير عن قضايا المذهب بطريقة ملتبسة وخطرة وقد تجرّ مشاكل كبيرة، ولا أعني بوضع الحدّ منع الناس أو حجز الحريات، وإنّما أن تعبّر المرجعيّات الدينيّة عن رؤيتها الواضحة الصريحة في الكثير من هذه المواضيع الملتبسة، ويكون هذا التعبير مُفصّحاً ومفوّتاً الفرصة على

من يريد استغلال جملة هنا أو هناك أو توظيف تعبير هنا أو هناك في أغراضه الشخصية أو الفتويّة، أو الترويج لتعبير هنا أو هناك لا يشكّل أساساً فكرياً في هذا المذهب أو ذاك وإنّما هي تعابير دخيلة عليه.. ويتمّ العمل على الترويج الإعلامي لمواقف المرجعيّات الدينيّة في هذا المجال، وعدم ترك المنبر الإعلامي لهذا المذهب أو ذاك بيد الشعراء والمدّاحين والخطباء فقط، مع حقّ هؤلاء المحفوظ في نشاطاتهم الكريمة جزاهم الله خيراً، فالعلماء والمفكّرون من وظيفتهم التي أمرهم الله بها تصويب الأخطاء وجرأة الإفصاح عن الحقيقة وعدم الخوف غير المبرّر من (عامّة) الناس؛ لأنّ هذا الأمر قد يفضي بمرور الوقت إلى (عومّة) أهل الاختصاص، بدل (خصوصة) جمهور الناس وعامّتهم إذا صحّ التعبير، (عومّة) تستحكم في المختصّين أنفسهم وهم لا يشعرون بما طرأ عليهم من التفكير (العوامي).

كما أهيب بالعلماء والعاملين والمؤمنين كافّة أن يبدوا حساسية محمودة تجاه قضية الألوهيّة والتوحيد، وأن لا يهدروها بحيث لا يتحسّسون من الأفكار أو المسلكيّات أو الأقوال التي قد تقترب منها بطريقة سلبية، فالتوحيد أكبر قضايانا الدينيّة، والالتفاف على هذه القضية أو تمييعها بتحويلها إلى قضية نظريّة رقميّة بعيدة عن السلوك والمشاعر شكّل من العدوان عليها دينياً.

والعجيب أنّ بعضنا يتحسّس من كلمة بسيطة قد تُطلق هنا أو هناك تتصل بشأن مذهبي، لكنّه لا يُبدي أيّ حساسية تجاه التباس ما قد يتصل بقضية التوحيد! فقد لا يُبدي بعضنا حساسية تجاه مدّاح مشهور جداً يخرج للناس (وقد لا يكون قاصداً ذلك جداً، بل يكوّن ذلك ناتجاً منه عن هيجان العاطفة الشديدة) فيقول: (لا

إله إلا الزهراء) أو (لا إله إلا زينب)، وقد تجد من يتأول له تعابيره  
وينتقد هذا التأول مرجعاً كالشيخ مكارم الشيرازي لتصدّيه لهذه  
الظاهرة (بصرف النظر عن الجدل الذي صاحب الموضوع فيما قيل  
عن الحكم بكفره من قبل المرجعية الدينية).. لكنه يتحسّس للغاية  
ممن يقول - وهو الدكتور حسن رحيم بور ازغدي -: لا تجعلوا كل  
أيام السنة حزناً وعزاءً، فقد تعبت الناس وملّ الشباب منّا، رغم  
أنّ رأي ازغدي سبق أن صدر ما يؤيده تقريباً قبل عام أو عامين  
من قبل المرجع الديني السيد موسى الشيرازي الزنجاني حفظه الله،  
عندما اعترض سماحته على تكثير مشاريع أسابيع الحزن أو عشرات  
الحزن التي راجت مؤخراً في غير مكان.

نعم، لا ينبغي لأيّ حرب مذهبية أو طائفية أن تفرض علينا - من  
حيث لا نشعر - تراجعاً عن الاهتمام بقضية التوحيد التي ترجع  
إليها أعظم قضايا الدين في الفكر والسلوك والعمل والإحساس،  
كما يقول العلامة الطباطبائي رضوان الله تعالى عليه.

## سعة مفهوم (هيات منا الذلة) في الحياة الاجتماعة والمدنية<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: أليس من المفارقة الإيمان والاعتقاد بمقولة (هيات من الذلة) التي أطلقها الإمام الحسين، ويرددها الناس اليوم مع كل ما يعانون من ظلم وتدهور سياسي وأمني واقتصادي، وسكوتهم عن من يغتصب حقوقهم كشعوب؟ هل المطلوب اليوم هو أن نسيل الدماء لأجل هذه المقولة أو أنها خاصة بموضوع معين؟

◆ الجواب: هذه الجملة وهذا الشعار مستقى من الثقافة الدينية التي ترفض الذل والهوان، ولا تسمح بأن يضع الإنسان الصالح نفسه في موقع الذل حتى لو تطلب الأمر أحياناً بذل الدم. ولا يختص هذا الشعار الديني - في أصوله الفكرية الدينية، وعلى مستوى نصوص الكتاب والسنة - بالصرعات السياسية وبقضايا الجهاد الحربي، بل يستوعب حتى المجال الحياتي للفرد المسلم، فالعيش في ذلة وهوان أمر مرفوض، وعلى الإنسان الصالح أن يعيش في عزة وكرامة في مختلف أمور حياته. فكما يوجد هوانٌ على الصعيد السياسي كذلك على الصعيد الاقتصادي والمعيشي، وكذلك على الصعيد القيم والكرامة الاجتماعية، فالمطالبة بحقوق الأفراد والجماعة نوعٌ من الرفض للذل والهوان في بعض تطبيقاته على الأقل، بل قد يكون السلم وعدم الحرب في بعض الأحيان هما المحققان للعزة والكرامة فيما الحرب لا تجرّ على الناس سوى الموت والدمار والهزيمة. وهذا ما يتطلب وعياً دقيقاً بالظروف والمآلات.

لا تؤخذ هذه الكلمة على أنها ذات معنى محدد ومنحصر، بل

(١) إضاءات ٥٠٦:٥

هي مبدأ حياتي عام وردت حوله الكثير من النصوص القرآنية والحديثية، يمكن مراجعتها، أمّا تطبيقه فيختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والظروف والمجتمعات.

من هنا، نعرف أنّ رفض الذلّة والهوان يمكن أن يعيشه الإنسان عبر طريق الجهاد الحربي الذي هو الطريق الأسمى، فلو استشهد يموت عزيزاً شريفاً تخلّده القلوب وتفتح له السماء أبوابها، كذلك يمكن أن يطبّق في مكان آخر بالسلم، فالمعارضة السلميّة والمظاهرات السلميّة الراضية لأشكال الذلّ والعار، وكذلك مختلف الأنشطة الحقوقية والمدنيّة والثقافية التي تمارسها مؤسّسات وجمعيات المجتمع المدني وغيرها يمكن أن تكون في بعض الأحيان مصداقاً لتطبيق مبدأ رفض الذلّ عندما يكون هدفها الحقيقي تأمين وتوفير كرامة المواطنين وعزّتهم وشرفهم وهيبتهم، فالمؤمن له حرمة عند الله كحرمة الكعبة كما جاء في بعض النصوص الهادفة لتأكيد مكانة المؤمن وهيبته وقديسيّته في الثقافة الدينية العامّة.

نعم، إنّ هذه الأنشطة جميعاً تنتمي إلى هذا المبدأ الديني وفقاً لأهداف أصحابها، وليس الدين - كما يخيل لبعضنا - بعيداً عن مطالبة الإنسان بحقوقه بالعيش الكريم والحياة العزيزة الشريفة، فحفظ المؤمن لحقّ العزّة والكرامة لنفسه توجيّه إلهي، ولهذا قال الإمام الحسين بأنّ الذلّة يأبأها له الله ورسوله؛ لأنّهما لا يقبلان بالعيش الذليل الخانع، بل يريدان من الناس السعي لتوفير عيش قوي يرفع رؤوسهم عالياً في أوطانهم وأينما ذهبوا، بدل أن يرمي بهم أذلاء في بقاع الأرض!

وعلى هذا الأساس قلنا في بعض حواراتنا بأنّ سعي الإنسان

للمطالبة بحقوقه لا يقوم في الفكر الديني على رغبة بتأليه الإنسان لنفسه، بل على طاعة الله وخضوع له سبحانه فيما أرادته من أن نكون أجراء نملك حقوقنا ولا نُسَلَّبها أو نُغْتَصَبها، ولهذا كانت الحقوق في الإسلام نوعاً من الواجبات بمعنى من المعاني (انظر: حيدر حب الله، حوارات ولقاءات في الفكر الديني المعاصر ١: ٤٦٧ - ٤٦٨، حوار: الفقه الإسلامي والتنمية، مآزق ومفاتيح لتطوير عمليّة الاجتهاد).

وبعبارة موجزة: هذا المبدأ يعني أنّ الإسلام يرفض الإنسان الدليل والمجتمع الدليل الضعيف، إنّه - كما في بعض النصوص - يرفض المؤمن الضعيف، فالإنسان في الإسلام يفترض أن يحافظ دائماً على عزّته وكرامته، ولا يضع نفسه في موضع الذلّ والهوان والخنوع طبقاً لإمكاناته وظروفه، إلى حدّ أنّه قد يلزمه في بعض الأحيان بذل نفسه ودمه وماله في سبيل الحفاظ على هويّته العزيزة الشريفة الكريمة. ومن الطبيعي أن ذلك كلّه يقع ضمن حدود إمكانات الفرد والجماعة من جهة، وضمن نظام الأولويات والحاجات الزمميّة من جهة ثانية.

## المنبر الديني والأزمة الطائفية والمذهبية<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: هناك آفات واضحة في الخطابات الدينية وفي خطاب المنابر الدينية باتت هاجساً مضرّاً بواقع المسلمين، فمن الخطابات المذهبية إلى الخطابات الطائفية. كيف يمكن أن تؤثر هذه الخطابات الواسعة الانتشار على مشروع الوحدة؟ وما هي العلاجات الناجعة لإعادة بناء خطاب إسلامي عالمي معتدل؟

◆ الجواب: إذا أردنا تشبيه هذه المشكلة، فانا أشبّهها بما كان يعرف في القرون الإسلامية الأولى بظاهرة القصاصين، مركز المشكلة أنّ شرائح كبيرة من شعوبنا تسيطر عليها الذهنية الشفوية، والعقل الشفوي يتأثر بالخطاب الشفوي، وهذا الخطاب يعتمد بدرجة كبيرة جداً على القصة، أي على الخيال، هذا معناه أنّنا ما دامت الذهنية شفويةً فحتى لو استخدمنا القلم سنبقى نتحرّك في مدار المؤثرات الخيالية، وفي هذه الدائرة من الطبيعي جداً أن لا نولّد معرفة حقيقية صارمة، وإنما ثقافة شعبية، ولا سيما عندما نحتكر المعرفة الحقيقيّة في ضمن دوائر مغلقة ونحظر تداولها إلا لفئة محدودة جداً، زعماً منّا أنّنا بذلك نحافظ على الحقيقة نفسها. هذه هي بالضبط ظاهرة القصاصين التي حاربها بعض العلماء المسلمين من قبل، وهذا ما يجعل المنبر الشفوي الخيالي أكبر تأثيراً في مجتمعاتنا العربية من رجال الفكر والمعرفة الذين لا يملكون ثقافة شفوية، وإنما ثقافة تدوينية، والثقافات التدوينية هي التي تؤسّس لبناء حضارات.

أحد الحلول الهامّة في هذا الصدد الإعداد على المستوى المنبري، ولا سيما المنبر الحسيني، لمدارس جديدة لبناء كادر يستطيع غزو المنابر

(١) حوارات ولقاءات في الفكر الديني المعاصر

بشكل أو بآخر، ويكون ملماً بالأساسيات الفكرية لرؤية حركة الإصلاح والتغيير في الأمة، علّه يمكن بذلك إيجاد نقلة في الأمة من الشفويّة إلى التدوينية، إلى جانب إفساح المجال بل والسعي لتداول قضايا الفكر الديني خارج المؤسّسة الدينية؛ لأنّ هذا من شأنه أن يعمّم الثقافة التدوينية العلميّة.

النقطة الأخرى هي أنّه من الضروري وضع الخطباء المنبريين في حجمهم الطبيعي، وذلك عبر تحريض العلماء والمفكرين والمجتهدين لنقدهم أمام المالأ وبصورة واضحة، إذ السكوت عنهم هو الذي جعلهم يتصوّرون أنّهم قادرين على قول ما يريدون ولو من غير دليل معتبر في مدارس الاجتهاد الإسلامي العريقة، لقد أخذ هؤلاء موقفاً أكبر من حجمهم الطبيعي بسبب سكوت العلماء في هذا المجلس وذاك عن تصويب حركتهم بطريقة بناءة لا تستهدف تشويههم ولا التنقيص من شأنهم، ومن الطبيعي أنّنا نتحدث هنا عن الحالة الغالبة، وإلا ففي الخطباء أنفسهم علماء ومفكّرون بارزون والحمد لله.



## الإصلاح والتجديد في الشعائر الحسينية<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: نحن في محرم ومازلنا نرزع تحت وطأة مسألة حادثة الطف مما ساهم في تصغير حجم الحدث من العالمية إلى المذهبية لتغيب غاياته ومقاصده عن واقع الإنسان بما هو إنسان، ولذلك هناك طريق حافل بالمطالبات لتجديد أو إصلاح أو إعادة بلورة رؤية حقيقية حول الشعائر الحسينية تنسجم مع راهننا وتستطيع أن تملك خطاباً عالمياً إنسانياً يتناسب والغايات التي لأجلها استشهاد الإمام الحسين. كيف تنظرون لهذه المطالبات وهل فعلياً بدأت تخطو عملياً على واقع الأرض؟

◆ الجواب: من وجهة نظري أنا أؤيد كل أشكال المطالبة بإجراء تغييرات وإصلاحات في الشعائر الحسينية والسيرة الحسينية والمنبر الحسيني، لكن بشرط أن لا تؤدي هذه الإصلاحات إلى إلغاء الجانب العاطفي في التفاعل مع القضية الحسينية؛ لأنّ الذي نفهمه من نصوص أهل البيت سلام الله تعالى عليهم هو الرغبة في بقاء هذا الجانب العاطفي، كما أنّ استمرار الشعائر التي من هذا النوع يكون من خلال البعد العاطفي أكثر من البعد الفكري، إذ أنّ فنحن الآن بحاجة إلى وضع أساسين لتفاعلنا مع القضية العاشورائية: أساس العاطفة المتمثل في البكاء والحزن ومظاهرهما، وأساس العقل المتمثل في الفهم العقلاني للحدث وتوظيفه في إطار الممكن لما فيه المصلحة العامة بهدف جعله جسراً ومعبراً للنهوض بأمّتنا والتأسيس لثقافة النهضة والثورة والراديكالية حينما يحتاج الأمر إلى ثورة ونهضة وراديكالية.

وعندما ندمج الفكر بالعاطفة نستطيع أن نحرك العاطفة في إطار

(١) حيدر حب الله، حوارات ولقاءات في الفكر الديني المعاصر ج ١، ص ١٦٤

القضايا الفكرية الصحيحة، بدل تحريك الفكر بمنهج تأويلي إرضاءً  
للعاطفة الشعبية، كما نستطيع تحريك الفكر في إطار احترام العاطفة  
وتقديرها وعدم التعالي عليها أو تسفيهاها وتخطيها، حينئذ يصبح  
اتباعنا للإمام الحسين أو تأسينا به في أن نجاهد كما جاهد، وبدل  
أن ندمي أجسادنا بأيدينا نقاتل ليدمي العدو جسدنا وبهذا يكون  
الاعتداء الحقيقي والتماهي.

## الوعي التاريخي والتأسيس

### لفهم إنساني للسيره<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: هل نحتاج إلى نقد للقراءة التاريخية؟ وهل نستطيع أن نعيد قراءة التاريخ على أساس مقاصدي بمعنى أن ندرس مقاصد الحركات التاريخية من قبل المعصومين حتى نصنع حاضراً على أساس مقاصدية الحراك لنخرجه من دائرة القراءة المذهبية إلى دائرة القراءة الإنسانية؟

◆ الجواب: المؤسف أن المناخ المدرسي للمؤسسة الدينية لم يشهد كثيراً ما بنتنا اليوم نسميه بالقراءة التاريخية للفكر والحدث معاً، فعندما ندخل الوعي التاريخي للأمور إلى جانب أشكال الوعي الأخرى نستطيع تكوين صورة واقعية، بعيداً عن الإسقاطات الأيديولوجية.

لكن مشكلة القراءة التاريخية هو الأنموذج الغربي لها، فالمستشرقون مثلاً ومعهم الكثير من التيارات المحدثه يستخدمون المنهج الوضعي في قراءة التاريخ، وهذا المنهج يقصي في العادة أي عامل ديني ما فوق تاريخي في تفسير أي حدث، وعندما تكون القراءة التاريخية قائمة على الفلسفة الوضعية فمن شأنها حينئذ أن تفتت كل المقولات الدينية.

لكن نحن بإمكاننا أن نتحدث عن قراءة تاريخية تحافظ على كل عقلانية القراءة التاريخية آخذة في الوقت نفسه العامل الديني بعين الاعتبار بوصفه عاملاً استطعنا في الدراسات الفكرية الأخرى أن نبرهن عليه وأن نثبتته كحقيقة موضوعية؛ فالجمع بين القراءة

(١) نفس المصدر، ص ١٦٦

التاريخية وبيّن الأساس اللاوضعي لهذه القراءة أو فلتقل الدمج بين  
الأسس الوضعية واللاوضعية للفهم التاريخي للأحداث من شأنه  
أن يطلّ بنا على رؤية تتخذ شكلاً مقصدياً لفهم التاريخ الإسلامي  
بما يتناسب مع البعد العقلائي في فهم هذا التاريخ، ومع المقاصد  
التي أرادها الدين من خلال الأحداث التي وقعت في هذا التاريخ  
الديني أو ذلك.

## بين الفهم السياسي والنصوص النبوية المخبره بشهادة الحسين<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: ذكرتم في مقالكم حول النهضة الحسينية، هل هي ثورة إصلاحية أم انتحار سياسي: أن الحركة الحسينية لم تكن مخطأ لها تخطيطاً مسبقاً بشكلها الحالي، بل حصل فيها تبدل في الأهداف الاستراتيجية، فعندما خرج سيد الشهداء من المدينة لم يكن قاصداً كربلاء ولا الشهادة، ولكن خيار الشهادة جاء بعد الاستقرار في كربلاء. كيف ينسجم هذا الكلام مع الروايات المعروفة في أن مسألة الشهادة معروفة منذ زمن رسول الله؟

◆ الجواب:

أولاً: لقد أشرت في المقال الذي أرجعتم إليه إلى أن هذه المحاولة التفسيرية تأتي بصرف النظر عن بعض الخلفيات العقديّة والمذهبيّة، وأنها محاولة تفسير محايدة من هذه الزاوية.

ثانياً: إذا كنتم تقصدون الروايات التي صرّح فيها الإمام الحسين بأنه يذهب شهيداً إلى كربلاء، فقد بحثت شخصياً هذه الروايات في بحثي المتواضع تحت عنوان (الحركة الحسينية والتأصيل الفقهي لشرعية الثورة)، والذي نشر في موقعي الإلكتروني، وكذلك في الجزء الثالث من كتابي (دراسات في الفقه الإسلامي المعاصر ٣: ٣٠٣-٣٦٣)، وناقشت ما يتعلّق بها، وهي نصوص قليلة العدد رغم تداولها الشعبي على نطاق واسع، أغلبها جاء في مصادر متأخرة، ويعاني بعضها من مشاكل في مصادره، وبعضها الآخر يعاني من

(١) إضاءات ٤: ٥١١

مشكلات في طريقة إثباته التاريخي، ويعاني قسم ثالث منها في دلالاته على المفهوم الذي فسره به العلماء، كما يعاني مجموعها من نصوص معارضة إلى درجة معيّنة وردت في مصادر قديمة في التاريخ والسيرة. ويمكنكم المراجعة كي لا نطيل.

**ثالثاً:** إذا كنتم تقصدون التوفيق بين التحليل الذي قلته وبين نظريّة علم الإمام بموته، فيمكنكم أيضاً مراجعة البحث المشار إليه، وأنّ تلك النظرية في علم الإمام - لو تمّت - فلا تتغير من سلامة التحليل الذي قلناه شيئاً، وهناك أيّدت قولي ببعض ما طرحه كلّ من السيد الشهيد محمد صادق الصدر والعلامة التستري صاحب الخصائص الحسينيّة، وقلت بأنّ علم الإمام بالغيب لا يعني أن حركته محكومة لهذا العلم، بل هو يسير بعلمه العادي ومعطياته الظاهريّة، ألا ترى النبيّ (صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم) - وأهل بيته الكرام - يقضي بين المؤمنين، كما يقول هو نفسه، بالأيمان والبيّنات، ولا يقضي بعلمه الغيبي، فهذا من هذا، فلا مانع من أن يكون عالماً بالمآلات علماً غيبياً، وفي الوقت عينه تكون حركته محكومة للعلوم الظاهريّة وكأنّه ليس بعالم بالغيب، ونحن ندرس حركته الظاهريّة، ولا ندرس علم الغيب الذي عنده، أي ندرس أداءه الظاهري الذي هو معيار الحجّيّة والاعتبار بالنسبة إلينا.

علماً أنّ العلماء مختلفون في قضيّة علم الإمام بموته ونهايته، فقد ذهب السيد المرتضى والشيخ المفيد - على سبيل المثال - إلى أنّه لا دليل من عقل ولا نقل على علم الحسين بغدر أهل الكوفة له (راجع: تلخيص الشافي ٤: ١٨٣ - ١٨٥؛ والمفيد، المسائل العكبريّة: ٧١)، كما ذهب الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء إلى أنّ علوم الأئمّة بالغيب

يمكن أن يعرضها البداء، لهذا كانوا يهتمون دوماً بعروض البداء على علمهم (جنة المأوى: ١٨٩ - ١٩٠).

رابعاً: إذا كنتم - كما بدا من سؤالكم - تقصدون النصوص النبوية التي أخبرت بأن الحسين ابني هذا شهيد، وسيقتل في أرض كذا وكذا، وستكون نهايته الشهادة، وأن أمتي تقتله وما شابه ذلك، ورواية أم سلمة .. فإنني أدعوكم لمراجعة تلك النصوص التي جُمع أغلبها في الجزء الرابع من كتاب (مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة)، من تأليف الشيخ عزت مولائي والشيخ محمد جعفر الطبسي، وهناك عندما ترجعون لهذه النصوص أرجو أن تقرأوها من هذه الزاوية: هل هذه النصوص - بصرف النظر عن قيمتها التاريخية والحديثية - تقول بأن نهاية الإمام الحسين هي الشهادة أم تقول بأن نهايته الشهادة بتاريخ كذا وكذا؟ فإذا كانت تحدّد الوقت بطريقة أو بأخرى، كان إشكالكم وارداً، وأنا أقبل به، بصرف النظر عما تقدّم، وأمّا إذا كانت تقول فقط بأن نهاية هذا الإمام هي الشهادة، فهذا المعطى لا يحدّد الزمان، بمعنى أنه من الممكن أن يكون الإمام عالمًا بأن نهايته الشهادة بموجب الإخبار النبوي - بصرف النظر عن علم الإمام بالغيب - لكنّه ليس عالمًا بأن الشهادة الموعود بها ستقع في هذا العام..

أرجو أن تتوقّف قليلاً عند هذه القضية المهمّة في تحليل المسألة، فإذا قلتُ لك بأنّ نهايتك في هذه الحياة هي الموت والقتل من قبل الأتراك، وكنّت أنت من أهل العراق، وسافرت هذا العام إلى تركيا، فهل يعني الإخبار السابق أنّك ستعلم بمقتلك هذا العام أم سيكون مجرد احتمال ولو فيه بعض القوّة؟! ألا يمكن أن يكون

الإمام الحسين عليه السلام عالماً بأنَّ نهايته في العراق هي الشهادة لكن قد يحصل ذلك بعد عشرين سنة من ذهابه إليها وانتصاره وتحقيق الأهداف الكبرى بإقامة شرع الله فيها؟ فهل من ترابط بين إخبار النبي بمبدأ قتل فلان من قبل الجماعة الفلانية وبين أن يصبح هذا الشخص عندما خرج إلى تلك الجماعة عالماً بموته في هذه السنة؟! هذا يحتاج إلى معطى إضافي. ألم يقل الرسول لعمار بن ياسر: يا عمار تقتلك الفئة الباغية، ومع ذلك لم يقل أحد لعمار عندما خرج للقتال في صفين بأنك ستقتل في هذه المعركة؟

بل لاحظوا النصوص والروايات التي تحكي عن مناقشات بعض الصحابة للإمام الحسين عليه السلام وبعض هذه الروايات استدلَّ به لصالح التفسير الغيبي لقضية الثورة، فإننا نجد أنَّ الصحابة لا يقولون للإمام بأنك ستقتل هناك كما أخبرنا النبي، بل يذكرون له أنك ستخذل؛ وذلك من خلال المعطيات التي حصلت مع والدك مع أهل الكوفة، فهم يبررون قولتهم بمعطيات تاريخية وميدانية، ولا يقولون له بأنَّ النبي أخبر بشهادتك في هذا الخروج، كيف ولو كان النبي أخبر بشهادته في هذا الخروج بالذات فلماذا لم يقل لهم الحسين عليه السلام ذلك؟! ولماذا لم يذكرهم بقول النبي في هذه المسألة ليسكتهم في اعتراضهم ويقنعهم بخروجه امثالاً للقدر وما أخبر به الرسول الصادق من أنه سيخرج إلى العراق وسيقتل هناك؟!

ولعلَّه لكلِّ هذا الذي قلناه ذكر الشيخ المفيد في كتابه (المسائل العكبرية: ٦٩ - ٧٠)، أنَّ الإمام لا يملك العلم المطلق هنا، بل هو يعلم ما يكون من مقتله، دون أن يعلم التفاصيل. فلو كان هناك في الروايات ما يفيد تحديد الزمان والتفاصيل وكان ذلك معتدلاً به



- لا مثل رواية واحدة متأخرة المصدر يتيمة مثلاً - فهو ينفع، وإلا فالحسين عليه السلام ولو علم أنّ نهايته الموت في العراق لكن ما دام لم يحدّد الزمن من قبل النبي الأعظم، فهذا يعني أنّه مُلزم بأداء تكليفه؛ إذ قد تكون شهادته بعد ثلاثين سنة من مشروعه التغييرى هذا، ومجرّد أنّه عالم بشهادته من حيث المبدأ لا يسقط ذلك قيمة مشروعه التغييرى هذا، تماماً كما كان علي عليه السلام عالماً بما ستؤول إليه أخبار الخارجين عليه، وأنّه سيقتل في لحظة ما، ومع ذلك قام بواجبه وأسس لتجربة ممتازة، حتى لو سقطت بعد ذلك بفعل المتخاذلين والمتأمريين، فلو نجح الحسين عليه السلام في إقامة دين الله لثلاثين سنة، كنّا اليوم نملك رصيذاً كبيراً في الفكر والممارسة والتجربة، كما امتلكنّا ذلك مع العصر النبوي والعصر العلوي حتى لو كانت المآلات مؤلمة ومفجعة.

ولهذا لاحظوا الروايات التاريخية كيف أنّ الإمام الحسين عندما علم أنّه وصل إلى كربلاء، وازدادت الشدّة، كأنّه أعلم أصحابه بأنّ هذا هو موطن شهادتنا، فطبّق العنوان على المصداق الزمكاني عندما تعاضدت القرائن.

المهم في دراسة الأحداث التاريخية أن لا نقرأها بعيون الذين أتوا بعدها فقط، بل نحاول أن نكون وكأنّنا نعيش في تلك اللحظة الزمنية، فنحن نعلم اليوم بما حصل وتفصيله، لكن فلنحاول أن نكون قبل شهادة الإمام عليه السلام، ونفكّر بعقليّة تلك اللحظة الزمنية، حيث الأفراد لا علم لهم بتفاصيل الشهادة، كلّ ما يعرفونه أنّ الإمام الحسين ستقتله الفئة المنحرفة عن الإسلام، أمّا كيف ومتى وما التفاصيل؟ فهذا نحن نعلمه، لكن من غير المعلوم أنّ أبناء تلك اللحظة يعلمونه من أخبار النبيّ (صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم)،

إذ هم يعلمون المبدأ دون التفاصيل الزمنية، فإذا قرأنا الأمور بهذه الطريقة فقد نكتشف الخيارات بطريقة أفضل.

إذن الموضوع له أكثر من جانب، ويحتاج للتفكير من عدة جهات، ولا أريد أن أبتّ الآن في المسألة، فقد تحتاج لمزيد مراجعة قبل ذلك، وإذا تمكّنتم من اكتشاف شيء إضافي فسأكون سعيداً بالاستفادة ممّا توصلتم إليه.

## هل استشهد وهب الأنصاري مع الحسين نصرانياً أم مسلماً؟<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: ما صحّة الروايات التي تقول بأنّ وهب الأنصاري لم يُسلم، وإنما استشهد مع الإمام الحسين عليه السلام وهو نصراني؟ ما صحّة هذه الروايات التاريخية؟

◆ الجواب: الموجود - وفق تتبعي السريع - في مصادر الحديث والتاريخ أنّ وهب بن وهب الأنصاري (وهناك كلام في اسمه، وفي أصل وجوده، حتى رجّح بعضهم أنّه عبد الله بن عمير الكلبي الذي كان من أصحاب علي والحسين عليهما السلام)، فليراجع التستري في قاموس الرجال حيث تعرّض لهذا الموضوع) كان نصرانياً فأسلم على يد الحسين، وفي بعض الكلمات أنّ سبب إسلامه أمرٌ إغجازي يتصل برؤيا رآها.

وفي حدود تتبعي لم أجد شيئاً واضحاً يشير إلى بقائه على النصرانية عند شهادته، بل ما جاء في أمالي الصدوق وفي مقتل الخوارزمي وغيرهما أنّه كان نصرانياً فأسلم على يد الإمام الحسين، وقد تحتاج المسألة لمزيد تتبع، والعلم عند الله.

(١) إضاءات ٤: ٥١٩

## رواية الغرائب التاريخية ثم تكلف تأويلها! (١)

◆ السؤال: من خلال قراءة السيرة العطرة للرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ، نرى بوضوح مكانتهم السامية العلية التي لا يشك فيها إلا من فقد عقله، ولكن نجد في أحيان كثيرة أن بعض العلماء يروون وينقلون ويحدثون بأشياء هي خارجة عن حكم العقل ومعارضة بأحاديث كثيرة، فتنشأ جرّاء ذلك شبهات في داخل المذهب وخارجه، وبعد ذلك يقوم العلماء بتأويل تلك الحالات والأحاديث بتأويلات غريبة عجيبة: من أجل إثباتها، وهي في الواقع لا تزيد من شأن النبي والإمام. وهنا أضرب مثلاً واحداً، وهو أن سيف الإمام علي ﷺ مسكته الأرض عندما قتل مرحباً، أو حضور الإمام علي ليلة الحادي عشر من المحرم وغيرها، والتي اعتقد بأنها لا تُسمن ولا تُغني من جوع.

◆ الجواب: بصرف النظر عن الأمثلة التي ذكرتموها، فإنّ الواقع الذي أشرتّم إليه موجود بالفعل، فبعضنا لا يُخضع نصوص التاريخ والحديث لنقدٍ علميٍّ من البداية، بل يسترسل في نقل المرويّات والتواريخ من على المنبر وشاشات التلفزة وفي الكتب والنشريات، وتكون النتيجة أنّه عندما يتمّ الإحراج بقصّة هنا أو هناك تبدأ التأويلات التي تريد أن ترفع المشكلة المزعومة، وهذا الواقع كلّ منهج غير علمي، فالتاريخ والحديث لا بدّ من الثبّت منهما قبل نقلهما بعنوان أنّهما أمور ثابتة يراد لها أن تنتج معرفةً أو وعياً دينياً عامّاً، وهذا الثبّت لا بدّ أن يخضع لمنهج علمي مدروس، وليس لمنهج أيديولوجي يجعل من الرواية التاريخية المتهاككة مقطوعاً بها؛

(١) إضاءات ٤: ٥٢٠

لأنها تناسب مزاجي ومعتقداتي، فيما رواية صحيحة قوية متماسكة نُخضعها للتأويلات المدهشة عندما لا تنسجم مع المزاج الذي نحمله، وهو مزاجُ المؤسف فيه عند بعضنا أنه ينشأ بطريقة غير منهجة من البداية، ويراد بعد ذلك اختراع منهج لتبريره، بحيث نشعر بسلامة المنهج كلما نجح في تثبيت الفكرة التي نؤمن بها مسبقاً، أرجو الانتباه جيداً.

إنَّ أخطر شيء في هذا المجال هو أن يتم اختراع المناهج العلميّة لتبرير معتقدات أو عواطف ولدت بطريقة غير منهجيّة في البداية، وهذا الأمر ينطبق عادةً على ما نحن فيه، حيث يقودنا الحماس أو العاطفة أو المزاج العام لتبني حدث تاريخي أو رواية منسوبة، فتفاعل معها عاطفياً؛ لأنها تنسجم مع مزاجنا الفكري العام، ولا نشعر بالحاجة إلى إثبات صدقيتها تاريخياً عندما يكون من نُلقي عليهم هذه الرواية أو القصة التاريخيّة منسجمين أيضاً مع سياقها من الأصل، وعندما يطالبنا الآخرون المختلفون معنا في المزاج الفكري العام بالدليل نقوم باختراع منهج متناسب معها كي تتمكن من تبرير اختيارنا لها من قَبْل.

فالمناهج هنا تغدو وليدة النتائج، والنتائج بنفسها وليدة المزاج العام والطمأنينة القلبية المتولّدة بدورها من العناصر التربويّة والعرفيّة والاجتماعيّة والمحليّة، مع أنّ المفترض أن تكون النتائج هي وليدة المناهج. وعندما تحتلّ المعايير العامّة نصاب بكلّ هذا الإرباك الذي نعيشه اليوم في غير موقع. وهذا ما يؤديّ بمرور الوقت إلى تكريس منهج لم يولد إلا لتبرير وضع معيّن، لا لكونه مبرهنًا في حدّ نفسه، ومن ثم يقوم هذا المنهج في الفترة اللاحقة بإيلاد نتائج

جديدة، وبمرور الوقت يظهر وعي ديني وتاريخي آخر غير الذي كان.

كان من المفترض من البداية تخفيف الحمولات عن كواهلنا، والحفر الجادّ في كلّ نصوص التاريخ والحديث للتأكد من قيمتها هنا أو هناك، قبل أن تتكوّن لدينا القناعات التي تأتي من نصوص التاريخ والحديث، وشيئاً فشيئاً سنصل إلى معطيات مؤكّدة من وجهة نظرنا ونذّر غيرها، وأهم شيء في هذا المشوار هو ترك الخوف، فكثيراً ما يقال: لا يمكن أن أقبل بهذا المنهج في التثبّت التاريخي والحديثي؛ لأنه منهج لو صحّ لأطاح بعشرات الأشياء التي أوّمن بها، وهذا قلبٌ للعقل؛ فالمفترض أن يُثبت المنهج الصحيح ما تؤمن به، لا أن يُثبت ما تؤمن به منهجاً صحيحاً! وهكذا يقول لك بعضهم: لو أخذنا بهذا المنهج لخسرنا عدداً كبيراً من الروايات الحديثية والتاريخية! وأقول: ومن قال لك بأنك لو أخذت بها ربحت؟ ومن أين عرفت أنّها ثابتة إذا كنت الآن ما تزال تبحث في منهج إثباتها وإبطالها؟! حقّاً إنّها ظواهر غريبة ليس عندي تفسيرٌ لها غالباً سوى أنّنا في كثير من الأحيان نُدّار بالعقل الأيديولوجي (الريموت كنترول) ونتحرّك بطريقة قد لا نشعر بها أساساً.

والغريب أيضاً أنّنا بأنفسنا نمتدح إبداع باحث في التاريخ أو الحديث قام بكشف زيف فكرة مسلمة منذ مئات السنين أو أطاح بمصدر تاريخي مهم جداً تكرّس عند الجميع منذ مئات السنين، وإنّما نمتدحه لأنّ الفكرة أو المصدر المشار إليهما ينفعان خصوصاً الدينيين أو المذهبيين أو الفئويين، فيصبح تكسير المسلم التاريخي إبداعاً عندما يصبّ في صالح الجدل المذهبي أو الديني أو الفئوي،

فيما هو جنائية أو مؤامرة أو ضعفاً علمياً عندما يكون الأمر على حساب معتقدي أو مذهبي أو جماعتي!

قبل سنوات كنت ألقى سلسلة محاضرات حول الوضع في الحديث لمجموعة من طلاب العلوم الدينية، فنقلت لهم حديثاً حول قصّة سفينة نوح من بعض كتب أهل السنّة، وبيّنت عناصر الوضع التي قيلت في هذا النقل التاريخي، وعندما كنت ألقى الحديث على مسامع الإخوة الطلاب كنت أتأمل في تعابير وجوههم، فرأيت أنّه بمجرد أن نقلت القصّة المرويّة عن طواف سفينة نوح حول الكعبة وصلاتها صلاة الطواف وبعض التفاصيل الأخرى، ظهرت معالم السخرية والاستهزاء والضحك على الوجوه، لقد شعروا جميعاً بأنّ هذه القصّة مختلّقة، ولم ألاحظ أنّ أحداً تردّد في كونها كذلك، وقد تعمّدت أن أفعل ذلك أولاً، لأقول لهم بعد ذلك بأنّ هذه القصّة وردت بطرق الشيعة أيضاً، بل في طرق الشيعة وردت زيادة غريبة وهي أنّ سفينة نوح صعّدت إلى منى، ثم رجعت فطافت طواف النساء أيضاً!

في هذه اللحظة بالذات حصل بعض الصمت، فقد فوجئ الجميع بذلك، وقال لي أحد الطلاب الذين كانوا يضحكون قبل ثوانٍ: ألاّ يحتمل تفسير الحديث بكذا وكذا بما يرفع التهمة عنه؟! لقد تبدّل الوضع تماماً، فقبل لحظات كان العقل متحرّراً ويفكّر بدون ضغط، بل لعلّه كان مندفعاً بسبب كون الحديث من مصادر أهل السنّة، فأطلق العقل العنان لنفسه بجرعة زائدة هذه المرّة، لكن وبمجرد أن أدرك أنّ الرواية - وبشكل أكثر غرابية - موجودة عند الشيعة أيضاً وفي كتاب الكافي للشيخ الكليني رحمه الله، قام العقل بإعادة تموضع

سريع، ليعيد إنتاج المعرفة بطريقة أخرى. لماذا؟ لأننا نقرأ نصوص التاريخ والحديث بطريقة أيديولوجية، لا بطريقة علمية موحدة ومنهجية تتعامل بأكاديمية وحرفية ونزاهة عالية مع النقل التاريخي أينما كان.

وبالمناسبة فالرواية عند الشيعة ضعيفة السند من أكثر من جهة، ولا أريد أن أتبنى نقدها المتني الآن أو أنفيه، كما لا أقصد رفضها هنا أو تأييدها، وإنما هو مجرد مثال يقع مثله كثيراً عند مختلف التيارات والمذاهب والفئات.

هذه هي المشكلة التي تستدعي التأويل والتكلف والتبرير، والحل هو تحرير العقل من هذه الثنائيات، وتحريره من العاطفة والأمزجة العامة والخاصة، وتحريره من التقليد والاتباع، لينهج نحو الاجتهاد والإبداع إن شاء الله.



## رواية تاريخية حول حزن الإمام الكاظم في شهر محرّم<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: جاء في الرواية التاريخية عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «إنّ المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال، فاستحلّت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذراريّنا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا. إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا، بأرض كرب وبلاء، أورشتنا الكرب والبلاء، إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإنّ البكاء يحطّ الذنوب العظام. ثم قال عليه السلام: كان أبي صلوات الله عليه إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبتة وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين صلوات الله عليه». هل هذا الحديث صحيح عندكم وعند السيد الخوئي من ناحية السند؟ وهل يعني أنّ الحزن والكآبة يستمران إلى نهاية شهر محرّم؟

◆ الجواب: هذه الرواية بهذا النصّ تفرد بنقلها الشيخ الصدوق في كتاب (الأمالي: ١٩٠ - ١٩١)، وهو مصدرها الأصلي، وهي من حيث السند ضعيفة بجعفر بن محمد بن مسرور الذي لم تثبت وثاقته، والسيد الخوئي لا يرى وثاقته، نعم بعض العلماء يرون وثاقة هذا الرجل من حيث ترصّي الصدوق عنه وترحمه عليه في بعض الموارد، ولكنّ السيد الخوئي - ومعه جماعة من علماء الرجال - لا يرى ذلك دليلاً على الوثوق، وهو الصحيح من حيث المبدأ.

كما احتمل الشيخ الوحيد البهبهاني في (التعليقة على منهج المقال:

(١) إضاءات ٤: ٥٢٤

١١٠)، وجزم السيد موسى الزنجاني في (كتاب النكاح ١٧: ٥٥٨١ - ٥٥٨٢)، بأن ابن مسرور هذا هو عينه جعفر بن محمد بن قولويه الثقة الجليل صاحب كتاب كامل الزيارات، ولكنّ المحدث النوري (خاتمة مستدرک الوسائل ٥: ٤٧٠)، والسيد الخوئي (معجم رجال الحديث ٥: ٩١) اعتبر ذلك في غاية البعد.

وحجّة الوحيد والزنجاني أنّ جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه هو أحد إخوة عليّ بن محمد بن جعفر بن موسى بن مسرور، وفقاً لكلام النجاشي في موضعين من كتابه، فيكون قولويه مطابقاً لمسرور وهو عينه، فجعفر بن محمد بن قولويه صاحب كامل الزيارات هو عينه جعفر بن محمد بن مسرور شيخ الشيخ الصدوق هنا، فيكون ثقةً.

ولكنّ هذا الكلام غير صحيح وفقاً للنوري والخوئي وغيرهما، وذلك أنّه لم يرد في أيّ كتاب من كتب الصدوق الرواية عن جعفر بن محمد بن قولويه صاحب كامل الزيارات، إلا في موضع واحد، وهو رواية رواها في كتاب (فضائل الأشهر الثلاثة: ٣٣)، فلو كان ابن مسرور هو ابن قولويه لكان المفترض أنّ للصدوق روايات كثيرة عنه لديه، وابن قولويه يُعرف بهذا الاسم، فلماذا لم يرد هذا الاسم المشهور والمعروف له في كتب الصدوق أبداً سوى في موضع واحد، بينما وجدنا اسم ابن مسرور متكرراً في مواضع عديدة من كتبه وفي طرقة؟! يضاف إلى ذلك أنّ ابن مسرور الذي روى عنه الصدوق يروي غالباً عن الحسين بن محمد بن عامر، ولا نجد رواية لابن مسرور عن سائر شيوخ ابن قولويه المعروفين، فلو كان هو نفسه لكان مقتضى العادة أن تكون رواياته عن شيوخه المعروفين،

فكيف لم يرو عنه الصدوق أيّ رواية عن شيوخه الآخرين المعروفين الواقعيين في مثل كتاب كامل الزيارات وغيره والذين أخذ الحديث منهم، في حين كانت رواياته عن الحسين بن محمد بن عامر قليلة جداً؟!!

هذا كلّه يجعل فكرة الاتحاد مجرد احتمال ولو كان راجحاً قليلاً لا أكثر، مع الإقرار بإمكان أن يروي الصدوق (٣٨١هـ) عن ابن قولويه (٣٦٨هـ)، والإقرار أيضاً بأن مسروراً هو قولويه نفسه، بحسب معطيات كتاب الرجال للشيخ النجاشي، فالأرجح ما ذهب إليه الشيخ النوري والسيد الخوئي من عدم ثبوت الاتحاد بدليل مقنع، ومن ثم فالرجل لا دليل على وثاقته.

وأغلب مضمون هذه الرواية يمكن تأييده بروايات أخرى عديدة وردت في كتب الحديث والتاريخ، لكن لو تركنا نحن وهذه الرواية فقط فهي من حيث السند غير ثابتة، وليست لها مصادر كثيرة متعدّدة ولا هي بذات طرق وأسانيد متعاضدة، وعليه فيؤخذ بالقاسم المشترك بينها وبين غيرها ممّا يحصل وثوق به، ولا يُحتجّ بغيره، بل يُذكر من باب التأييد فقط.

وأما معناها، فغاية ما تدلّ عليه هو الحزن في العشرة الأوّل من شهر محرّم الحرام، وهي ساكنة عمّا سوى ذلك، فهل كان الإمام يستمرّ بحزنه إلى نهاية محرّم أم إلى وسطه أم إلى نهاية صفر أم إلى التاسع من ربيع الأوّل أم إلى ما بعد ذلك؟ فهذا أمر لا تشير إليه هذه الرواية، بل أقصى ما تفيد هو هيمنة الحزن عليه طيلة العشرة أيام الأولى من المحرّم، وبلوغ حزنه الذروة يوم العاشر، أمّا غير ذلك فهي لا تثبت الحزن ولا تنفيه، فيحتاج الإثبات والنفي إلى دليل من

خارج هذه الرواية، وإن كان مقتضى العادة أنّ الحزن لو أريد له أن ينتهي نهاية العاشر فقد نتوَّع استمراره ليومٍ أو يومين أو أكثر بقليل بشكل تنازلي، والله العالم.

## كيفية إثبات انتساب مرقد ما لنبوي أو إمام أو ولي<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: كيف نثبت مصداقية كثير من المراقد المنسوبة لأهل

البيت ﷺ؟

◆ الجواب: عملية الإثبات يفترض أن تنطلق من معطيات علمية وموضوعية، تفيد اليقين العادي، وليس بالضرورة اليقين الفلسفي أو الرياضي، تماماً كما هي الطرق العلمية في إثبات الآثار والمعالم التاريخية، مثل:

أ. وجود لوحة (شاهد، أو نحو ذلك) قديمة جداً على القبر ترجع لزمان الشخص المتوفى، أو قريب منه، تؤكد هويته صاحب القبر، دون أن يكون هناك معطيات تسمح بافتراض حصول تزوير أو تلاعب.

ومن هذا النوع مراجعة تاريخ الأبنية والعمارات وأحجارها وما كتب على جدرانها وتاريخ هذه الكتابة، وغير ذلك. ومن هذا النوع أيضاً تقديم علوم الطب والتشريح والبيولوجيا والفحوص الجينية وغيرها معلومات مؤكدة تتصل بصاحب القبر أو نحو ذلك.

ب. وجود دوافع عظيمة للاهتمام بالقبر وصاحبه منذ لحظة وفاته، مع عدم توفر ما يسمح بافتراض حصول تزوير أو اختلاق، وعدم وجود أي شاهد أو مبرر معارض في هذا السياق، مثل قبر النبي ﷺ، حيث تتوفر الدواعي الدينية والاجتماعية الكبيرة

(١) إضاءات ٥: ٥٢٣

للاهتمام بالقبر وزيارته منذ عصره ﷺ.

ج. وجود اشتها تاريخي واسع يرجع إلى زمن قريب جداً من عصر صاحب القبر، مع عدم وجود معطيات تشكك في منشأ هذا الاشتها، فإن تاريخ الشعوب والعادات والمناطق يُعرف أيضاً بالاشتها العظيم الممتدّ زمنياً، دون وجود ما يعاكسه أو يسمح بفرضية بحثة أخرى فيه، ولا تكفي الشهرة بين المتأخرين جداً عن عصر صاحب القبر ما لم يتم تأمين الدعم لها من خلال معطيات أخرى.

د. جمع الوثائق والمعطيات والمعلومات المبعثرة في التراث، والشهادات، ونصوص المؤرخين والعلماء والجغرافيين والرحالة المسلمين وغيرهم، والتي باجتماعها تزداد فرص التأكد من هوية صاحب القبر، ومن ذلك وجود روايات عن النبي وأهل بيته في التحديد الدقيق للقبر ومكانه وهوية صاحبه وتكون هذه الروايات معتبرة وذات قيمة علمية، لاسيما لو كانت تخص من هو من الأسرة النبوية، فإن أقارب الشخص القريبين زمنياً منه تفيد شهاداتهم - ولو كانوا غير معصومين، فضلاً عما إذا كانوا من أهل العصمة - في مثل هذه الموضوعات شرط ثبوت هذه الشهادات تاريخياً.

ه. ثبوت تلقي الأجيال فعلاً منذ قديم الأيام جيلاً بعد جيل هوية صاحب القبر، دون أن نعثر على مبررات موضوعية لنشوء هذا التلقي الشعبي الممتدّ زمنياً بشكل طويل غير صحة النسبة، وأما التداول الشعبي المتأخر عن زمن صاحب القبر فهو لوحده غير كافٍ. فمن يريد أن يتعامل مع هذه الموضوعات بطريقة علمية

عليه أن لا يبنى - فقط - على التراكم الشعبي العاطفي في هذا المجال.

فمثل هذه المعطيات إذا اجتمعت كلها أو بعضها يمكن أن تفيد العلم بالنسبة.

وأما سكوت العلماء عن مرقد معين أو موضع منسوب لنبي أو وليّ أو .. مرّ به أو عليه، فإنّه ليس بحجّة دائمة؛ لأنّ العلماء غالباً ما لا يتوقّفون عند هذه الاشياء بحيث لو سكتوا لكشف سكوتهم عن ثبوت النسبة واقعاً عندهم، وكثيراً ما يسكتون لأنّهم يرون أنّه لا داعي هنا للتشكيك، أو قد يكون التشكيك مضرّاً من وجهة نظرهم، أو لا حاجة لصرف الناس عن التعبّد في تلك المواضع واستذكار الله وأوليائه فيها، ولهذا لو سألتهم عنها علمياً فقد لا يكون أغلب ما ينسب اليوم ثابتاً عند كثيرين منهم، بل النادر جداً من العلماء الذين يبحثون في هذه القضايا أساساً.

وأما الكرامات عند المراقد والأماكن التي من هذا النوع، فليست دليلاً كافياً عادةً؛ لأنّ الكرامة قد تحصل مع الاشتباه في تحديد موضع القبر؛ فإنّ شفاء مريض عند القبر ليس مربوطاً بوجود جثة صاحب القبر فيه، بل القضية تتصل بالروح والإيمان أكثر مما تتصل بالعنصر المادي، أو لا أقلّ من احتمال ذلك، فمن البعيد أن يتوقّف ترتيب الكرامة على كون القبر هو بالفعل قبر هذا النبي أو الوليّ، فالهم في الكرامة هو النيّة والجانب الروحي، وليس العنصر المادي بالضرورة.

وكذلك الحال في المنامات، فإذا رأى شخص مناماً يثبت فيه أنّ صاحب القبر الفلاني هو النبي الفلاني فهذا لا يصحّ الاحتجاج به،

ولا دليل على حجّيته لا علمياً ولا دينياً وتعبدياً، ما لم يرفق بشواهد قاطعة، ومن ذلك نجد - كما قلنا في مناسبة أخرى - أنّ العلماء لا يحتجّون برؤية الأنبياء والأئمّة في المنامات إذا أصدروا لهم فتاوى وأحكاماً شرعيّة، ويعتبرون المنامات لا ترقى إلى مستوى أن تكون وسيلة علميّة أو شرعيّة إثباتية، ولهذا لا يعتمدونها أيضاً في العلوم العقائديّة ولا في القضاء وفضّ النزاعات والشهادات وغير ذلك.

وكذلك الحال في الكشف والشهود الذي يذكره بعض العرفاء والمتصوّفة، فإنّه لو كان صادقاً في نفسه، ولم يكن وهماً من صاحبه هنا وهناك، فإنّه يكون حجّةً لصاحب الكشف فقط، وليس بحجّةٍ لغيره، كما هو واضح.

كما أنّ مجرد وجود ضريح وقفص وقبة في هذا المكان لا يعني بالضرورة صحّة النسبة من باب حسن الظنّ بالمسلمين وتصحيح عملهم؛ فهذا لا علاقة له بموضوعنا؛ لأنّنا نبحث في إثبات تاريخي واقعي، وليس في إساءة الظنّ بهذا المسلم أو ذاك، فقد يكون التبس عليه الأمر، وقد يكون معتقداً حجّية المنامات في هذا الموضوع، فيبني المقام على أساسه، ثم يسير عامّة الناس عليه برجاء المطلوبة أو بطريقة عفويّة كما هم في الغالب، فما لم نحصل على معلومات مؤكّدة في هذا السياق لا يمكن من الناحية العلميّة إثبات النسبة.

وهذه الموارد التي قلنا بأنّها ليست معتبرة في هذا الإثبات، ليست افتراضات، بل هناك نصوص ووقائع وشواهد تاريخيّة تؤكّد أنّها بالفعل قد اعتمدت هنا وهناك لإثبات هذا المقام أو ذاك.

ودائماً أجدني أقيّد الطرق الخمسة المتقدّمة بعدم وجود معطيات معاكسة لها، فإنّ هذا الأمر ضروريٌّ للغاية، ومن نوع المعطيات



المعاكسة اشتهاار انتساب قبر لنبي أو وليّ في بلدة أو قرية أو مدينة مع وجدان نفس القبر منسوباً إلى نفس النبي في مدن أو مناطق أخرى، بحيث يجزم أهل البلدان المختلفة بانتساب القبر إلى ذلك الولي الذي عندهم، فنجد قبر النبي يونس عليه السلام مثلاً في عدّة بلدان، ما لم يفسر ذلك بأنّه إشارات لتواجده هناك أو مروره فقط، وهكذا.

كما يجب على الباحث أن يأخذ بعين الاعتبار احتمال قدّم القبر جدّاً، لكنّ نسبته إلى شخص بعينه تحتاج إلى دليل، فقد يكون القبر راجعاً إلى ألفي عام أو أكثر لكنّ هذا لا يعني أنّه قبر هذا النبي أو ذاك. ومن ذلك أيضاً أن تقدّم الوثائق التاريخية شاهداً على وفاة شخص في بلد، فيما نجد أنّ قبره في بلد آخر، فما لم يقدم تفسير لهذا الأمر مرفق بمعطيات معينة فإنّ الشواهد التاريخية سوف تعارض المعطيات المثبتة لهويّة صاحب هذا القبر.

ومن هنا، يرى الكثير من الناقدين والمحقّقين في هذا المجال مثل السيد محسن الأمين العاملي وغيره، أنّ آلاف - وربما عشرات الآلاف - من القبور أو الأماكن المنسوبة بوجه من الوجوه لأنبياء أو أئمّة أو صحابة أو أولياء أو شخصيات معينة.. لا يوجد أيّ دليل علمي يفيد الظنّ الغالب على صحّة الانتساب فيها، وأنّ ما هو ثابت لا يتعدّى - ممّا هو مدّعى على امتداد العالم عموماً والعالم الإسلامي خصوصاً - نسبة الواحد في المائة، وإنّما هي تقاليد وموروثات شعبية لا تقوم على معطيات علمية.

ويجب أيضاً أن لا يغيب عن ناظرنا أنّ موضوع نسبة قبور أو أماكن إلى رموز دينية أو تاريخية قد تقف خلفها أيضاً مصالح مالية أو تجارية أو سياحية أو حتى اجتماعية وقبلية ومناطقيّة، بل وسياسية

أيضاً، فكثيراً ما وُجد قبر لشخص صالح فنسب لنبيّ من الأنبياء ليكون في ذلك شأنٌ لأهل تلك القرية أو المحلّة، وهذا أمر ينبغي أن لا نغفل عنه في سياق الدراسة العلميّة لهذه الأمور.

وأشير أخيراً إلى أنّه قد بلغني أنّ موسوعةً تعدّ للمراقد والمقامات والأماكن الدينيّة في العراق، وقد تناقشتُ مع بعض الإخوة المعنّين بها في ضرورة أن يكون ذلك مرفقاً بتقويم كلّ موضع منسوب لشخص أو نبي أو إمام أو وليّ أو عالم أو حدث من الأحداث، إلا أنّ بعض المشرفين على هذا العمل الكريم اعتبر - كما نُقل لي - أنّ ذلك غير ممكن الآن، وأنّ المرحلة هي مرحلة الكشف عن ذلك، وإعداد تقرير علميّ موسّع فيما هو موجود بالفعل.. وقد سمعنا عن مشروع شبيه بذلك في لبنان أيضاً والله العالم.. نأمل للجميع التوفيق في العراق وخارج العراق، مع أمل آخر في أن يقوم المختصّون بمثل هذه الدراسات بالإعداد لدراسات أو موسوعة لاحقة موسّعة ودقيقة تكشف حقيقة عشرات الآلاف من مثل هذه الأماكن الدينيّة في بلاد المسلمين قاطبة، ليكون في ذلك المزيد من الوعي والمعرفة إن شاء الله، إن لم يكن لنا فللأجيال القادمة. وهناك بعض الأعمال في هذا الصدد نشرت أيضاً.

## كيف نواجه الفتنة بين التيارات والعلماء في القضايا المذهبية والشعائرية؟<sup>(١)</sup>

◆ السؤال:

١- لقد كثر الكلام في الأوساط الشيعية حول الكثير من المواضيع ومنها التطبير والمرجعية والتيارات الفكرية إلى آخره.. وإنني رأيت فيديو لم أعرف كيف أتصرف به وكيف أتعامل معه.. حيث الإمام الخامنئي دام ظله الشريف يقول: إنه لا فائدة من البكاء بصوت عالٍ، بينما يردّ عليه المرجع الشيخ الوحيد الخراساني دام ظله بردّ عنيف.. فكيف يجب على الشباب أن يتعاملوا مع مثل هذه المواقف التي لربما تكون مصدراً للفتنة بين الموالين أعلى الله كلمتهم.

٢- ما هو الحلل الجذري لقضية تعدّي الرادود (... ) على مراجعنا الكرام؟

◆ الجواب:

رغم أنّ فيما سأقوله الكثير من التكرار ممّا قلته وبيّنته قبل ذلك مراراً وتكراراً، لكن لا بأس بالإشارة لبعض الأمور سريعاً:

١. من الناحية العملية، بإمكان كلّ مكلف أن يعمل وفق اجتهاده أو تقليده، ومن ثم فلا مشكلة ميدانية فردية شخصية تواجه المكلفين، وعلى فرض أنّ مرجعه لا رأي صريح له في هذا الموضوع أو ذاك، فيمكنه الرجوع إلى الأعلّم بعده وفقاً لنظرية تقليد الأعلّم. وأمّا إذا أراد سلوك سبيل الاحتياط ورغب في ذلك فإنّ مقتضى الاحتياط بين أقوال العلماء هو ترك هذه الأفعال؛ لأنّ الأغلبية الساحقة من العلماء - إن لم يكن جميعهم

(١) إضاءات ٣: ٥٥٤

- بين قائل بجوازه، واستحبابه على أبعد تقدير، وقائل بحرمة  
بالعنوان الأوّلي أو الثانوي، ومقتضى الاحتياط هو الترك في  
هذه الحال؛ لكنّ هذا الاحتياط غير واجب. ولو وجد من  
يقول بوجوب التطبير من الفقهاء وجوباً عينياً فلا يصبح لهذا  
الاحتياط بين الفتاوى معنى؛ لدوران الأمر حينئذٍ بين الوجوب  
والحرمة، وفي مثله لا معنى للاحتياط، إذ لو ترك سيكون خلاف  
الاحتياط بالنسبة للقول بالوجوب، ولو فعل سيكون خلاف  
الاحتياط بالنسبة للقول بالحرمة، وفي مثل هذه الحال يكون  
المورد هو التخيير، وحيث إنّ المكلف مقلّد وليس مجتهداً عادةً  
فيكون الحجّة عليه هو المرجع الذي يقلّده.

٢. يجب التريث في نسبة الأقوال أو الكلمات أو المفاهيم لأصحابها،  
ويجب التريث في تفسير نصوص الناس المكتوبة أو المقروءة  
أو المنشورة أو المقولة أو المداعة صوتياً وتصويرياً، بل يجب  
التأكد من صحّة هذه النسبة، فليس كلّ ما يتداول على شبكة  
الإنترنت أو وسائل التواصل الاجتماعي على أنواعها بالذي  
يصحّ، بل لا بدّ - لاسيما في المواقف التي تصدر عن الشخصيات  
الكبيرة، أو في الظروف الحسّاسة - من الرجوع إليها شخصياً أو  
إلى نصوصها المباشرة في كتبها أو استفتاءاتها الثابتة النسبة لها أو  
إلى مكتبها الرسمي المعبر عنها في هذا المجال أو ذاك، لا إلى كلّ  
وكيل أو متولّ لشأن مالي، فقد لا تكون لديه المعلومات الكافية.  
وبعبارة موجزة: اتّباع الشرع والأخلاق في تصحيح النسبة من  
جهة، وفي تفسير النصّ الثابت النسبة من جهة أخرى، وأن نقلع  
عن الدخول في نوايا الناس وقصودها، وكأنّنا نلعب دور ربّ  
الأرباب وعالم الخفايا والأسرار.

٣. لكل واحد من العلماء وجهة نظره، ومفتاح الحلّ هو الاعتراف بالآخر، والإيمان بالتعددية التي يراها الكثيرون ضلالاً، ففي ظلّ عيش التعددية عيشاً حقيقياً نحظى باحترام أكبر لبعضنا بعضاً، ونتفهم بعضنا بعضاً، ويعذر بعضنا بعضاً، وفي الوقت عينه نتقد بعضنا بعضاً، ونصوّب لبعضنا بعضاً، ويكون كلّ واحد منّا مرآة أخيه المؤمن. أمّا إذا استمرّينا في التخوين والتضليل والتفسيق والتكفير والتجهيل والتسخيف والإخراج من الدين أو المذهب، والاتهام بالتخلّف والرجعيّة، وسوء الظنّ ونحو ذلك، فلن نصل إلى نتيجة مرجوة في حدود ما أراه بنظري القاصر .

وطبعاً من الصعب أن نلتزم جميعاً بهذا، لكن من الضروري أن يكون غالب خطابنا هو خطاب هادئ وبارد، فلو صدرت منّا هنا وهناك بعض التعابير فهي عابرة، وهذا غير أن يقوم خطابنا مع الآخر على ثقافة التهمة وسوء الظنّ وعنف اللغة وفعل الإقصاء والنبد والحجر. وإنّما أقول ذلك كي لا نكون مثاليين أيضاً، ففي أكثر المناخات هدوءاً هناك لغة عنيفة في بعض الأحيان، لكنّ هذا غير أن يكون المناخ كلّهُ أو أغلبه أو طابعه العام عنيفاً وإقصائياً تجاه الآخر المختلف معه.

٤. كما نطالب آحاد المسلمين بالهدوء ولو النسبي، كذلك من حقّنا أن نرجو من الشخصيات الكبيرة - الدينية وغير الدينية - ممارسة فعل الهدوء أيضاً في خطابها وعدم مهاجمة خصومها بطريقة عنيفة وتسقيطية وتسخيفيّة، وفسح المجال للحريّات بشكل أكبر في التعبير لكلّ شخص عن وجهة نظره. فإنّ اختلاف

العلماء وطلاب العلوم الدينية ترك ويترك تأثيراً كبيراً - في حدته وهدوئه - على اختلاف الجمهور من الناس وعلاقاتهم ببعضهم، فلنعمل جميعاً على تخفيف حدّة التوتر وتفويت الفرصة على المتربّصين، ومواجهة الفتنة المطلّة بقرونها، لكن دون صمت أو خوف أو هروب من تحمّل المسؤولية، فلكلّ واحدٍ أن يقول رأيه، لكن ليس من المناسب أن نهجو ونتهجم ونهين ونسفّه.

٥. كائناً من كان الذي بدأ مسلسل العنف في أوساطنا - ولكلّ شخص منا وجهة نظره في ذلك - لكن على الجميع أن يعلم أنّ من يستخدم العنف في حقّ الآخرين والقمع والإقصاء والقسوة والسباب والشتيمة، فعليه أن ينتظر اليوم الذي ستأتي فيه ردّة الفعل، فالآخرون لن يسكتوا عن العنف الموجه إليهم، وقد قلنا مراراً: إنّ السكوت عن العنف الذي مورس على بعض العلماء خلال العقود الأخيرة - وهم من تيارات مختلفة - جرّ إلى ممارسة العنف المضادّ، وطالت شرارات العنف الأطراف كافّة، ولا حلّ إلا بميثاق شرف (مرفق بفتاوى وتوجيهات حاسمة) يبادر إليه المراجع الكبار والعلماء النافذون والوجهاء الفاعلون في الأمة لوقف تدهور الأوضاع وتنامي العنف والعنف المضادّ، والذهاب خلف وضع آليات أفضل للاختلاف، تضمن الحقّ في التعبير، والحريّة في البيان والرأي، وفي الوقت عينه تمنع الإهانات الشخصية والتجريح بحقّ الرموز أو غيرهم، وقد ميّزنا مراراً بين التجريح والنقد.

وكما ندعو لتخفيف عنف النقد كذلك ندعو الآخرين لتخفيف الحساسية تجاه النقد، فلا حلّ إلا بهذه المزدوجات

اللازمة. ولهذا فإنني لا أحبذ أن ننظر للأمور بشكل تجزيئي فنأخذ حدثاً ثم نشور ونفعل لأجله، بل الأفضل أن ننظر للأمور بشكل شمولي، ونتعاطى مع مجموعة الأحداث الممتدة في الزمان والمكان المعاصرين، لنستطيع رؤية الأمور بشكل أفضل، ووضع حلول أو مقترحات أنجع بخصوصها. ومشكلة الكثيرين منا أنهم ينظرون إلى النتائج وينسون الأسباب، أو يقبلون الأسباب والنتائج، أو ينظرون إلى ردة الفعل ويتركون الفعل، أو يلغون المعلول ويمتدحون العلة، وكلها مطالعات غير مكتملة للمشهد.

٦. من الضروري اتخاذ مواقف قويّة وواضحة بحق كل من يثير العنف ويدعو للكراهية المفرطة في الداخل الإسلامي أو المذهبي، وهذه المواقف عندما تكون تحت رعاية أو تحت غطاء أو ضمن سكوتٍ فطينٍ من المرجعيّات الكبيرة (الدينية وغير الدينية)، فبالإمكان أن تترك أثراً إيجابياً، في الحد من الأزمة التي نواجهها. كما أنّ وسائل الإعلام المرئيّ والمسموع لها وضعها الخاص في تثوير الناس ونشر الكراهية أو المحبة، ويجب الانتباه لها جيداً، وهي تختلف عن أيّ وسيلة أخرى بالتأكيد.

٧. إنّ بعض الخلافات الدينية والفكرية القائمة بيننا اليوم باتت توجد شكلاً آخر من الصراع السياسي القائم في أوساطنا، فهناك تيارات مختلفة سياسياً، ويمكن أن يكون الصراع الديني في هذا الملفّ أو ذلك تعبيراً عن تصفية حسابات سياسية هنا أو ممارسة إقصاء سياسي هناك، ويجب أن لا نطلّ سدجاً نظنّ أنّ كل زوايا الأمور دينية أو فكرية، فهناك وجهٌ سياسي للخلافات

الكثيرة القائمة بيننا اليوم، وهذا يعني أنّ أحد المفاتيح الأساسيّة للحلّ هو عبر السياسيين، سواء كانوا علماء دين في الوقت عينه أم لم يكونوا، والملفّ السياسي ملفّ معقّد وشائك، ويحتاج لأهل الاختصاص ولبيادرات توصل إلى حلول ولو مؤقتة أو موضعيّة. وأعتقد بأنّ الظروف اليوم باتت تسمح بمصالحات سياسية في الداخل المذهبي بين بعض الاتجاهات على الأقلّ.

٨. من الواضح أنّ الحلول المشار إليها في كلامي أعلاه مثاليّة، ونحتاج فترة طويلة للوصول إلى نتائج بشأنها، لكنني أقترح شيئاً عملياً وهو أن يقوم بعض الوجهاء والمشايخ والشخصيات في المناطق الشيعية المختلفة، لاسيما في بلدان العراق والخليج، بتشكيل وفد كبير يحمل عريضة يوقّع عليها أكبر قدر ممكن من العلماء والباحثين والمفكرين والمثقفين والإعلاميين والمشايخ والناشطين ورجال الأعمال والسياسيين الشيعة من أطراف فكرية وسياسية مختلفة، لنقلها - وبشكل واضح وصریح وجريء وبلا مجاملات أو مداراة - إلى المرجعيّات الدينيّة والسياسية الشيعيّة العليا ومن يدنوها في الطائفة؛ لمطالبتها باتخاذ مواقف وإجراءات وفتاوى وتوجيهات لمعالجة الوضع القائم، ووضع مقترحات لتجفيف منابع التوتر وتحليل أسبابها ونتائجها، ومحاصرة كلّ مظاهر نشر الكراهية بين المؤمنين، مع الحفاظ على حقّ الجميع في إبداء رأيهم.

ويُعمل مع ذلك أيضاً نشاط إعلامي فاعل للترويج لثقافة التسامح والتهدئة، إلى جانب ندوات ومؤتمرات وملتقيات بحثية تعالج الأزمة التي نحن فيها من وجوها غير الدينيّة كالوجه



الاجتماعي والنفسي والتربوي والسياسي والاقتصادي والتاريخي وغير ذلك، معالجة صريحة ومباشرة، لتكون رؤيتنا للموضوع أكثر نضجاً، ومن ثم لتكون مقترحاتنا أفضل وأفضل. هذه خطوة بسيطة لست متأكدًا من جدواها إن لم أكن متأكدًا من عدم جدواها، لكن الاحتمال الضعيف يفرض علينا العمل وتبرئة ذمنا وضماننا من المسؤوليات الملقاة على عاتقنا أمام الله والإنسان والتاريخ.

## الاختلاف في نقل قراء العزاء للمرويّات الضعيفة أو للسان الحال<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: هناك من يرى أنّ على خطباء المنبر الشريف عدم المبالغة عند استعمالهم لمبدأ لسان الحال، والذي ينسب للإمام الحسين وأهل بيته في مصيبة عاشوراء من أجل إبقاء الجمهور، بعدم التقرّول أو نقل ما قد يكون خاطئاً عنهم ﷺ. ويرى بعض أيضاً أنّ خطباء المنبر يجب أن يكونوا حريصين وأن لا ينقلوا كلّ الروايات المتعلقة بالمصيبة، وخاصّة تلك التي تصوّر الإمام ﷺ بحالة جزع وحزن كبيرين (وكمثال على ذلك خبر تلقي الإمام الحسين لمقتل علي الأكبر) لعدم موافقته قول الإمام ﷺ: «هيهات منا الذلّة». وفي المقابل هناك من يرى أنّ حالة الحزن المبالغ بها طبيعيّة للمعصوم ويجب عدم ربطها بحالة المنطق والعقل؛ لأننا في كثير من الأمور لا نعلم عللها، وكمثال على ذلك بكاء النبي يعقوب ﷺ سنين طويلة، مع منافاته لمبدأ الرضا بقضاء الله سبحانه! أرجو من سماحتكم بيان وجهة نظركم في هذا الموضوع.

◆ الجواب: قد يحقّ لنا جميعاً المناقشة في الأمثلة والاختلاف فيها، وهل هذا المصداق للسان الحال ينافي مقام الإمام ﷺ أو نصوصه أم لا ينافيهما؟ وتختلف وجهات النظر في الأمثلة، تبعاً للزوايا التي يطلّ من خلالها الناظر على الموضوع، لكنّ هذا كلّّه لا يعني أنّ لسان الحال هو أسلوب أدبي وبياني لا يخضع لضوابط.

ولست هنا أريد الدخول في التفاصيل بقدر ما أريد أن أشير وباختصار بالغ إلى أنّنا بتنا نؤسّس لمجموعة مبادئ في التعامل مع التاريخ الحسيني وكلّها مبادئ لا برهان صحيح عليها، إذا سلّمنا

(١) إضاءات ٣: ٥٥٩

أنّ أحداً عمل على تقديم برهان فيها أساساً، بعيداً عن الكلام العاطفي، وذلك مثل:

١. مبدأ أنّ كل شيء يتعلّق بالتاريخ الحسيني فلا ينبغي إخضاعه للمنطق والبحث العلمي، حتى رأينا بعضنا يتأذّى جداً من معالجة علميّة هنا أو هناك لرواية تاريخية في هذا المجال أو ذاك! هذا ما أسميته مرّةً باللامعقول الحسيني، هناك من يريد أن يعتبر حدث كربلاء ما فوق طبيعي، وأنّه حدث لا يخضع للقوانين التي وضعها الله في الطبيعة والوجود، وأنّه حدث فوق كلّ هذا العالم وخارج كلّ التاريخ والإنسان والحياة، ولهذا فهو حدثٌ متعالٍ عن الفهم العقلي والمنطقي، ولا يصحّ استخدام مناهج البحث التاريخي والعقلي والكلامي والفلسفي وغير ذلك في التعامل مع التاريخ الحسيني، فمن الممكن أن يكون الإمام الحسين قد قتل مليون شخص في صبيحة عاشوراء مثلاً، دون أن أفهم أنا كيف حدث ذلك، وحتى لو عجزت كلّ وسائلنا المعرفيّة عن فهم هذا الحدث أو نفته نفيّاً قاطعاً، فينبغي أن نأخذ به وأن لا نكذّبه وأن لا نواجهه حتى لو كان النقل التاريخي له نقلاً ضعيفاً هزياً من الناحية العلمية والتاريخية والحديثية.

بالفعل هناك من يريد أن يحرّر التاريخ الحسيني من التناول العقلاني، وهذه نزعة وجدنا بشائرها في العصر الصفوي، وها هي اليوم تتنامى بقوة في أوساطنا.

ما هو الدليل على تحرّر التاريخ الحسيني من معايير الفهم الإنساني والعقلاني والتاريخي؟ دعونا نتحاكم لمنطق يؤكّد هذا المبدأ المزعوم نفسه، بعيداً عن لغة التخوين والتهويم والتعالي

والأدبيات واستجلاب لغة العرفاء لزوجها في هذه القضية بما يحول دون إمكانية فهمها العقلاني.

طبعاً عندما ندّعي إمكان الفهم وأنها حدث لا بدّ من تعقيله، فهذا لا يعني أنّ الإنسان يستطيع فهم كلّ جوانب هذه النهضة، لكنّ هذا لا يلغي التعقيل وخضوع مرويات هذه النهضة التاريخية للبحث العلمي المعتمد، فهذا مثل قول علماء القرآنيات وأصول الفقه من أنّ القرآن يمكن فهمه، إذ قولهم هذا لا يعني أنّ القرآن ميسورٌ فهم كلّ زواياه لكلّ إنسان، أمّا عندما أعالج التاريخ بمنهج ثم أكسر هذا المنهج عندما أصل إلى قضية الثورة الحسينية فهذا يحتاج إلى دليل، ما دامت هذه النهضة هي حدثٌ في الزمان والمكان، فالسيرة النبوية نحن نخضعها للبحث العلمي، وناقش فيما كتبه المؤرّخون حولها، ونفّذ روايةً مزعومة هنا أو مدّعاة هناك، وفقاً لأسس البحث العلمي والتاريخي، فهل الحسين أعظم من النبيّ؟!!

نعم، من حقّ الطرف الآخر أن يناقشني في منهج فهمي واجتهادي التاريخي عموماً، حسناً هذا شيء ممتاز، لكنّ أمّا أن نجدّه يدرس التاريخ وفق منهج، ثم يرمي بهذا المنهج عرض الجدار عندما يصل للتاريخ الحسيني، فهذه مفارقة من حقنا أن نطالبه بدليل علمي عليها، وليس بكلام عاطفي أو برواية أو روايتين ضعيفتين متهاككتين تالفتي المصدر والإسناد.

٢. مبدأ تعالي الخطباء وقراء العزاء عن النقد، فهناك من يريد اليوم أيضاً تجنب الخطباء الكرام وقراء العزاء النقد، وأنّ النقد لهم هو تضعيفٌ للمنبر الحسيني، هذه وجهة نظر، لكنني أعتقد

أن نقد قراء العزاء ونقد الخطباء عندما يكون ناشئاً من تصفية حسابات ومن تسقيط ومن تجنُّ واتهام ومن سخرية واستهزاء فهو غير مقبول أبداً، وهو بالفعل سعيٌّ نحو تضعيف المنبر الحسيني، وهو مفروض جملةً وتفصيلاً، لكن عندما يكون هذا النقد ناشئاً من الحرص والمحبة والإخلاص والإيمان، ويعتمد الهدوء والمعرفة، فلماذا يكون موجياً لتضعيف المنبر؟ لماذا لا نقول بأن بعض قراء العزاء يساهمون هم بأنفسهم - من حيث لا يشعرون وعن حُسن نيّة - في تضعيف المنبر بخطابهم القائم اليوم؟ قد يقول شخص ذلك. وإذا قمت بنقد هذا الخطاب أو بعض قراء العزاء فسوف أساهم في تقوية المنبر ودفعه نحو الأمام.

لا أعتقد أنه من الصالح وضع جماعة - مهما كانت مخرجة - فوق النقد، سيكون ذلك بمثابة إعطاء ضمانات لأي خطأ يُرتكب ولأي انحراف يقع، دون أن أسمح بتصحيحه.

ما هو المبرر لكبح حريات الآخرين الذين يرون في بعض الأخطاء هنا وهناك تضعيفاً للمذهب؟ هل يعني ذلك أن كل من يقوم بمهمّة نبيلة فيجب تحييده عن النقد؟ وهل يعني ذلك أن من يقوم بمهمّة نبيلة فمن حقّه استخدام أي وسيلة دون محاسبة أو رقابة؟ وهل حقاً أن هذه المهمّة النبيلة أو تلك حسنة لا تضرّ معها سيئة؟

ما يبدو لي هو العكس تماماً، حيث يجب أن يظلّ قراء العزاء الكرام - كغيرهم من فئات المجتمع الأخرى - تحت المجهر النقدي، بوصفهم شأنًا عامًا لا شأنًا خاصًا، ليكونوا أكثر جديةً

وأكثر دقةً وأكثر فاعليّةً وأكثر رقابةً على أنفسهم وما يقولون، وهذا من الحرص عليهم ومن الحبّ لهم ومن الإرادة الصادقة تجاههم .

إنّ ما نشهده اليوم من حركة تطرّف ومبالغة لا حدود لها وسعي نحو التحرّر من كلّ القيود، ليس شيئاً صحيحاً، بل هو نذير شؤم للمستقبل. كيف يمكن أن نسكت عن شخص يقول بأنّ القرآن الكريم كتاب ضلال لولا العترة؟! هل يقبل هو نفسه أن نقول له: إنّ كلّ أحاديث العترة وما أتانا من أهل البيت هو ضلال لو أخذ لوحده دون القرآن، وحديث الثقلين يساوي النسبة بين القرآن والعترة من حيث التلازم؟! هل مطلوبٌ منّي حقاً أن أسكت عن هذا كما يسكت كثيرون؟! هل مطلوبٌ أيضاً أن نسكت عن آخر قال بأنّ الله فوّض الحسين عليه السلام إدارة الكون بحيث لا يرجع له الحسين في كلّ صغيرة وكبيرة؟! أيهما أغلى عليّ: الخطباء أم القرآن الكريم الذي وصف نفسه بأنّه يهدي للتي هي أقوم؟ أيهما أغلى عليّ: الخطباء أم التوحيد؟ وما أدراك ما التوحيد!

لسنا نريد قمع هؤلاء، بل كلّ ما نطالب به هو نقدهم بكلّ أسلوب علمي وأخلاقي - كما نطالب الآخرين بنقدنا بكلّ أسلوب علمي وأخلاقي أيضاً - لا الصمت تجاههم، حتى اعتبروا بعض كبار مراجع الطائفة ممّن نطق بالكفر في آخر حياته، فهل محمّد باقر الصدر نطق بالكفر ومات على كلمة الكفر؟! ﴿تكاد السماوات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً﴾ (مريم: ٩٠).

إنني أعرف أن هناك اعتبارات للشخصيات الكبرى في  
 الدخول في مثل هذا الموضوع أو ذاك، لكن من المفروض علينا  
 جميعاً توجيه الرأي العام - ولو بنحو غير مباشر - نحو تخفيف  
 الاحتقانات وتنقيس الأصول الفكرية لهذا النمط من التفكير،  
 لا السكوت عنه بحجة أن ذلك صدر عن إخلاص، فلسنا  
 اليوم في يوم الحساب نحاسب النوايا، وإنما نحن في هذه الدنيا  
 نتناقش بالتي هي أحسن، ولا ننفي ولا نُقصي ولا نسب ولا  
 نشتم ولا نقتل ولا نسلب أحداً حرّيته، كل ما في الأمر هو أننا  
 نطالب بوجهة النظر الأخرى أن تفصح عن نفسها، وأن نكفّ  
 عن السكوت والصمت واللامبالاة، وأن يعرف كل واحد منا أن  
 هناك فريقاً ورقيباً يناقشه ويختلف معه، لا أنه يقول كل ما يريد  
 دون حسيب أو رقيب. هذه هي الفكرة التي أريد أن أوصلها.

نحن نعرف أن هناك عشرات الآلاف من قراء العزاء في العالم  
 من الرجال والنساء، وبعض هؤلاء ممن تنحني لهم الرقاب  
 احتراماً وإجلالاً لعلمهم وجهادهم، لكن أليس بعض قراء  
 العزاء ممن لا يملك المستوى المطلوب من المعرفة؟ كيف يمكن  
 أن أتصوّر كل هذا الحشد الهائل من قراء العزاء ولا أجد في مقابل  
 ذلك أية معاهد كبرى لتخريجهم؟ أين هي معاهد قراء العزاء؟  
 غاية ما تعطيك - وما أقلها - التدرّب على الألحان و(الأطوار)  
 وبعض المعلومات الطفيفة، لكن ألا يحتاج قراء العزاء اليوم -  
 وتحت منبرهم الآلاف - إلى تخصّص أيضاً، وهم يمثلون موقعاً  
 متقدماً في صناعة الوعي الشعبي الديني؟ لا يوجد أيّ عمل  
 تأهيلي يُذكر لقراء العزاء، لا على مستوى المضمون، ولا على  
 مستوى الشكل عبر التثقيف على وسائل الدعاية والإعلام

والتأثير.

من هنا، أجد أن من الواجب الشرعي علينا جميعاً عدم تحييد أحد من النقد عندما نملك مقومات النقد، ونملك أخلاقية النقد، بل لقد طالبتُ مراراً برقابة دائمة على قراءة العزاء من قبل المتخصّصين في التاريخ والسيرة والفقهِ وغيرهم، تجعل قارئ العزاء بحكم المسؤول عمّا يقول، لا أن يلقي ما يريد في المجلس وتحت منبره فقهاء وأساتذة، ولا يجرؤ أحد على التفوّه بكلمة أمامه، لا لشيء سوى الخوف من أن التعرّض له قد يفتح باب جهنّم بوجهك، هذا شيء مرفوض تماماً، ولست أوّل من رفضه، فهذا الشيخ المطهري قد أسهب في هذا، ومن يريد صناعة الوعي الشعبي الديني يجب أن يكون عالماً قبل أن يكون خطيباً أو قاصّاً.

إنّ نقد الخطباء وقراء التعزية جزءٌ من فريضة الأمر بالمعروف والتوجيه والدعوة إلى الخير، وهذه الفريضة لا يقوم بها العلماء والخطباء فقط تجاه الناس، بل هي - وكما يقول الفقهاء أنفسهم في كتبهم الفقهية ورسائلهم العملية - وظيفة الناس أيضاً تجاه بعضهم وتجاه العلماء والخطباء، وليس الأمر بالمعروف تدخلاً في غير التخصّص بالضرورة، بل هو دعوة للصدق في القول والتبّت والانضباط الشرعي والأخلاقي، وهذا المقدار لا يحتاج إلى تخصّص، فهو معلومٌ من الدين بالضرورة.

إنّ من واجبنا جميعاً - كتاباً وأدباء وشعراء ونقاداً وأهل إعلام وصحافة وعلماء ومفكرين ومثقفين وفقهاء ومؤرّخين - أن نساهم في عملية نقد المنبر الحسيني، وهي ليست نقداً للحسين،



بل نقدٌ لصالح الحسين عليه السلام.

نعم، من الخطأ أن نجعل قراء العزاء كل همّنا وكأنّه لا وظيفة شرعية أخرى غيرهم، فننسى كل عناصر الخير والعطاء في الخطباء، وننسى كل التقصير الحاصل في مجتمعاتنا من فئات مختلفة، لتتفرّغ فقط لنقد المنبر! هذا خطأ جسيم، وهو ظلم أيضاً بحق المنبر الحسيني وأهله، لكنّ هذا لا يعني التخلي عن مهمّة الدعوة إلى الخير المطالبون بها جميعاً، شرط الالتزام العلمي والأخلاقي وحفظ حرّيات الناس.

٣. مبدأ تصحيح كل المرويّات التاريخية ذات الطابع المذهبي، وهي دعوى وجدناها عند بعض العلماء أيضاً حفظهم الله، فكل نصّ تاريخي ولو رجع إلى خمسين سنة فقط من اليوم يجب الحفاظ عليه وتظهيره وتفعلّيه وعدم نقده والتوقّف عن استنكار استحضاره في مجالس العزاء، لماذا؟ لأنّ بني أمية طمسوا التاريخ وعلينا أن لا نشارك في هذه الجريمة، وكل نصّ ولو كان ضعيفاً من الناحية التاريخية فيجب أن لا نحذفه؛ لأنّ في حذفه تضييعاً للتراث. هذه وجهة نظر نحترمها.

لكنني أعتقد بأنّه حصل خطأ أساسي في وجهة النظر هذه، فهناك فرق بين حذف الوثائق التاريخية ولو الضعيفة، وإحراقها وإتلافها حتى تذهب بحيث لا يمكن بعد ذلك الحصول عليها، وبين عدم ترويجهما بين الناس، هناك من يقول - ومنهم صاحب وجهة النظر هذه في بعض كتاباته حفظه الله -: لا ينبغي أن نؤلّف في صحيح الأحاديث؛ لأنّ هذا سوف يؤدّي إلى تلاشي الأحاديث الضعيفة وزوالها عبر التاريخ، وفقداننا قرائن وشواهد وتراثاً

قيماً. لكنّ هذا الكلام يقرأ الأمور بشكل تحليلي نظري، في حين أنّ الواقع بعكس ذلك تماماً، فلنأخذ تجربة أهل السنّة الذين اعتمدوا الصحيحين المؤلّفين في القرن الثالث الهجري، أي قبل ما يزيد عن ألف ومائة عام من اليوم، فهل ضاع تراثهم الحديثي الموجود في غير صحيحي البخاري ومسلم؟! كلا، فهذا التراث يهتمون به وينقحونه ويخرّجونه ويدرسونه ويطبّعونه أيّما طباعة، وما زال حاضراً في الفكر والبحث والاجتهاد عندهم إلى يومنا هذا، مثل معاجم الطبراني ومسند ابن حنبل وصحاح ابن خزيمة وابن حبان البستي ومجمع الزوائد للهيثمي وعشرات من الكتب الأخرى، فلماذا إذا طالبنا بالتدوين في صحيح الأخبار نكون قد طمسنا الحديث؟! ولماذا إذا طالبنا بالتدوين في صحيح السيرة الحسينية - كما فعل ذلك مؤخراً العلامة الشيخ محمدي الري شهري رعاه الله - نكون قد طمسنا سيرة الحسين عليه السلام؟!!

إنّ التدوين في الصحيح للناس يعني أن لا تقدّم بين يدي الناس إلا الأخبار الحديثية والتاريخية المعتمدة أو على الأقل غير المتهاكة، لكنّ هذا لا يعني أنّ سائر الأخبار قد أتلفناها، بل هي في متناول الباحثين والعلماء والنقاد والمحدثين والمؤرّخين، فمن هو هذا الذي طالب بحذف التراث؟! وأين قال هذا؟ إنّ كل ما نقوله هو المطالبة بأنّ نميّز بين ما يُعرض على الناس بوصفه مكوّناً للثقافة الدينية الشعبية العامّة، وبين ما هو في متناول واهتمام الباحثين والمتخصّصين، فما يُعرض على الناس هو الشيء الذي فرغ الباحثون من إثباته، وما نميل إلى عدم عرضه هو ما لم يثبت، فإذا عاد وثبت الضعيف بقرائن وشواهد فلا مانع من تعويمه على المستوى الشعبي، وإذا ظلّ ضعيفاً فيبقى

في متناول يد الباحثين ليستعينوا به هنا وهناك في أبحاثهم حيث يشكّل فائدةً وقرينة، وإذا ثبت عند بعض العلماء دون بعض فمن حقّ من ثبت لديه أن يسعى لترووجه بين الناس، ومن حقّ من ضعّفه أن يبيّن رأيه في ضعفه ويناقش في اعتياده، وأيّ ضير في ذلك؟ وما علاقة هذا الموضوع ببني أمية؟ وما علاقته بحفظ التراث وعدم ضياع تاريخنا المذهبي؟

كلّ ما نقوله أنّ ما يراد أن يُلقى لعامة الناس فليكن الأمور الثابتة عند المدارس التاريخية والحديثة اليوم، وأمّا ما هو ضعيف جداً أو تحوم حوله مئات الإشكالات والمناقشات بحيث لا يصمد أمام البحث العلمي عند الأغلب فلا تتداولوه، بل اتركوه لأوساطكم، فهل في هذا الطرح جريمة أم هو شيء منطقي تلقائي تستدعيه الضرورات؟ ومن ثمّ فنقد النصّ الضعيف أو الذي أراه منافياً للمنطق أو لحقائق التاريخ أو للقرآن الكريم أو لقطعيّ السنّة الشريفة أو لمقام الأنبياء والأولياء، ليس عيباً ولا طمساً للتراث، بل بالعكس هو حفر وتجلية وتنقية تفضي في نهاية المطاف إلى أن يكون ما يُطرح على الناس أكثر استحكاماً وأكثر قوّة في إثباته التاريخي وفي مضمونه الرسالي أيضاً.

ما نريده هو أن نبني ثقافة الناس على ما ثبت أنّه حقيقة لا على ما يُحتمل أنّه حقيقة ولو بنسبة الواحد في المائة. أكتفي بهذا القدر، وللحديث صلة وتتمّة، عسى تأتي الفرص لإكماله إن شاء الله.

## التعامل المالي لقراء العزاء

### في موسم عاشوراء وغيره<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: نحن في أيام عاشوراء نشهد تعاملًا ماديًا مع المجلس الحسيني من قبل الخطباء والروايد وقراء العزاء؟ ما هو رأي الشرع في هذا الأمر؟ وما هو الموقف من ذلك؟

◆ الجواب: يرى الفقهاء - عدا ما مال إليه أمثال السيد الشهيد محمد الصدر رضوان الله تعالى عليه - بأن قراءة العزاء ليست من الأفعال المشروطة بقصد القربة إلى الله تعالى، ومن ثم فلا تدرج في الأمور العبادية ولا تبطل بالرياء، وهذا يعني أنه لا مانع من أخذ المال عليها، لاسيما مع عدم كونها من الواجبات في المعروف.

نعم يذكر بعضهم أنه لا ينبغي لقارئ العزاء المبالغة في الزيادة، لكن هذا لا يعني التشنيع عليه لو فعل ذلك (انظر - على سبيل المثال -: السيد محمد حسين فضل الله، فقه الشريعة ٢: ١٥١). هذا لو نظرنا للموضوع من زاوية فقهية قانونية حقوقية محضة.

أما لو أردنا مطالعة هذا الموضوع بمستوى آخر اجتماعي واقتصادي وأخلاقي ونحو ذلك، فإن الأمر يستدعي منا وقفة في الحال المادية لطلاب العلوم الدينية والمشايخ الكرام، وهذه الوقفة تارةً ننظر من خلالها إلى الحال المادية لطالب العلوم الدينية على المستوى الشخصي، وأخرى على المستوى النوعي وعلى مستوى المؤسسة الدينية عامة.

المستوى الأول: وهو المستوى الشخصي، إن حياة طالب العلم

(١) إضاءات ٣: ٥٦٨

وعالم الدين ليست على نسق واحد، فالناس تنظر عادةً إلى من تحتكّ بهم من علماء الدين والمشايع الكرام وطلبة العلوم الدينية، إمّا في المدينة أو القرية أو على بعض المستويات الأوسع، وغالباً ما تصدر الناس أحكامها نتيجة معلومات محدودة تشكّل انطباعات، ولا تشكّل معلومات إحصائية أو خبرة في حال طلاب العلوم الدينية على نطاق واسع، فقد يرى الناس في بلدٍ مثل لبنان مثلاً أنّ حال غير واحد من العلماء ممتاز حيث يركب سيارةً ليست بقليلة الثمن ويعيش في منزل ليس بالفقير، واستهلاكه المادي على نفسه وأهل بيته ليس متواضعاً أبداً، من هنا تراكم هذه المشاهدات لتشكّل قناعة عامة بأنّ علماء الدين مرفّهون، وفي حال ممتازة إلا من شدّد وندر بها لا يساوي الواحد في المائة.

إنّ الناس هنا لا تنظر إلى المشايخ على مستوى الامتداد الجغرافي، ففي حياتهم لم يشاهدوا رجل دين باكستاني ولا يعرفون شيئاً عن أحوال أغلب رجال الدين في أفغانستان والعراق وإيران والهند وأفريقيا مثلاً، لكن عندما ندخل في مطالعة أوسع ناتجة عن تراكم اختلاط ممتدّ زمكانياً مع رجال الدين، كما لو كنتَ تعيش في المدن العلمية الكبرى أو كنت على تماس مع مساحات واسعة من طلاب العلوم الدينية، فإنّ رؤيتك ستكون مختلفة، فليس صحيحاً أنّ كلّ علماء الدين يعيشون حياةً مرفّهة، بل إنّ الكثير الكثير منهم يعانون من فقر ومن مشاكل اقتصادية حادة، هذا الادّعاء مني لا أستطيع الآن أن أقدم عليه دليلاً؛ لأنّه ناتج عن مشاهدة وتماس يمتدّ لفترة زمنية طويلة، وكذلك عن احتكاك بجنسيات مختلفة من طلاب العلوم الدينية، وأيضاً عن معلومات لجهات لها إشراف على الأوضاع المادية لعلماء الدين.

الأمر ليس بالضبط كما يتصورّ الناس، وليست بالضبط في مستوى جيّد في الوقت عينه، فلو أتيت الآن إلى حوزة علميّة كبرى مثل مدينة قم، يستقرّ فيها عشرات الآلاف من المشايخ الكرام فسوف تجد أنّ الرواتب الشهرية التي تقدّم لهم لا يمكن أن تكفيهم للعيش، وأنّ الكثيرين منهم يعانون من مشاكل، ولكنّ الناس لا تدري بهذا، وإنّما تبني انطباعاتها بطريقة مختلفة تماماً.

عندما نتحدّث عن أوضاع المشايخ الكرام فنحن نتحدّث عن مجتمع مكتمل تقريباً، أي مجتمع فيه طبقة ثريّة وأخرى متوسّطة وثالثة فقيرة، وليس عن مجتمع يتشكّل من واحدة من هذه الطبقات الثلاث. وعندما يعيش طلاب العلوم الدينية - سواء كانوا في المدن الكبرى أمّ من الذين خرجوا منها - عندما يعيشون هذا الوضع فإنّهم بشرٌ كسائر الناس. كيف أطلب من واحدٍ منهم أن لا يبحث عن لقمة العيش؟! ألا يحقّ له أن يعيش كما تعيش الناس في مستوى مقبول؟! هل لأنّه يريد نشر الدين إذاً فعليه وأهله أن يموتوا جوعاً؟! الناس تتعاطى مع هذه الموضوعات بطريقة مجتزأة وغير علميّة عادةً، ولا تدرس الأسباب التي تدفع لما يرونه من مشاكل سلوكية واستهلاكية في حياة بعض رجال الدين.

إنّ هذا الأمر له أسبابه القهرية على حياة عالم الدين، لا يمكنك أن تطالبه بأن يعيش حياته في فقر مدقع، إنّ عقله وغريزته وروحه وضميره ومسؤوليته ذلك كلّه يطالبه بتأمين لقمة العيش، حسناً فماذا يفعل حينئذٍ؟ لو كنتَ مكانه ما الذي كنت ستفعله؟

ما نجده أن المشايخ الكرام - ولكي يؤمّنوا لقمة عيشهم - يذهبون نحو خيارات، إمّا كلّ واحد على حدة، أو قد يتمّ الجمع بين بعض

هذه الخيارات:

**الخيار الأول:** مدّ شبكة علاقات مع بعض الأغنياء والتردد عليهم والتواصل معهم، بغية أن يؤمّن الشيخ بعضاً ممّا يكفيه أو يزيد مما يحتاج إليه، وهذه ظاهرة ليست بالقليلة أبداً، فالأغنياء قد يقدّمون المال لبعض المشايخ إمّا حبّاً لهم وهدية أو من باب دفع الأخماس والحقوق الشرعيّة، أو من باب كسب موقع اجتماعي من خلال النفوذ في العلاقات مع رجال الدين في القرية أو المدينة أو المنطقة، أو لأسباب أخرى.

عندما تجد شيخاً أو طالب علم يتودّد بطريقة لا تعجبك للأغنياء وليس لديه تعقّف أمامهم فاسأل نفسك هذا السؤال: لماذا يفعل هذا الشيخ هذا الفعل؟ ستجد أنّ بعضهم يفعل ذلك عن تدنٍّ أخلاقي وتربوي وروحي، لكنّ الكثيرين منهم عندما أقدموا على ذلك لم يكونوا سيئين، بل أقدموا لأنّه لا توجد أمامهم فرص أخرى تناسبهم مثلاً، وشيئاً فشيئاً اعتادوا على هذه الطريقة، حتى ذهب التعقّف، وضاعت أحياناً هيبة عالم الدين أمام الآخرين، حيث نجد بعض الأغنياء في بعض المجتمعات يستخفّ بعالم الدين هذا في محضره، وهذا أمر طبيعي، إذ من يدفع المال فله سلطة ونفوذ على من يأخذه.

**الخيار الثاني:** الانخراط في الانتماء السياسي أو الانتماء المرجعي، بأن يلتحق هذا العالم أو الشيخ في سلك الدولة الدينية أو هذا التنظيم السياسي الديني أو ذاك، كي تتأمّن بذلك له لقمة العيش، وإذا لم يكن منسجماً مع التيارات السياسية فهو يذهب للالتحاق بمرجعيّة معيّنة فيفتح علاقات وطيدة مع المرجع نفسه أو مكتبه ليكون وكيلاً

له أو على صلة وثيقة بحيث يستطيع تأمين بعض المبالغ المالية لنفسه نتيجة هذه العلاقات القويّة.

وقد نجد أحياناً علماء يذهبون هنا وهناك لتأمين مبلغ مالي يوزّعه هذا المرجع أو ذاك أو هذه الهيئة العلمائيّة أو تلك، أو هذا التنظيم أو ذاك، وهكذا.. لكي يستطيع من خلال تجميع هذه المبالغ الاستمرار في العيش.

**الخيار الثالث:** أن تأتيه أموال الخمس والحقوق الشرعية نتيجةً لمستواه ومكانته وعلاقاته، وفي هذه الحال يصرف على نفسه منها. ولكنّ أموال الخمس وأمثاله لم تعد متوفّرةً بشكل مباشر كالماضي، إذ زادت نسبة التمرّكز في هذه الأموال بحيث صارت الناس في غير بلد ومنطقة تعطي كبار الشخصيات أو الوكلاء في البلد، بدل أن تعطي صغار العلماء والمشايخ وطلبة العلوم الدينيّة.

**الخيار الرابع:** الأوقاف، وهذه قضيّة تحصل في بعض الأماكن، حيث يمنح الطلاب مخصّصات مالية نتيجة وجود أوقاف ترجع لطلاب العلوم الدينيّة، وغالباً ما لا يسدّ هذا الخيار حاجات عدد كبير من المشايخ، فهو محدود نسبياً لو أخذناه على نطاق واسع. إضافة إلى كون الكثير من هذه الأوقاف تقع تحت سلطة وكلاء المراجع أو التيارات السياسيّة والاجتماعيّة.

**الخيار الخامس:** العمل المؤسّساتي ونحوه، وهذا ما ظهر مؤخّراً حيث نشأت الكثير جدّاً من المؤسّسات البحثيّة والعلميّة التي انخرط فيها الآلاف من المشايخ الكرام لتأمين لقمة العيش من جهة وخدمة الدين والفكر من جهة ثانية.



الخيار السادس: قراءة العزاء، حيث تؤمن هذه الطريقة جزءاً لا بأس به من احتياجات الشيخ خلال أشهر عدّة، تبعاً لمستوى نجاحه في هذا الأمر.

هذه هي أهم الخيارات، وإلا يبقى الشيخ يعيش وضعاً مأساوياً كبيراً، وقد رأينا أمثالهم في حياتنا ممن لا تعرف الناس الكثير منهم، لأنهم ليسوا تابعين لجهات سياسية ولا مرجعية ولا بالذين يتقربون إلى الأغنياء والوجهاء، ولا بالذين يملكون صوتاً يؤهلهم لقراءة العزاء ونحوه، مع اشتغالهم على أخلاقية التعفّف وغير ذلك.

أنا لا ألوم الكثير من المشايخ الكرام إذا اتخذوا أيّ سبيل من هذه السبل، فإنّ أفضل هذه السبل عندي هو العمل وأخذ المال مقابل العمل، لا أخذ المال مقابل الزيّ الديني حتى لو كنت لا تعمل، لكن إذا لم يتوفّر هذا العمل أحياناً أو كانت ظروف هذا الشيخ لا تسمح له - تبعاً للمنطقة التي هو فيها - بالعمل، فماذا يفعل؟ ستجده مضطراً للمطالبة بالمال مقابل قراءة العزاء، ومضطراً لكي يتحمّل هذا التيار السياسي أو ذاك الغنيّ أو هذه الجماعة، كي لا تذهب به المواقف نحو الفقر.

هذه ظواهر موجودة، ولا أقول: إنّها الأغلب، بل أقول إنّها ليست بالقليلة، ولهذا لا أحمل الكثير من المشايخ مسؤولية هذه الأوضاع فهم مغلوب على أمرهم، وهم بشرٌ مطالبون بتأمين لقمة العيش لأهلهم ووعيالهم، فيما يظنّ الناس أنّ جميعهم تأتيم الأموال على طبق من فضّة، وربما من ذهب أو ألماس، دون أن يعرفوا أنّ هذه الأموال إنّما أتتهم بهذه الطريقة أو تلك.

نعم، أنا أحمل الشيخ أو طالب العلم المسؤولية من أربع نواحٍ:

أولاً: إنَّ بعضهم لا يرى من شأنه أن يعمل في مؤسّسة أو مجلّة أو ترجمة أو تحقيق أو أيّ شيء آخر، وهذه ظاهرة موجودة عند بعض المشايخ، وهذا خطأ كبير، فقد صارت فرص العمل خلال العقدين الأخيرين كثيرة جداً أمام المشايخ وطلاب العلوم، ولم يعد الأمر كالماضي، لكنّ الكثيرين منهم لا يبحثون عن عمل، ويريدون أن يعيشوا في وضع جيّد دون أن ينخرطوا في وظائف، بل بعضهم يرى ذلك عيباً لا يليق بشأنه. هذه مفاهيم خاطئة موجودة عند البعض. ولكنني - بحكم احتكاكي بالحوزويين - أجد أنّ هذه الظاهرة بدأت تتقلّص تدريجياً منذ حوالي العقدين من الزمن، وهذا مؤشّر طيّب، فصحابة النبي وأصحاب الأئمّة كانوا يعملون، فمنهم البزاز، ومنهم الصيرفي، ومنهم بياع السابري، ومنهم من يملك مالا يؤجّره أو ضياعاً، ومنهم الزّراع، ومنهم العاملون في سوق النخاسة، وغير ذلك. ولم نشهد بشكل قويّ ظاهرة التعالي عن العمل أو اعتباره عيباً، لكن على أيّة حال نحن نأمل أن يستمرّ هذا الزوال التدريجي لهذه المفاهيم، لنصل إلى حلول أفضل للقضيّة المالية في الداخل الحوزوي.

فما المانع أن يعمل الشيخ في التدريس في المدارس اللغّة العربيّة أو الدين أو القرآن أو التاريخ أو الفلسفة أو غير ذلك؟ وما المانع من التخصّص الجامعي من أوّل الوقت لكي يتوفّر له مثل هذا العمل في لاحق الأزمان؟ إذا كانت بعض الأعمال لا تليق بمكانة الشيخ الاجتماعيّة، لكنّ الكثير من الأعمال تليق بالتأكيد، أمّا إصرار بعضنا على أن يبقى في بيته ويصليّ في المسجد وعلى الأموال أن تأتيه فهذا غير منطقي، فإذا كنت تقدر على العمل وأخذ المال فلماذا تريد

الإصرار على الصلاة جماعة في المسجد مقابل المال؟ أليس خيار العمل أظهر للقلب؟!

إنّ تصحيح هذه المفاهيم ضروريٌّ للغاية، وحيث يمكن يلزم علينا أن نتحمّل العمل بما ينسجم مع الوظيفة (المشيخة) الأصل، في التصديّ للقضايا الدينية للناس، أمّا أن يكون أغلب وقتي يذهب سدى وفي الوقت عينه لا أبحث عن عمل يليق بشأني فهذا غير صحيح وغير منطقي، ويجب السعي لتحطيم المفاهيم الوهمية الطبقيّة التي نصطنعها، والتي وردت النصوص الدينية بعكسها تماماً.

ثانياً: المبالغة في استخدام الطرق الأخرى المشار إليها، فإذا كنت بحاجة للعلاقة مع غنيّ كي توفّر بعض المال منه لتعيش، فلا يعني ذلك أن تذهب بهيبتك ومكانتك الاجتماعية، حتى ليقال بأنّ فلاناً الشيخ ملازم لهذا الغنيّ أو ذاك، أو أن يقال بأننا لا نراه مع الفقراء بل غالباً ما نراه مع الأغنياء. وإذا كنت مضطراً لأخذ المال على قراءة العزاء - وأنا أقرّ لك باضطرارك - فلا داعي للمبالغة في المطالبة بطريقة تذهب بماء وجهك بما لك من سمة اجتماعيّة.

بل إنّ بعض الأساليب التي يستخدمها الناس في بعض المناطق أعتقد أنّ من واجب الشيخ الإفصاح والتشدد فيها، مثل أن يحمل بعضهم وعاءً في ليلة العاشر من المحرم أو في كلّ ليلةٍ منه لجمع الأموال لقارئ العزاء!! هذه طريقة مذلّة لا ينبغي للناس أن تفعلها مع قارئ العزاء؛ فإنّها تنافي احترامه وتقديره، ولا ينبغي له أن يقبل بهذا أبداً. إذا كنت بحاجة للمال واضطرت لمثل هذه الطرق والخيارات أعلاه، فلا داعي للمبالغة أو الإفراط أو إذهاب ماء الوجه للحصول على المال.

وفي هذا السياق يأتي موضوع المطالبة بمبالغ مالية مذهلة، فيأتيك شخصٌ ليطالب بمبلغ مالي عالٍ جداً مقابل قراءة مجلس عزاء لعشرة أيام. هذا شيء وإن لم يكن حراماً لكنّه غير مناسب، ويترك صورةً سلبية أمام الناس عن جماعة علماء الدين، بل ويذهب بقاء وجه هذا الشخص نفسه، ويجرّ عليه التهمة والغيبة والبهتان والقييل والقال.

طبعاً، ليس قراء العزاء لوحدهم في هذا، بل هناك شرائح اجتماعية نجد أنّ طبيعة عملها هي البُعد الإنساني، لكنّ طريقة أخذها للمال تتعد عن الروح الإنسانية، فالطبّ مثلاً مهمّة إنسانيّة مليئة بالرساليّة والإنقاذ والإعانة، لكننا نجد بعض الأطباء - بل ربما كثير منهم - يبالغ في الأموال التي يأخذها مقابل خمس دقائق للنظر في حال المريض، أو يبالغ في المال الذي يأخذه مقابل عمليّة جراحية عادية قد تأخذ منه ساعة أو ساعتين! هذه الظواهر المتناقضة لا نجدها عند المشايخ أو قراء العزاء فقط، بل كثير من شرائح المجتمع الأخرى أيضاً من هذا النوع، وكما يكون الطيب بحاجة إلى المال لكي يعيش، كذلك قارئ العزاء، وكما هذه مهمّة إنسانية نبيلة ورقيقة، كذلك هذه مهمة دينية وروحية سامية، فالكلّ مصاب بهذا الداء تقريباً، ولا أجد داعياً للمبالغة في قضية قراء العزاء أو المشايخ مع عدم أخذ الظاهرة العامّة في مجتمعاتنا بعين الاعتبار. وعليه فينبغي لرجل الدين أن يتنبّه لهذا.

وفي هذا السياق، تأتي ظاهرة التنافس الدنيوي التي يقع فيها البعض ولو القليل، فتجدهم متنافسين على نوعيّة السيارات التي يريدون ركوبها، أو متنافسين على نوعيّة الرخام الذي ينبغي لهم وضعه في المنزل، أو متنافسين على بعض أنواع الملابس لزوجاتهم

وأبنائهم وهكذا. إن انتشار ظاهرة التنافس السلبي هذه، والتي تشارك فيها بعض زوجات رجال الدين أمرٌ غير صحيٍّ، بل يجب معالجته ومواجهته تربوياً وأخلاقياً، حتى لا ينجرّف الإنسان نحوه وهو لا يشعر، وكثير من رجال الدين يقعون في هذه المشاكل عن طيب نفس وحُسن نيّة ودون انتباه في البداية.

ثالثاً: القناعة وترشيد الاستهلاك، فطالب العلم عندما دخل في هذا السلك فقد وطّن نفسه على التضحية والعناء والتحمّل، فهذا طريق الأنبياء والصلحاء والعاملين، فعندما يفكّر في استهلاكه الشخصي، فعليه أن يقبل بالتقشّف النسبي وبالتواضع في العيش عندما لا تكون لديه الإمكانيات المادية الممكنة.

إنّني ضدّ القول لرجل الدين: لا يصحّ أن يكون لك هذا، بل أنامع القول له: من أين لك هذا؟ فإذا كان رجل الدين يحصل على المال بطريقة وظيفيّة شريفة ومتعارفة فلا يحقّ للناس أن تطالبه بأن يكون فقيراً، فبعض رجال الدين هم بالأصل أغنياء ومن أسرّ غنيّة، فلا ضرورة لأن نطالبهم بالعيش عيشة الفقراء دوماً، ما دام المال مشروعاً وناجماً عن تعبهِ وكدِّ يده، إنّما السؤال هو: من أين لك هذا؟ فإذا أخذته من طريق غير لائق يأتي الإشكال هنا، أمّا إذا أخذته من طريق لائق فلا ضير عليك، فلم ينصّ القرآن والسنة على لزوم أن يعيش كلّ شيخ حياةً فقيرة، نعم عليه أن لا يعيش حياة بذخ وإسراف وتبذير تخرجه عن جادة الشرع، لكن لو توفّر المال في يده بطريقة شرعيّة ناتجة عن عمله، فأبى مانع من أن تكون له الدار الواسعة والمركب الهنيئ اللذين حثت النصوص على أن يمتلكهما الإنسان؟!!

إنّ ترشيد الاستهلاك من أعظم المهّمات التي يطالب المصلحون اليوم في مجتمعاتنا بالحديث عنه، فقد بلغ الإسراف والبذخ مبلغاً عظيماً بين الناس عامّة، وفي جانبهم فقراء جائعون أو مرضى لا قدرة لهم على الذهاب للمستشفى.

ترشيد الاستهلاك موضوع طويل يحتاج أن نتكلّم فيه بشكل مستقلّ؛ لأنّ الكثير من مظاهر حياتنا بات غير منطقي، لكن ما يهمني هنا هو رجال الدين الذين يطالبون - عندما يكونون في وضع حرج مادياً - أن يرشّدوا استهلاكهم، لا أن يصرفوا بطريقة عشوائية على أساس أنّ الأخماس سوف تأتي، أو أنّنا يمكن أن نؤمن المبلغ المالي من هذا الوكيل أو ذلك، أو من هذا الغنيّ أو ذاك، أو بهذه الوسطة أو تلك، أو باسم هذا المشروع الدينيّ أو ذاك، أو من هذا الوقف أو ذاك أو..

رابعاً: الاستقلال الفكري والديني، فمن المعلوم أنّ التبعية الاقتصادية تتبعها تبعيّة فكريّة وبيانية ودينية، وأنّ الاستقلال الاقتصادي يتبعه استقلالٌ فكري وثقافي، لهذا ينبغي لرجل الدين أن يسعى دوماً لكسب استقلاله الفكري واستقلاله في مواقفه، وحرّيته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ففي بعض الأحيان نجد أنّ بعضهم عندما يصبح مورد عيشه هو هذا الغنيّ أو ذاك، أو هذا التيار السياسي أو ذاك، أو هذه المرجعيّة أو تلك.. يفقد تماماً استقلاله الفكري ويسدّ باب أمر هذا الغني بالمعروف ونهيه عن المنكر سداً تاماً، فلا تجده يتفوّه بأيّ نقدٍ له خوفاً من وقف تدفق النقد والمال عليه منه، وهكذا الحال في مورد كون قوت نفسه وعياله من هذا التنظيم السياسي أو ذاك، ومن هذا

التيار الديني أو ذاك، وهذا أمرٌ غير سليم، فلا بدّ أن يحمل رجل الدين همّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دوماً حتى لأولئك الذين يقدون عليه بهال عيشه وقوت سنته، مستخدماً ما يمكن من الطرق الهادئة، ولهذا نقول دوماً بأنّ عليه تأمين رزقه من مواضع متعدّدة حتى لا يكون أسيراً للموضع واحد؛ لأنّ تحوّل رجل الدين إلى مجرد موظّف في مؤسّسة هذا المرجع أو ذاك، أو في هذا التيار السياسي أو ذاك، أو عند هذا الغني أو ذاك يفقده شخصيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والأنكى من هذا يصبح من يتحكّم بأمره وتوجيهه في القضايا الدينية مجرد أشخاص لا فقه لهم في الدين ولا علم لهم بالفكر، فيفرضون عليه الحديث في هذا الموضوع دون ذاك، ويلزمونه بترك الأمر بالمعروف في هذا الملفّ دون ذاك إلزاماً غير مباشر، فرجل الدين يتحمّل هنا بعض المسؤوليّة في أن يحاول أن يفتكّ من هذا الوضع ولو كان رزقه عبر هذا السبيل، وأن لا يستسلم نهائياً لهذا الأمر حيث يمكنه ذلك، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

هذه هي القضايا الأربع التي يمكن أن يؤاخذ عليها رجل الدين اليوم، وليس أصل أنّه يطلب المال أو غير ذلك. هذا على المستوى الفردي لأحد رجال الدين.

المستوى الثاني: وهو المستوى النوعي والمؤسّسي، إنني أعتقد بأنّ أبرز من يتحمّل مسؤولية الأوضاع المالية التي يعيشها رجال الدين هو:

١. النظام الذي يحكم المؤسّسة الدينية ككلّ.

٢. بعض النافذين الذين يسعون - من حيث شعروا أو لم يشعروا - لتكريس هذا الوضع؛ لأنّ فيه مصلحتهم.

لست أريد الآن أن أتحدّث عن القضية المالية عموماً في المؤسسة الدينية، فهو موضوع تحدّث فيه الكثيرون، لاسيما السيد محمد باقر الصدر والشيخ مرتضى مطهري وغيرهما، وقدّمت معهما وبعدهما طروحات عدّة لتحسين الأوضاع، وحصل تقدّم ملحوظ ينبغي الإقرار به وشكر الله عليه، لكن لم تحصل الففزة النوعية المنشودة رغم مرور نصف قرن على تلك الطروحات التي قدّمت. هذا موضوع طويل في كيفية تنظيم المال عند المرجعيّات الدينية والحديث عن المرجعيّة الرشيدة والمرجعية المؤسسة وغير ذلك ممّا قيل ويقال إلى يومنا هذا، وهناك في هذا المضمار سلسلة من المفاهيم المعطّلة التي يفترض التخلّص منها، ولا مجال للحديث عنها الآن.

لكن ما أريد قوله هو أنّ هذا الوضع الذي فرض على آحاد رجال الدين حتى جرّهم إلى ما جرّهم إليه، وبرغم تحسّن الأوضاع في غير موقع ومكان، لكن يبقى الوضع دون المستوى المطلوب، ولا بدّ لنظام المؤسسة الدينية من إحداث تغيير كبير في المسألة المالية، وأكتفي هنا بالإشارة إلى ضرورة تأمينها فرص عمل لطلاب العلوم الدينية، فإنّ خلق هذا المناخ لهم هو الكفيل بإدخالهم في نسق الإنتاج المالي الطبيعي في عالم الوظيفة والحصول على المال، إلى جانب تفتيت المفاهيم المثبّطة عن ذلك كما أشرنا سابقاً، وهذا ما شهدنا تطوّراً كبيراً فيه خلال العقدين الأخيرين، لكنّه يحتاج إلى بسط وتوسعة على امتداد العالم الإسلامي وغيره حيث ينتشر رجال الدين عموماً. وقد ذكرت الأحاديث الشريفة وفتاوى الفقهاء بأنّ القرض أفضل



من الصدقة، ويجب التفكير باستخدام هذا المنهج مع طلاب العلوم بعد الانتهاء من المرحلة الدراسية، فلا نعوّده على الأعطيات، بل على تأمين فرص عمل أو قروض ليعيش المسؤولية الإنتاجية التي يعيشها سائر الناس.

وعليه، فالكّل مسؤول عن معالجة هذه الظاهرة، وليس آحاد المشايخ وقرّاء العزاء فقط:

١. الناس عموماً، بترحيبها بعمل رجل الدين وعدم اعتبار ذلك منقصة، بل هو مفخرة وتواضع وقيمة مضافة له، والسعي من قبل الناس للمزيد من الاحترام الاجتماعي لرجل الدين ليس بالمجاملات، وإنّما بمساعدته على التواضع والعمل والعفة والتمنّع والكبرياء الإيجابي ونحو ذلك، وتقديم المال له - عندما يراد تقديمه - بطريقة تليق به وتحفظ ماء وجهه، وشعورهم بأنّ عالم الدين هو مسؤولية اجتماعية أيضاً.

٢. المؤسسة الدينية، بتفتيت المفاهيم المثبّطة عن الإنتاج الطبيعي لرجل الدين حيث يمكن، والسعي لتأمين فرص عمل له تليق بشأنه ولا تدفعه للأخذ من الناس أو لإراقة ماء وجهه وأهله هنا وهناك.

٣. رجل الدين نفسه، فعليه السعي للتقليل مهما أمكنه من أخذ أعطيات الخمس والزكاة، والبحث عن فرص عمل حيث يمكنه، ونحن لا نقول بأنّ الجميع يمكنه تأمين فرص عمل، بل نقول: (حيث يمكن). إضافة إلى ترشيد الاستهلاك وتوازن الصرف المالي.

نسأل الله التوفيق لكلّ العلماء والعاملين وطلبة العلوم الدينية  
الذين شرفهم الله بهذه الخدمة النبيلة، لبلورة نظام مالي أفضل في  
الإنتاج والاستهلاك، إنّه قريب مجيب.

## حكم الإزعاج بالأصوات العالية، وماذا عن المساجد والحسينيات؟<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: يمارس كثير من الناس الفوضى والإزعاج الصوتي للأخرين، لاسيما للجيران، حتى أنّ بعض المساجد والحسينيات تبالغ في ذلك، ما هو الموقف الإسلامي من هذه الظاهرة؟

◆ الجواب: هذه من الظواهر السلبية جداً التي تعاني منها الكثير من بلداننا العربية والإسلامية، ولعلّها تعبير عن قلقنا وخوفنا، فلا نحبّ الصمت ولا نريده، لأنّه مقلق ومخيف، حتى أنّنا عندما نكون لوحدها صامتين فإنّنا نحاول أن نستمع إلى صوت المذياع أو إلى أغنية كي لا يبقى الصمت، كأنّنا هناك خوفاً منه أو إدماناً للأصوات العالية، كما كان يقول العلامة الراحل السيد محمد حسين فضل الله رحمه الله.

بل تجد بعضاً من الخطباء السياسيين والدينيين يدمنون الصراخ على المنابر بطريقة مثيرة جداً بحيث تخلق في وعي الجمهور أنموذج الإنسان المتوتر والقلق والغاضب، الأمر الذي يترك أحياناً أثراً سلبياً في نمط عيش حياة الكثير من الناس.

والأسوأ من هذا كلّ تلك الثقافة التي باتت تروج في بعض المناطق (لبنان مثلاً) من إطلاق الرصاص عقب ظهور زعيمٍ سياسي أو مذهبي أو انتهاء خطابه، الأمر الذي أدّى في بعض الأحيان إلى تضرّر ممتلكات الآخرين، بل والأرواح. وقد لعب نمط الحياة العصرية دوراً كبيراً في التلوّث الصوتي في فضائنا، وترك آثاراً

(١) إضاءات ٣: ٥٨١

سلبية على نفوسنا وأرواحنا وعقولنا وأجسادنا.

ولا فرق في سلبية هذه الظاهرة بين أن تصدر من الناس بأبواق سياراتهم أو الراديو أو أجهزة ضبط الصوت، أو عند كل مناسبة أو نجاح في المدرسة أو الجامعة، أو عروس تزفّ إلى منزل زوجها، أو حاجّ أو زائر يرجع إلى أهلها، أو انتصار سياسي أو عسكري أو غير ذلك، وبين أن يصدر هذا الأمر من المساجد أو الحسينيات أو المسيرات الدينية، إذ ينبغي حتى الإمكان تجنّب الإزعاج للآخرين بما يؤذيهم.

وليس لأنك تذيع صوت القرآن الكريم فهذا مبرّر لك لإطلاق الصوت من مئذنة المسجد عالياً لمدة طويلة قبل أذان الفجر مثلاً، فإنّ الناس قد لا تتحمّل مثل ذلك، وعلينا أن نحبّب الناس بالدين ولا نبغضهم به، وليس اعتراض الناس ناشئاً عن كره للدين بالضرورة، بل عن حالة طبيعية حيث تنوّع أعمالهم ومشاغلمهم فيرجعون متعبين للراحة، فلا يصحّ - بحجّة إذاعة الحقّ - التنكيل بالناس بهذه الطريقة.

وقد تحدّث غير واحد من العلماء عن سلبية هذه الظاهرة وقدّموا توجيهات دينية بشأنها، وأنا أنقل لكم بعض النصوص، لشرها بين الناس، علّنا نساعد في بناء حياة أفضل وفي نظام حياة اجتماعية أكثر حضارةً وتقدماً ورفعة إن شاء الله:

١. (السيد علي السيستاني): «هل يجوز إزعاج الجار اليهودي، أو الجار المسيحي، أو الجار الذي لا يؤمن بدين أصلاً؟ الجواب: لا يجوز إزعاجه من دون مبرّر». (السيد السيستاني، فقه الحضارة: (١٧٥).

فلنتأمل هذا النصّ الرائع الذي لا يميز إزعاج حتى الذي لا يؤمن بدين أساساً، ما لم نملك مبرراً مقبولاً.

وجاء في نصّ آخر له حفظه الله: «حقّ الجوار قريب من حقّ الرحم، يستوي في ذلك الحقّ الجار المسلم والجار غير المسلم، فقد أثبت رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلّم) للجار غير المسلم هذا الحقّ، حيث قال: «الجيران ثلاثة: فمنهم من له ثلاث حقوق: حق الإسلام، وحقّ الجوار، وحقّ القرابة، ومنهم له حقان: حقّ الإسلام، وحقّ الجوار، ومنهم من له واحد: الكافر له حقّ الجوار» وقال ﷺ: «أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً»، وقد أوصى الإمام علي الإمامين الحسن والحسين بالجيران بعدما ضربه اللعين ابن ملجم، فقال ﷺ: «الله الله في جيرانكم، فإنهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم»، وقال الإمام الصادق ﷺ: «ملعون ملعون من أذى جاره»، وقال ﷺ: «ليس منّا من لم يحسن مجاورة من جاوره»..».

(السيد السيستاني، الفقه للمغتربين: ٢٠٤).

٢. (الشيخ جواد التبريزي): «هل يحرم تزيين سيارة الزفاف واستعمال المنبه الصوتي (بوق أو هرن) في الشوارع، سواء يشرط أن يكون موجباً للريبة أو يزعج الناس؟ الجواب: في الفرض المذكور هذا ينافي العفاف والستر المطلوبان من المرأة، والله العالم» (الشيخ جواد التبريزي، صراط النجاة ٥: ٣٨٥).

٣. (السيد محمد الشيرازي): «..ورد في الشريعة استحباب خفض الصوت، وقد وردت روايات كثيرة في هذا الجانب، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا أبا ذر، اخفض صوتك عند

الجنائز وعند القتال وعند القرآن». وعن الإمام علي عليه السلام: إنه كان إذا زحف إلى القتال يأمر الناس بخفض الأصوات والدعاء. وفي رواية أخرى عن ابن عباس يصف أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ويقول لهم معاشر الناس استشعروا الخشية وأميتوا الأصوات وتجلببوا بالسكينة». وفي حديث آخر إنه عليه السلام قال لأصحابه عند البراز: «وعضّوا على الأضراس فإنه أنبأ للسيوف من الهام وأربط للجأش وأزكى للقلوب، وأميتوا الأصوات فإنه أطرّد للفشل وأولى للوقار». وفي رواية أخرى: «وعضّوا على الأضراس فإنه أنبأ للسيوف عن الهام وغضّوا الأبصار ومدّوا جباه الخيول ووجوه الرجال وأقلّوا الكلام فإنه أطرّد للفشل وأذهب بالوهل...» (السيد محمد الشيرازي، فقه البيئة: ١٠٦ - ١١٦، حيث استعرض بحثاً مفصلاً هناك).

٤. (السيد روح الله الخميني): «لا يخفى أنّ أمر الجار شديد، وحثّ الشرع الأقدس على رعايته أكيد، والأخبار في وجوب كفّ الأذى عن الجار وفي الحث على حسن الجوار كثيرة لا تحصى، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»، وفي حديث آخر أنه عليه السلام أمر علياً عليه السلام وسلمان وأباذر - قال الراوي: ونسيت آخر وأظنّه المقداد - أن ينادوا في المسجد بأعلى صوتهم بأنه لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه، فنادوا بها ثلاثاً»، وفي الكافي عن الصادق عن أبيه عليه السلام قال: «قرأت في كتاب علي عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كتب بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل يثرب أنّ الجار كالنفس غير مضارّ ولا آثم، وحرمة الجار كحرمة أمة»، وروى الصدوق بإسناده عن الصادق عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من آذى جاره

حرم الله عليه ربح الجنة ومأواه جهنم وبئس المصير، ومن ضيَّع جاره فليس منِّي»، وعن الرضا عليه السلام: «ليس منّا من لم يأمن جاره بوائقه»، وعن الصادق عليه السلام أنّه قال والبيت غاصّ بأهله: «اعلموا أنّه ليس منّا من لم يحسن مجاورة من جاوره»، وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حسن الجوار يعمر الديار وينسى في الأعمار»، فاللزام على كلّ من يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر الاجتناب عن كلّ ما يؤذي الجار وإن لم يكن مما يوجب فساداً أو ضرراً في ملكه، إلا أن يكون في تركه ضرر فاحش على نفسه، ولا ريب أنّ مثل ثقب الجدار الموجب للإشراق على دار الجار إيذاء عليه، وأيّ إيذاء، وكذا إحداث ما يتأذى من ريحه أو دخانه أو صوته أو ما يمنع عن وصول الهواء إليه أو عن إشراق الشمس عليه وغير ذلك». (السيد الخميني، تحرير الوسيلة ٢: ٢٠٣-٢٠٤).

٥. (السيد محمد حسين فضل الله): بعد حديث مطوّل عن مسألة الصوت وارتفاعه يقول رحمه الله: «..وينبغي أن يعلم من خلال ما قدّمناه أن شجب الإسلام للأصوات العالية دون ضرورة لا يقتصر على مضمون دون مضمون؛ لأنّ القضية قضية طبيعة الصوت لا قضية المحتوى، فلا يفرق بين القرآن وغيره كما يظنّ بعض السدّج أنّ لهم الحقّ أن يرفعوا الجهاز الصوتي الذي يملكونه إلى أبعد حدّ إذا كان الصوت يتضمّن قرآناً أو موعظة أو غير ذلك؛ لأنّ الدين يفرض على الآخرين أن يخضعوا لذلك ويستسلموا. إنّ هذا الظنّ خطأ؛ لأنّ الإسلام يريد للإنسان أن يستمع للقرآن وللمواعظ بروح هادئة خاشعة، ومن الطبيعي أنّ ذلك لن يتحقّق إذا كان الصوت ينطلق بصورة مزعجة تثير الأعصاب وتبعث على التوتر..». (مفاهيم إسلامية عامّة: ٣٥-٣٦).

٦ . (السيد علي الخامنئي): «ما هو رأيكم بالنسبة لاستمرار مسيرة مواكب العزاء في ليالي شهر محرّم إلى منتصف الليل ويستخدم فيها الطبل والمزمار؟ الجواب: انطلاق مواكب العزاء على سيّد الشهداء وأصحابه عليهم السلام والمشاركة في أمثال هذه المراسم الدينية أمرٌ حسن جداً ومطلوب، بل من أعظم القربات إلى الله تعالى، ولكن يجب الحذر من أيّ عمل يسبّب إيذاء الآخرين أو يكون محرّماً في نفسه شرعاً». (أجوبة الاستفتاءات ٢: ١٢٦، س ٣٧٢).

وبناءً عليه، فإنّ من المطلوب منّا جميعاً - أفراداً وجمعيّات ومؤسّسات دينية وغير دينية - أن نسعى لخلق فضاء صوتي صحّي يمكن أن نعيش فيه حياة أفضل، ونبني فيه شخصيات أكثر اتزاناً ووقاراً، ومن المطلوب من علماء الدين والخطباء تناول مثل هذه الموضوعات التي تواجهها الناس يوماً لتوجيه الشارع المتديّن نحو ممارسة حياة أخلاقيّة أفضل من الناحية الاجتماعيّة، لتمكّن من صنع مجتمع متدين متميّز من هذه النواحي عن غيره تميّزاً إيجابياً إن شاء الله.

هذا، وإذا كان بعض الناس بحاجة للصراخ والضجيج أحياناً لتنفيس الغضب والضغط الحياتي، فإنّه يمكن تخصيص أماكن بعينها لذلك تستطيع تأمين مناخ مناسب لهم، وهذا ما يرتبط بالجهات المعنيّة بالشأن النفسي والتربوي العام.



## البُعد الاجتماعي في رفع الأدعية

### و.. عبر مكبرات الصوت<sup>(١)</sup>

◆ السؤال: تنتشر في مجتمعنا ظاهرة قراءة الدعاء عبر مكبرات الصوت، حيث الصوت يكون مسموعاً عبر المكبرات الصوتية الخارجية للقريب والبعيد، فهل هذه الظاهرة إيجابية، وخاصة أن البعض يقبل بل ويحث عليها متذرعاً بأنها تخلق أجواءً روحانية في المجتمع؟ وما وظيفة الذي يصله صوت هذا الدعاء بحيث لا يكون مستهتراً أو متهاوناً في هذا الأمر، وخصوصاً إذا كانت له القدرة على التغيير؟

◆ الجواب:

هناك أكثر من نقطة:

أ. إن هذه الظاهرة هي ظاهرة صحيحة وجيدة، وأنا أوافق على أنها تخلق جواً طيباً في المجتمع، مثل الأذان وقراءة القرآن والزيارات وغير ذلك، فإن ارتفاع المآذن بصوت الأذان ظاهرة اجتماعية حسنة، ولها تأثير نفسي وروحي، لا سيما على الأجيال الصاعدة التي تربى في ظل مناخ اجتماعي يعيش القضية الدينية، وهذا ما يلمسه الكثير من الإخوة الذين يعيشون في بلدان غير إسلامية بحيث لا يسمعون هذه الأصوات أبداً فيعيشون حينئذ لها، حيث تجد بعضهم يعيش ذكرى هذا الجوّ الإيماني الطيب الذي تربى عليه في البلدان الإسلامية. ولا ينبغي لنا أن نعيش عقدة فيما نعمل، حيث نرى بعض المؤمنين يشعرون وكأنهم جسم منبوذ في المجتمع، وأن عليهم في كل شيء أن يتراجعوا

(١) إضاءات ٤: ٥٤٨

حتى يرضى القلة من الناس عن أفعالهم!

ب. هذا الذي قلناه أعلاه مشروط بعدم إزعاج الناس أو إلحاق الأذى والضرر بهم، وهذا يختلف من منطقة إلى أخرى، ويختلف باختلاف أدياننا في المساجد والأماكن الدينية بحيث نجب الناس بهذا الجوّ الإيماني، ولا نثقل عليهم، وهذا يحتاج إلى سياسة حكيمة في هذا المضمار، أمّا لو كان رفع الأصوات موجباً لأذى الناس والضرر بها فهذا أمر مرفوض، وهو ما تركبه بعض الجهات المشرفة على المساجد أو الأماكن المقدّسة أو الحسينيات، بحيث ينفّرون الناس من الدين بدل أن يكونوا عنصر جذب لهم، فالدين يحتاج للرفق والليونة لا للشدّة والخشونة والقهر والفرض. وقد سبق لي أن أجبته بالتفصيل عن ظاهرة إزعاج الناس بمكبرات الصوت في المسيرات والحسينيات والمساجد والأماكن الدينية، وبيننا هناك سلبية هذا الأمر والمواقف الشرعيّة منه فليراجع (إضاءات في الفكر والدين والاجتماع ٣: ٥٨١ - ٥٨٧، رقم السؤال: ٥١٨).

ج. علينا أن نعمل على إقناع الناس بأن يتقبّلوا هذا الجوّ الصوتي المتوازن والمعقول وغير المفرط وغير المؤذي، فبعض الناس ليست مشكلتهم مع الصوت بقدر ما هي مشكلتهم مع كونه صوتاً دينياً، ولهذا تراهم لا يتأذون من الأغاني ومراكز الحفلات الصاخبة رغم أنّ الأذى فيها قد يكون أكبر في بعض الأحيان، وهنا علينا أن نعمل بليّن ورفق لترطيب نفوس الناس وتهيئتها لتقبّل أن نخلق هذا الفضاء الصوتي الإيماني بشكل متوازن وغير مؤذٍ، فإن قبلوا فيها ونعمت، وإن لحقهم الأذى كففنا

عن أذية الناس.

د. لو ارتفع الصوت إلى الخارج لم يجب على الآخرين ممن يصلهم الصوت أن يشاركوا معه، ولا يعدّ عدم مشاركتهم استهتاراً إلا في حالات قليلة ونادرة تحتاج لتأمل وتدقيق، ولكن لو لم يتمكن الإنسان من المشاركة في المسجد - وهي المشاركة الأفضل - فإنّ بإمكانه أن يشارك مع الصوت الآتي من المساجد، ويكون ذلك منه فعلاً طيباً، وإلا فليس عليه بأس ولا يكون قد فعل حراماً أو قبيحاً.





القسم الرابع  
كلمات واقتباسات



## العقل البراغماتي والعقل المبدئي<sup>(١)</sup>

١٥-١١-٢٠١٢م

يوماً ما لم أفهم بعقلي البراغماتي (فقه المصلحة القائم على نظرية التزاحم) تصرّفات بعض الشخصيات الكبرى كالإمامين علي والحسين عليهما السلام، لكن عندما عايشت تجارب الانحراف الأخلاقي المجتمعي الذي يقع داخل الوسط الديني بحجّة المصلحة والضرورات، أدركت أنّ بعض الخطوات المتفضّضة على الواقع والمتصادمة معه لا تحتاج لأن تكسب نتائجها المصلحيّة، بقدر ما يكفيها أن تهزّ الوجدان، وتخلق شعوراً بعدم الرضا عن الأنا الفردية والاجتماعية.

يجب أن لا يبقى الانحراف متنعماً بسكينة باطنية ومتحرراً من عذاب الضمير، هذه خطوة مهمّة للتغيير المستقبلي، حتى لو لم يقع التغيير أساساً في لحظتك.

(١) إضاءات ٢: ٥٧٧

## دعوة للإمامية للانفتاح على زيد الشهيد<sup>(١)</sup>

١٦-١١-٢٠١٢م

بلغت الثورة الحسينية أكبر مدى لها في العصر الاسلامي الأول مع الإمام زيد بن علي بن الحسين الشهيد (١٢٠ أو ١٢٢هـ)، الذي قتله الأمويون وصلبوه ونبشوا قبره عقب ثورته عليهم في الكوفة. إنني أقدم اقتراحاً للطائفة الإمامية أن يقرؤوا هذا الرجل ومذهبه جيداً، فهو مهم للغاية، وإلى مذهبه ومذهب الإسماعيلية ترجع أكبر دول الشيعة في القرون الهجرية الأولى كالبويعيين والفاطميين، الذين شكّلوا نقاطاً مضيئة في التاريخ الإسلامي.

وقد كانت علاقات الإمامية والزيدية المنتسبين إليه ممتازة حتى القرن الرابع الهجري، لكنّه وتدرجياً أخذت بالتلاشي، كان ذلك برأيي خطأ تاريخياً لا أدري من يتحمّله.

أدعو الإمامية للعودة للانفتاح على المنجز الزيدي وقراءته بتمعن، متعالين عن الخلاف المذهبي، وكذلك أدعوهم للاهتمام بالتراث الديني المدفون في اليمن فهو من أعظم التراث. إنّها دعوة صادقة أتمنى أن تبدأ بأن نعطي هذا الرجل بضع دقائق على الأقل في موسم عاشوراء كلّ عام للحديث عنه ونعيه.

طبعاً أعرف أنّ هناك بعض الخلاف في شرعية ثورته لكن أغلب علماء الإمامية المتأخرين أخذوا بالتوجّه نحو مدح ثورته وتوثيقه واحترامه وتنزيهه عن المقاصد السيئة.

(١) إضاءات ٢: ٥٧٧



## مجالس العزاء وحالة بعض العقلانيين<sup>(١)</sup>

١٩-١٢-٢٠١٢م

هناك أشخاص عقلانيون ومتعلّمون ومثقفون أخذوا يأنفون من حضور مجالس العزاء؛ لأنّهم يرون في غالبيتها الساحقة الخرافة أو التكرار أو فقدان المضمون الجديد، وقد صار هؤلاء شريحة كبيرة متناثرة في المجتمع، أحببت أن أنقل لكم حالتهم، فماذا تقترحون عليهم؟ وهل هم مصيبون أم مخطئون؟ كيف لهم أن يعيشوا هذه الذكرى بالوجدان وقد اختلط وجدان هذه المجالس عندهم بعدم الواقعيّة، فلا يستطيعون البكاء إلا إذا تنازلوا عن نقدهم العقلي للمضمون الملقى عليهم في هذه المجالس، ولهذا تبلورت لديهم حالة نفسية سالبة؟ ماذا تقولون؟

(١) إضاءات ٢: ٥٧٨

## الحاجة لتوثيق ما قيل في الحسين عند غير المسلمين<sup>(١)</sup>

٢٢-١١-٢٠١٢م

مقترح متواضع

كنت أحبّ أن أقوم بهذا المقترح لكنّ وقتي لا يسعفني، وربما فعله أحد من قبل ولا علم لي. لهذا أقترح أن يقوم بعض من طلاب العلوم الدينية أو الباحثين والمهتمين والمتابعين، باستقراء كلّ المواقف التي قيلت في الإمام الحسين عليه السلام من قبل غير المسلمين، كالمسيحيين واليهود وأهل الديانات الوضعية كالبودية وغيرها. وكذلك ما قاله منهم الزعماء والسياسيون والإعلاميون والمفكرون والفلاسفة الكبار، ويخرج ذلك على شكل كتاب أو مقالة، لكن موثقة، بحيث تبين لنا مصدر المعلومات الموثوق، وهل حقاً ما ينقل عن غاندي وشكسبير وتشرشل و.. من مقولات ومواقف رائعة حول الإمام الحسين أم لا؟ ومن أين عرفنا؟ وما هي مصدر معلوماتنا في هذا السياق؟ ومن أول من نقل لنا المعلومات الأصليّة الخام في هذا الصدد؟

إنّ تدوين كتاب أو دراسة جامعة مستقرّة في هذا المجال يمكن أن يكون مفيداً للمنبر والخطابة الحسينية وللفكر والثقافة الدينية عموماً، وحمياً للمجالس الحسينية من التشكيك والنقد إن شاء الله.

(١) إضاءات ٢: ٥٧٩

## رسالة لأخي المطبّر<sup>(١)</sup>

٢٥-١١-٢٠١٢م

أخي المطبّر

سأظلّ أدافع عن حرّيتك في التطبير (ضرب الرأس بالسيف)، لن أقبل بأن يمنعك أحد من فعلك هذا ما دمت تملك وجهة نظر، لن أرضى بأن يزجّجك أحد في السجن، أو يرى فعلك جريمة لا تغتفر. لن أسمح لنفسى بأن أخرجك من الدين أو المذهب، وسأدافع عنك ضدّ كلّ من يريد سوءاً بك. سأحبّك شئت أم أبيت، وسأعتبرك دوماً أخاً لي في الله وفي الدين وفي الإنسانية معاً. سأقبل موضع السيف من رأسك ولن أتوانى..

لكن اسمح لي أن أختلف معك، فأنا أرفض أسلوبك في التعبير رفضاً تاماً، وأملك وجهة نظر في ذلك، وأنتمي للدين الذي تنتمي أنت إليه، وأنا حريص عليه كما أنت كذلك، إنني لا أرى في فعلك خدمةً للدين كما أنت ترى، فهل تقدر على أن تعاملني كما أعاملك؟! هل تقدر أن تحبّني وتختلف معي تماماً كما أحبّك وأختلف معك؟! هل تستطيع أن تحاورني دون تشنّج وسلبية وأعصاب متوترة؟! وهل يمكنك أن تعبّر عن رأيك في وجهة نظري دون تحوين أو اتهام أو تعالٍ أو تطهّر؟!!

تعالوا (وكلامي للأطراف كلّها) لنختلف في مناخ حرّية، ونتمايز عن بعضنا في مناخ اعتراف متبادل؛ لنبني مجتمعاً أفضل بإذن الله، والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق.

(١) إضاءات ٢: ٥٨١

## الوحدة المذهبية عنوان عاشوراء هذا العام<sup>(١)</sup>

٢٨ - ١٠ - ٢٠١٣ م

(سيوحدنا الحسين ﷺ)

أقترح كمتابع عادي - ومن باب التبرُّك بالإمام الحسين العظيم - أن يكون شعارنا هذا العام في عاشوراء هو الوحدة المذهبية.. صحيح أنني أؤمن بالوحدة الإسلامية لكنني سأطرح اليوم الوحدة المذهبية أيضاً..

كلنا.. من علماء دين ومثقفين وكتاب وإعلاميين وشعراء وأدباء وسياسيين وطلاب حوزات وجامعات وعمامة الناس.. نحاول أن نطرح هذا العام قضايا الوحدة المذهبية بين الشيعة..

أخي الخطيب الحسيني.. وأخي الرادود.. وأخي العالم.. وأخي المحاضر.. وأخي الكاتب.. وأخي الأستاذ.. وأخي الناقد.. فلنخصّص جزءاً من وقتنا للحديث في عاشوراء هذا العام عن الوحدة بيننا.. فالتشرذم لم يعد قليلاً.. والكل يتحمّل مسؤوليته فيما يبدو إلا من عصمه الله.. الكل أعني بعض المثقفين وبعض الحوزويين وبعض الكتاب وبعض الإعلاميين.. كلنا يتحمّل.. بعضنا أراد الإصلاح فكان عنيفاً.. وبعضنا أراد الدفاع فكان عنيفاً كذلك..

نحاول في مجالسنا وخطبنا وكلماتنا أن ندرس أسباب الفرقة وأسباب الكراهية المتعاطمة.. ونحللها.. ونضع ما يمكننا من حلول.. على هدي الكتاب والسنة والعقل..

(١) إضاءات ٤: ٥٧١

لا أؤمن بالحلول الشموليّة.. فلنقدّم ما يمكن وما تبقى فهو  
على الله.. المهم (اعقلها وتوكل)، وإذا تمكّنا من المبادرات وكان لنا  
قوّة بها.. فلماذا في قريتي أو مدينتي أو جامعتي أو حوزتي لا أقوم  
عاشوراء هذا العام بوساطة صلح في قضية هنا أو هناك.. لترطيب  
الأجواء.. ونقدّم ذلك بين يدي الله تعالى بعنوان (الحسين يجمعنا..)،  
فهل إلى ذلك من سبيل إن شاء الله؟

## للقضية الحسينية رحلتان بين الماضي والحاضر (١)

١١-١١-٢٠١٣م

للقضية الحسينية رحلتان:

١. رحلة من الحاضر للتاريخ (الذهاب)، يذهب فيها الإنسان نحو الماضي، يفهمه سردياً وقصصياً أو يفهمه تحليلياً وعلى مستوى الأهداف والتائج..

٢. ورحلة من التاريخ للحاضر (العودة)، وفيها لا يعود الحسين عليه السلام جسداً، بل يتحوّل لقيم ومبادئ وروح ومفاهيم ومعايير ونبض حياة..

كثيرون يذهبون في الرحلة الأولى.. فيقون هناك.. في التاريخ.. فيصبح حاضرهم تاريخاً.. بدل أن يتحوّل إلى مستقبل..

وقليلون يرجعون عبر الرحلة الثانية.. فيصبح حاضرهم حسينياً.. وتاريخهم حياةً حاضرة.. يصبح حاضرهم قيم رفض ونقد وتصحيح وبطولة وعمل وإرادة وجهاد وأمل وإصرار وتضحية وعطاء وعزّة وإباء..

وإذا قالوا: (يا ليتنا كنّا معكم) سمعوا النداء يقول: (ما زالت المعركة بأبعادها المتنوّعة بين الحقّ والباطل قائمة، فيمكنكم أن تكونوا معنا، ولا حاجة للتمني).. عندها يختبرون أنفسهم في حاضرهم، بدل التبرّع بالكلام لماضيهم..

في الحاضر يعرف الحسينيُّ اليوم.. نعم.. لا في الماضي.

(١) إضاءات ٤: ٥٧٣

## بين الحافظة والتفكير، وبين العلامة والخطيب<sup>(١)</sup>

٢-١-٢٠١٤م

يقولون بأنّه التقى في يوم من الأيام خطيبٌ حافظٌ مع علامة مرجع..

فقال الخطيب الحافظ: هل لك أن تذكر لي ألف حديث نبويّ بأسانيدھا؟

فأجاب العلامة: كلا، ولا حتى حديث واحد..

قال الخطيب الحافظ: ولا حتى حديث واحد تحفظه وأنت علامةٌ مرجع، وأنا أحفظ كذا وكذا ألف من الحديث!؟

قال العلامة: هات واحداً ممّا تحفظ..

فذكر له الخطيب حديثاً.. فأخذ العلامة المرجع يحلّل فيه ويفصّل ويجهّد في دلالاته ومناسباته ومقارناته واحتمالاته، ويناقد في سنده ومصدره التاريخي و..

فذهل الخطيب منه أشدّ الدهول..

فقال له العلامة: أنت لديك ذاكرة وحافظة مذهلة.. وأنا لديّ عقل يفكّر ويحلّل.. لو التقينا في شخص واحد لرأيت من الآثار عجباً..

هنيئاً لكلّ خطيب لديه عقل علامة، ولكلّ علامة لديه ذاكرة خطيب .

(١) إضاءات ٤: ٥٨٠

## وقفه احترام للشيخ الوائلي رحمه الله<sup>(١)</sup>

٦-٢-٢٠١٤م

في هذه الأيام الحزينة المليئة بالعبرة والعبرة.. نستذكر جميعاً العلامة الراحل عميد المنبر الحسيني، الخطيب الذي جمع بين الحافظة والعقل والتأمل والتحليل والأصالة والمعاصرة.. وحبّ الحسين عليه السلام.. الشيخ الدكتور أحمد الوائلي رضوان الله تعالى عليه، صاحب المدرسة الكبيرة في المنبر الحسيني.. فله منّا وقفه احترام ودقيقة صمت.. رحمك الله من عالم أسس مدرسة ما أحوجنا إليها اليوم.

(١) إضاءات ٤: ٥٩٢



## كلمتان حول المشكلة الأخيرة في (الشعائر)<sup>(١)</sup>

١٤-١٠-٢٠١٦م

بعد الأزيمة التي انفجرت هذا العام حول قضية (الشعائر الحسينية)، خرجت من بين الفضاء (التقليدي المنبث داخل التيارين: الثوري والشعائري معاً) أصواتٌ تدعو من جهةٍ للوحدة، ومن جهةٍ ثانيةٍ لمراعاة أخلاق الاختلاف، ومن جهةٍ ثالثةٍ لاحترام تقليد كل واحدٍ منّا وقناعة الآخر والرأي الآخر، وعدم الاجترار على العلماء والفقهاء ورموز كل فريق..

أصوات طيبة تعبّر عن مستوى إيماني جيّد ووعي اجتماعي مطلوب، ونسأل الله التوفيق لأصحابها، وعندى كلامٌ كثير هنا، أكتفي منه بكلمتين فقط - وأعتذر مسبقاً عن الإطالة :-

الكلمة الأولى: نحن مع هذه الأصوات، ومنتصر معها لمراعاة أخلاقيات الاختلاف وأدب الحوار، واحترام الآخر، ولطالما تكلمنا في هذا الموضوع الذي نعتبره من أهم مشاكل مجتمعاتنا وما يزال.

وفي هذا السياق نحن - ورغم بُعدنا الشاسع عن التفكير الذي ينتصر له بعض الشعائريين اليوم - نرفض الاتهامات العشوائية ضدهم، كما نرفضها ضدّ غيرهم، خاصّةً تهمة التخوين والعمالة عندما لا تكون مرفقةً بدليل، فإنّ إطلاق مثل هذه التهم على الملاءم العام من دون دليل ظاهرٍ يخلق ثقافة غير صحيحة في إدارة الاختلاف، وإذا لم يكن يمكنك الآن أن تكشف أدلة التخوين والاثام بالعمالة، فالأفضل أن لا تتهم علناً، حتى لو كنت في الواقع تملك تلك الأدلة؛

(١) موقع الشيخ حيدر حب الله [www.hobbollah.com](http://www.hobbollah.com)

لأنك بذلك تروج لثقافة سلبية جداً في الاختلاف، وتسمح لاحقاً لكل من (هَبَّ ودبَّ) أن يتهم بالعمالة والخيانة كل من اختلف معه في الفكر والرأي. فلنبتعد عن هذا النمط ونرجع لحوارٍ أكثر هدوءاً في هذا المجال، ونترك للسلطات القضائية (المستقلة) أن تعمل بعدالة، ووفقاً للأدلة والقرائن. علماً أنّ هناك فرقاً دقيقاً بين توظيف العدو لفعلٍ ما صدر مني، وبين كوني عميلاً له وموظفاً عنده.

أنا لا أنفي التهمة عن أحد، ولا أستبعد أبداً أن يكون هناك فريق مخترقٌ مخبراتياً، لكنني حريص أيضاً على أن لا تُطلق التهم المباشرة وعلناً دون دليل مرفق، حتى لو كان لنا تاريخنا النضالي والجهادي الطويل والمشرف، خاصةً وأن بعض من يُطلق مثل هذه التهم يعمل على رأس الهرم في التقريب بين المذاهب الإسلامية.

الكلمة الثانية: كنت أتمنى من بعض أولئك الذين يدعون اليوم للهدوء واحترام قناعات بعضنا بعضاً أن يقولوها قبل عقدين من الزمن أو أكثر، عندما فتح بعضهم في الساحة أبواب جهنم على علماء يراهم جمهورٌ كبير من المؤمنين رموزاً أو مراجع تقليد. أين كان دعاة الحوار واحترام القناعات المختلفة وترك كل إنسان وتقليده، عندما أعلنت الحرب الرهيبة على العلامة الفقيه السيد محمد حسين فضل الله رحمه الله؟! وكثيرٌ منهم (ومن الشعائريين) كانوا مساهمين في تلك الحرب التي مزّقت الكثير من المجتمعات الشيعية. وبقدر ما كنتم تنافحون عن المذهب، يرى خصومكم اليوم أنّهم بمهاجمة ما يعتبرونه (شعائر مخترعة) ينافحون أيضاً عن المذهب وعن هويّته وجوهره.

كنت متشوقاً أن أسمع صوتهم حينها، وموقفهم من التحريض

ومسلسل الاتهامات والتجديف - قبل ذلك وبعده - ضدّ العلامة السيد مرتضى العسكري رحمه الله (تحدّث مناقشاً حول اللعن في زيارة عاشوراء)، والمفسّر الشيخ الصادقي الطهراني رحمه الله (منهجه القرآني المعروف)، والفقير الأخلاقي الشيخ الاشتهاردى رحمه الله (كلامه حول التشكيك في ما يُعرف برزيّة يوم الخميس)، والفقير الأخلاقي البارز الشيخ عزيز الله خوشوقت رحمه الله (التشكيك في أصل وجود السيدة رقيّة بنت الإمام الحسين، وأنها ابنة شخص آخر كان في كربلاء)، والعلامة الشيخ حسين الراضي - فرّج الله عنه - (مناقشاته في زيارة عاشوراء والغلوّ واللعن وغير ذلك)، وغيرهم إلى يومنا هذا، في قائمةٍ طويلة يبدو أنّها لن تنتهي. وبعض هذه الفتن كان بوجهٍ سياسي فيما بعضها الآخر بوجهٍ ديني.

إذا كان احترام الرأي الآخر مبدأً حقيقيّاً في نفوسنا، فعلينا أن نطلب المسامحة من الله على ما اقترّفه بعضنا تجاه مثل هؤلاء الأشخاص، من تعاملٍ غير أخلاقي معهم، وإلا فعلينا أن نترك هذه اللعبة الآنيّة، لنبحث عن حلول أكثر جذريّة نكون فيها متصالحين مع أنفسنا أكثر، ولا نفعل ما يفعله بعض الإسلاميين - كما يقول العلامة السيد محمّد حسن الأمين - في صعودهم على سلّم الديمقراطية، فإذا بلغوا القمّة رموا بالسلم بعيداً، حتى لا يرتقي غيرهم للسلطة بعد ذلك.

إذا كان بعض الشعائريين اليوم وغيرهم، باتوا ينادون بحريّة الرأي؛ ليحموا أنفسهم من الغضب وأشكال الاحتجاج، فأتمنى عليهم أن ينادوا بحريّة الرأي لمن غضبوا وما يزالون يغضبون هم عليه بقسوةٍ وشدّة، فإذا كان يحقّ لك أن تجتهد في التعبير عن

ولائك وتفتح النار على غيرك لتُخرجه من الدين والمذهب والولاء،  
وتصف كل من يختلف معك في الرأي بأنه جاهلٌ وأمّي ولا يفقه  
شيئاً، متصوّراً أنّك تملك حصانةً من أهل البيت النبويّ في تعاملك  
هذا مع غيرك، فعليك أن تتوقّع - أحياناً ذلك أو لم نحبّ - أن يتعامل  
خصومك معك بهذه الطريقة في لحظة غضبهم، ومن يطرق الباب  
لابدّ أن يسمع الجواب.

دعوتي لنفسي ولغيري: فلنكرّس ثقافة الاجتهاد المفتوح المتنوع،  
ولنحترم ما توصل إليه الآخرون، ولنناقش كل من لا نؤمن بقناعاته  
مناقشةً أخلاقيّة مفتوحة، ولنعمل سويّةً على رفع مستوى الوعي  
العام، ولننتهم كل من يُدان أخلاقياً أو وطنياً بالأدلة الدامغة، ولنعبّر  
عن رفضنا بطرق الاحتجاج الديمقراطي المختلفة دون عدوانيّة  
على أحد، ولدافع عن قناعاتنا بشرف، ولنترك اللعب بالشعارات  
التضليليّة.

وبمحبّة أقول لإخواني فيما يسمّى بخط الانفتاح والتجديد والنقد:  
لا يهمّ - إخواني وأخواتي - أن نتصر في الحرب فقط، المهم أيضاً أن  
نمارسها بشرف وضمير وأخلاقيّة. ضميرنا في الصراع هو رسول الله  
الذي صفح في لحظة قوّته عن طلقاء مكّة، وعلي بن أبي طالب الذي  
سقى عدوّه الذي منعه من الماء، والحسين بن علي الذي سقى الماء  
لمن جمع به في الطريق وكان يسير به تدريجياً نحو الموت.. كلنا  
ذهبون إلى حفرة صغيرة، والفائز فيها من حمل قلباً سليماً وروحاً  
متسامية وأخلاقاً عالية وعملاً صالحاً، وليس من فعّل بخصومه -  
منتقماً - ما فعلوه فيه في لحظة ضعفه، ولا من تجاوز الأخلاق عندما  
صار قوياً، فالأخلاق جهد العاجز عندما نُلقِها جانباً في مرحلة

القوّة، فلا تكررْ خصومك في نفسك وقد انتقدتهم على أساليبهم  
ضدك، خاصّةً أسلوب التسقيط والبهتان وإلقاء الشائعات غير  
المؤكّدة.. فلنوقف انفعالنا النفسي غير المنضبط، ولنطلق مكانه  
ثورتنا العقلية النقديّة القادرة على صنع التغيير، إن شاء الله.

قد لا يُعجب كلامي بعض إخواني الذين يعتبرون ما يحصل  
فرصة ذهبيّة للانقضاض، لكنني أرجو أن أكون قد قلته لله، والله  
وحده.

## عذراً شيخنا الوائلي! (١)

٢٤-١٠-٢٠١٦م

اطَّلَعْتُ مؤخَّراً على مقطع مصوَّر يلعنُ فيه بعضُ الناس علناً العلامةَ الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله في مظاهرة دينية! ويبدو أنَّ جُرمه - إذا كان هذا المقطع المصوَّر صحيحاً - هو موقفه من بعض ما يسمَّى بـ (الشعائر).

ليس عندي كلام كثير، لكنني:

أ. أتخفّظ على أسلوب الشيخ الوائلي الذي استخدمه في معالجة هذا الموضوع، وأختلف معه فيه، فالتوصيفات التي استخدمها لا أجدها موفقةً في معالجة موضوع له حساسيته العاطفية وخصوصيته، ومع أنّني أعذر الشيخ فيما بينه وبين ربّه، كما قد أعذر غيره من المختلفين معه، لكنني كنت أفضل له أن يتجنّب بعض التعابير التي تمّ استخدامها وفقاً للمقاطع الصوتية المنشورة له.

واختلافي مع الشيخ الوائلي في هذه القضية يشابهه اختلافي مع غيره من الرافضين لبعض الطقوس أو المفاهيم، ممّن يستخدمون هذه الطريقة أيضاً عبر بعض القنوات الفضائية أو من على المنابر أو وسائل التواصل الاجتماعي، بتوهين المختلفين معهم في الرأي بطريقة حادة، والأخطر بطريقة شخصية، قد تصل إلى مقربة من التفسيق والتجهيل والتكفير.

ب. أعبر عن الرفض والإدانة للتعامل بهذه الطريقة مع رموز كبار

(١) موقع الشيخ حيدر حب الله [www.hobbollah.com](http://www.hobbollah.com)

خدموا الدين لعقود طويلة وتربّت على أيديهم أجيال من الناس ومن العلماء والخطباء والمنبريين.. وأضّم صوتي لكل الأصوات الطيبة التي طالبت بشجب هذا الأسلوب المخجل، خاصّةً صدور هذا الرفض من طرف المرجعيّات الدينيّة وكبرى المؤسّسات الحوزويّة. نحن - من آحاد الناس - نطالب الجميع بشجب هذه الأساليب، واتخاذ موقفٍ منها، والعمل على منعها قدر الإمكان، والحيلولة دون وقوعها أيضاً، من أيّ فريقٍ صدرت. وقد سبق أن تحدّثتُ عن ميثاق شرف في هذا المجال، لكن يبدو أنّه سيظلّ أمنيّةً ربما نراها في الأحلام!

ج. رغم تكرّر الكثير من مثل هذه الحوادث في العقود الأخيرة، إلّا أنّنا لا نرى بعض المتحمّسين المدافعين عن الحوزات والمرجعيّة والفقاهة والعمامة يُبدي موقفاً - ولو بنحو تأسيس ثقافة رفض عامّة دون انحياز - تجاه هذا النوع من التعاطي داخل الدائرة الإسلاميّة والمذهبيّة، ففي مثل هذه المواضع لا نسمع منهم شيئاً، ولا نرى علامات غضب، وصدّقوني لن تسمعوا منهم شيئاً؛ لأنّهم ليسوا ضدّ الأسلوب، فبعض هؤلاء ينظّرون لمنهاج لعن الناس وسبّها وشتّمها والتعامل بهذه اللغة معها، ويؤسّسون علناً لفكرة أنّ القرآن يشيّد بناء السبّ وثقافة الشتم، لكن أن تشتّمهم أو تسبّبهم أو حتى تنتقد بأسلوبٍ منفعلٍ بعض الشيء في حالة ما هنا أو هناك، فهي الكارثة، هم ليسوا ضدّ هذا الأسلوب، هم فقط ضدّ أن يمارس هذا الأسلوب عليهم.

أقول لهم بكلّ محبّة: أيّها الإخوة الطيّبون، الذين تدينون الله بإهانة رموز الآخرين أو تنظّرون لذلك فتخلقون بيئةً

ثقافية حاضنة لهذا النوع من الإهانات، كتلك التي تعرّض لها الشيخ الوائلي.. أيها الإخوة، مع الأسف الشديد، أخشى أن تكون الأمور قد خرجت من أيديكم، ووصلت ألسنة النار التي أوقدها بعضكم إلى بيوتكم، وصدّقوا هذا الصغير الحقير، سيكون الآتي أعظم بكثير، ما سيأتي لانحبه ولا نرضاه وانتقدناه مراراً وتكراراً، لكنّ الواقع لا يسير برغباتنا، بل يسير بقوانينه. أخشى أن تكونوا قد جهّزتم بأساليبكم هذه طوائف من اللّعانين لكم ولرموزكم، وجيوشاً من السبّيين لكلّ مقدّساتكم، فانظروا وبكلّ أسف، وإنّ غداً لناظره قريب.

صدّقوني، أخشى أنّكم لم تحسنوا لرموزكم عندما أسّستم للتعامل العنفي مع رموز غيركم، فربما أوّل من يجب أن يُدان على إهانة رموزكم هو أنتم، فقد نهانا الله عن سبّ رموز غيرنا حتى نحمي قُدس الله من الإهانة والعدوان، فإذا سببنا تلك الرموز، ثم اعتُدي على قُدس الله، فنحن المعتدون على الله بشكل من الأشكال، ولا أحبّ لنفسي ولا لكم أن تكونوا هكذا. حاولوا أن تجلسوا وتُجروا مراجعة لأساليبكم وتكون لكم قراءة مستقبلية للأوضاع، تُرشدكم إلى أنّ بعض أساليبكم قد ترجع عليكم بالخسارة في العصر الراهن، بل قد بدأ ذلك بالفعل، ولعلّ هذه المراجعة تساهم في إنتاج واقعيّ لقواعد جديدة من الاختلاف فيما بين المؤمنين إن شاء الله.

د. أَدْعُو إِلَى لُجْنَةِ حُكْمَاءٍ تَفْضُّ الْأَشْتَبَاكَاتِ فِي الْمَنَاطِقِ، وَتَنْفَسُ الْأَحْتِقَانَاتِ، وَتَتَوَصَّلُ إِلَى صَيْغِ تَحْفِظِ حَقُوقِ الْجَمِيعِ وَتُرَاعِي فِي الْوَقْتِ عَيْنَهُ مَشَاعِرَ الْجَمِيعِ، دُونَ مَبَالِغَةِ فِي الْحَسَاسِيَةِ مِنْ



أبي فريق، حتى لا يصبح النقد العلمي الهادئ موصوفاً بصفة الإهانة والعدوان على المشاعر، كما يريد بعض الناس؛ لأنه لم يعتد على نقد الكبار! وأدعو أيضاً إلى لجنة حكماء على مستوى الأمة، لوضع رؤية في هذا الإطار، تمنع استغلال الدين في تشييد وترويج ونشر هذا النوع من التعامل فيما بيننا، فالمرحلة حساسة جداً، وحال أمتنا ليس بالشكل الذي يسمح لها أن تصرف جهداً من طاقاتها بهذه الأمور.

إذا أردت أن تدمر أمةً وحضارة، فهشّم في نفوس أبنائها كلّ القدوات ومزق كلّ الرموز والكبار، أو حولهم إلى أصنام تصادر العقول وتُعبّد من دون الله، فستصل إلى مبتغاك على الخطّين معاً.

### توضيح (١):

فهم بعض الإخوة أنني أعتذر من الشيخ الوائلي لأنني أريد أن أنتقده والصحيح أنني أعتذر منه على ما يتعرض له من إهانة، وحقه في رقتنا فاعتذر منه على صنيع بعضهم به، ونسأل الله أن يعيننا على أداء حق أمثاله على هذه الأمة وعلينا جميعاً رحمه الله وأعلى مقامه.

### توضيح (٢):

يبدو أن بعض الأجابة فهم كلامي أعلاه بطريقة غير صحيحة، لهذا كان لابدي من هذا التوضيح الثاني:

١. إنني في المقطع الأوّل أبديت ملاحظتي المتواضعة على طريقة ساحة الشيخ الوائلي رحمه الله في تعاطيه مع الموضوع على مستوى بعض التعبيرات التي استخدمها، انطلاقاً من قناعاتي الشخصية في إدارة القضية، مع احترامي الكامل لسماحته.

٢. إنَّ الفقرة (ب) التي انتقدت فيها ما أسميته الأسلوب المخجل، كنت أعني بها الأسلوب الذي مارسه هؤلاء المتظاهرون ضد الشيخ الوائلي رحمه الله، وطالبت بشجب هذا الأسلوب غير المناسب في التعامل مع سماحته، وطالبت هناك أيضاً بضرورة أن تتصدى المرجعيات والحوزات لإدانة مثل هذا العمل الذي يتعرض بالإساءة لرمز كبير وهو الشيخ الوائلي الذي ربي الخطباء والمنبريين والأجيال.

٣. في الفقرة (ج) تعرّضت لأولئك الذين لطالما وجدناهم يهبون للدفاع عن المرجعيات والحوزات عندما تتعرّض لسوء، لكننا لم نجدهم هنا عندما تعرض الشيخ الوائلي لمثل هذا التصرف المشين، لم نجدهم يبعدون رأياً، ولهذا قلت بأن هؤلاء المدافعين عن المرجعيات والحوزات مطالبون بالدفاع هنا عن مثل عمامة الشيخ الوائلي التي هي رمز حوزوي كبير.

ومن هنا تعرضت بالنقد لهم حتى نهاية منشوري، وكيف أنهم هم الذين يروّجون للسب والشتم ضد غيرهم من أمثال الشيخ الوائلي والسيد فضل الله.. لكنهم ينتفضون لو أن أحداً أراد أن يثار للشيخ الوائلي وغيره فيهاجم رموزهم وبعض مرجعيّاتهم بنفس أسلوبهم.

٤. يفهم بعض الإخوة من كلامي دوماً أنني عندما أتعرض لمثل هؤلاء المختلفين معنا في الرأي من الشعائريين والمذهبيين أنني أقصد تياراً خاصاً معروفاً في الساحة، والحقيقة أنني لا أقصد ذلك أبداً بل أقصد كلّ هذا الفريق المتشدّد الذي قد ينتمي بعض أفراده لهذا التيار أو ذاك.. فاقتضى التوضيح وشكراً لكم.

## ثانياً: اقتباسات<sup>(١)</sup>

علينا حينما نريد استخراج صورة عن التجربة الحسينية أن لا نقوم باجتزاء النصوص والاقتصار على بعضها وترك سائر النصوص الأساسية التي وردت في المصادر الرئيسة.<sup>(٢)</sup>



أعتقد أننا بحاجة إلى دراسة أكثر موضوعية في قراءة التاريخ، وأن لا نجعل قراءته وقراءة المصادر الدينية وسيلة لدخول أي صراع سياسي بالمعنى العام لهذا الوصف؛ لإسقاط جماعة أو تصفية حساب مع جماعة أخرى؛ فإن هذه القيم الدينية والقيم التاريخية الدينية أيضاً من الأفضل أن نجعلها أعلى وأسمى من تلك الصراعات السياسية الجزئية في بعضها على الأقل، والتي ربما نسعى من حيث لا نشعر كي نميِّع تلك القيم في داخل تلك الصراعات الجزئية.<sup>(٣)</sup>



ليس من الضروري تفسير انطلاق كل من يقدم أو يكون حسينياً على أنه حماس شبابي أو تهوّر غير عقلاني، ولا واقعي، كما أنه ليس من السليم تفسير رؤية كل من يتخذ موقفاً حسنياً على أنه عميل أو متخاذل أو جبان أو .. بل يفترض أن تدرس الأمور بنمط عقلاني وعلمي وهادئ، بعيداً عن الاتهامات المتبادلة للوصول إلى أكبر قدر

(١) هذه الاقتباسات من نصوص نشرت في هذا الكتاب بجزأيه، وبعضها من مصادر أخرى، وقد تم ذكر المصدر في الهامش لمن شاء الرجوع إلى سياق النص.

(٢) عاشورائيات ج ١، مقالة: حركة الإمام الحسين ثورة أم صلح؟

(٣) نفس المصدر.

ممكن من التفاهم والتفهّم.<sup>(١)</sup>

تتنوّع جهات الإصلاح اللازمة في الشعائر الحسينية وأمثالها، ويقف على رأسها ضرورة تصفية نصوص السيرة الحسينية التاريخية من الأكاذيب والأساطير التي اختلقت عبر الزمن، ولم يكن لها من وجود في مصادر الحديث ولا التاريخ ولا التراث، وإنما صنعتها العقلية الشعبية أو ما بحكمها، إنّ هذه الضرورة ضرورة علمية ومعرفية، كما أنّها ضرورة توعوية وتربوية في الوقت عينه.<sup>(٢)</sup>



لا يعني ذلك أبداً تنحية كل نصّ تاريخي لا تستسيغه عقولنا العادية أو تجده خلاف المألوف، وإنما تنحية ما تقوم الشواهد التاريخية أو العقلية أو الشرعية أو .. على نفيه، وفق منهج ينبغي تحديده على أسس علمية وضوابط منطقية، تخضع لنظريات مدروسة ومبرهن عليها في قراءة التاريخ، لا لأيديولوجيات مسقطه تهدف التزييف أو..<sup>(٣)</sup>



ليس فقط ينبغي تنحية الأكاذيب والمعلوم عدم صدوره ولا وقوعه ولو بالعلم العادي الاطمئنان، بل من الضروري تشييد السيرة الحسينية وفق أسس النقد التاريخي والحديثي أيضاً، فالذي لم يثبت - ولو لم يكن عدّمه ثابتاً - ينبغي تخفيف حضوره على الأقل،

(١) نفس المصدر، مقالة: الشعائر الحسينية بين النمذجة والإصلاح.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

كما أنّ الذي يقع مرجوحاً من الناحية التاريخية ينبغي تقديم الطرف  
الراجح المقابل له عليه. (١)

ينبغي التعامل مع وقائع الثورة الحسينية والنصوص التاريخية  
الواصلة إلينا عنها، تبعاً لدرجة صحتها، فالمؤكد صحته ينبغي  
الترويج له والإصرار عليه وإشاعته، وأما غيره فينبغي أن يكون  
حضوره على تبع قيمته العلمية والتاريخية، ولا ينظر فقط إلى رغبة  
الرأي العام الذي نطالب نحن - من نعت أنفسنا بالعلماء - أن  
نوجهه ونصوّبه لا أن يكون هو المسير دائماً لحركتنا وأدائنا. (٢)



إن الشعوب في حال إنتاج دائم للمعتقدات الشعبية الممزوجة  
بالخرافة، كما تؤكد ذلك أيضاً تواريخ الأديان كافة، وعلماء الدين  
ومفكرو المسلمين والمصلحون الاجتماعيون يمثلون بالدرجة الأولى  
مصفاةً تنقي هذه المنتجات الملوثة بالخرافة أو الوهم، فإذا تعطلت  
هذه المصفاة تلوث المناخ كلّه، وصار من العسير ديمومة الحياة في  
ظله. (٣)



من عناصر الإصلاح الضرورية الأخرى، إصلاح المظاهر العامة،  
وإعادة النظر فيها وفق الموازين الشرعية والعقلية والإنسانية، ثمة  
مظاهر يجب نقدها لتقديم صورة أكثر جمالية وتأثيراً في القلوب عن  
الثورة الحسينية... ولا نريد بذلك التنازل عن عقائدنا وشعائرنا  
لأجل الآخر أو خوفاً من تشويهه وتشهيره، فهذا ما لا يرضاه الله

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

لنا، وإنما نقصد ملاحظة قانون التزاحم بين المصالح والمفاسد، سيما وأن هذه المظاهر على أقصى تقدير مستحبة بعنوانها الأولي لا واجبة، فلا ينبغي التورط في الحرام لأجل تحقيق مستحب.<sup>(١)</sup>

لسنا نطالب بقمع هذه المظاهر بالقوة أو مواجهتها بالعنف والقسوة، فهذا ما لا نجد عظيم جدوى من ورائه، إنما المطلوب نشر الوعي، ورفع مستواه بين العامة من الناس، بل بين بعض رجال الدين أيضاً، بطريق مباشر أو غير مباشر، لا بإثارة العامة أو تهيجهم.<sup>(٢)</sup>



من أبرز مظاهر الإصلاح تطوير آليات عرض الثورة الحسينية، فليست المجالس العزائية المتداولة هي السبيل الوحيد لنشر ثقافة الثورة، بل قد استجدت طرق يمكن إضافتها إلى ما كان، فإدخال الثورة الحسينية إلى دور السينما، وإلى التلفزيون والفضائيات والكمبيوتر، وللأطفال والشبان، قصةً وروايةً وحكايةً و.. كلّها وسائل جديدة يمكن توفيرها لخدمة الأهداف الحسينية الكبرى.<sup>(٣)</sup>



إن تنظيم المسيرات والمجالس العزائية، واتسامها بالترتيب والتنظيم والأناقة والتناسق والجمال و.. وإخضاعها لتجويد وتحسين مستمرين، كلّها عناصر مساعدة على رفع مستوى إحياء الشعائر،

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

لتكون منبراً إعلامياً للإسلام يعرض الفكر والمفهوم كما يُبدي  
العاطفة والإحساس، بدل أن تستغلّ للتشويه والتزييف.<sup>(١)</sup>



إنَّ صور الإحياء وأشكاله أمرٌ بشريّ لا يخضع لنصّ إلهي أو  
حكم ديني، وإنّما يتبع الأوضاع الاجتماعية والثقافية في المجتمعات  
المختلفة، شريطة أن يبقى محافظاً على القواعد والأخلاقيات والأسس  
الدينية العامة، وهذا ما يسمح لأشكال إحياء الشعائر بفرص كبيرة  
من التطوير والتجويد، تبعاً لحاجات العصر وضرورات المرحلة،  
دون أن يكون هذا التطوير - بالضرورة - خوفاً من طرفٍ أو حياءً  
من آخر، وإنّما رغبة عقلانية صادقة في إرفاد نظم مشاركاتنا الشعبية  
بالمزيد من التناسق المنسجم مع التطوّرات التي تلفّ المجتمع  
برمته.<sup>(٢)</sup>



إنّنا نعتقد - كما صرّح به بعض علماء الإمامية أيضاً، مثل المرجع  
الكبير السيد البروجردي رحمه الله - بضرورة التخلّي عن هذه المظاهر  
المثيرة والموجبة لسوء ظنّ الآخرين بالشيعة والتشيع، لاسيما وأنّه لا  
دليل من النصوص الدينية الثابتة يفرضها، وإنّما هي عادات وتقاليد  
تقريباً.<sup>(٣)</sup>

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر، مقالة: الشعائر والطقوس والمناسبات الدينية.

قناعتنا هي أن كلّ مظهر اجتماعي أو سلوكي أو شعائري يفرض التباس الأمور في ذهن سائر المسلمين أو سوء ظنّهم واتهامهم للشيعّة والتشيعّ.. يجب التخلّي عنه ما لم يكن ثابتاً بنصّ صحيح معتبر وفقاً لقواعد الصناعة الاجتهادية الفقهيّة والحديثيّة المعتمدة في علوم الشريعة، فرحم الله امرأً ذبّ التهمة عن نفسه.<sup>(١)</sup>



التشيعّ تاريخ من العمل والعطاء والجهاد والمعرفة ومحبة النبي وأهل بيته والدفاع عن الإسلام وأهله، والتشيعّ هو الذي خرّج العباقرة والعلماء والنهضويّين والمفكرين لاسيما في العصر الحديث، وواجه الإلحاد والتغريب، وناضل وقدم الشهداء في مواجهة أعداء الأُمّة لاسيما العدو الصهيوني الغاشم، وأصدر علماءؤه في العراق الفتاوى لدعم الدولة العثمانية تجاه خصومها من غير المسلمين و... فلا يصحّ أن أنسى كلّ هذا الوجه، ثم أسلّط الضوء فقط على بعض الشعائر التي يقوم بها بعض الشيعة وليس كلّهم، وأختزل مذهباً كبيراً عريقاً برمّته فيها، لكي أحكم عليه بموقفٍ سلبيّ هنا أو هناك.<sup>(٢)</sup>



لا يحسن ببعضنا أيضاً أن يتعاطى مع ثبوت هذه الروايات وأمثالها بمنطق الأمور الواضحة المسلّمة القطعية التي يُتهم من يناقش فيها دينه ومذهبه وعقيدته وأخلاقه، فليتنق الطرفان الله تعالى فيما يصدر منهما، وليقبلا بتعدّد الآراء في المسألة، وليتريثا قبل نسبة شيء للنبي

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.



وأهل بيته وأصحابه أو نفيه عنهم؛ لأننا سنحاسب أمام الله تعالى جميعاً ونسأل عمّا قلنا وفعلنا، وكما سوف نسأل عن نسبة كلام للمعصوم، كذا سنسأل عن نفيه عنه والعكس كذلك.<sup>(١)</sup>



لنقرّ بالتعدّد، وليعمل كلّ شخص منّا على المنهج العلمي الذي اختاره، لا أن نعتمد في مثل هذه المواضيع منهجاً ركيكاً قائماً على الرغبة في التوثيق أو التضعيف، وفي سائر الموضوعات نعود إلى منهجنا المتين الذي نتبناه في بحوثنا الفقهية وغيرها!!<sup>(٢)</sup>



لا داعي للإصرار على إبطال بعض الأمور الحسنة في حدّ نفسها وكأنّه يراد تهديم الشعائر والأعراف، وأرى استبدال ذلك بتوضيح حيثياتها الشرعيّة للناس، ليعرفوا أنّ القصد يكون للعنوان العام لا للخاص، إلى جانب كفّ الطرف الآخر عن اتهام من يريد أن يناقش في هذه الأمور بطريقة علميّة والتشكيك في تديّنه وعقيدته.<sup>(٣)</sup>



حبذا لو نفكّر جميعاً في كيفية وضع برامج نهضويّة واعية توعوية وتبليغيّة، لتحويل زيارات الإمام الحسين عليه السلام - وغيرها - إلى مؤتمر إسلامي شعبي واسع لكلّ المؤمنين الحاجّين إليه من أرجاء

(١) راجع القسم الأول من هذا الكتاب ، السؤال: ماقيمة سند زيارة عاشوراء وفقاً لنظريات السيد الخوئي؟؟

(٢) نفس المصدر.

(٣) القسم الأول ، زيارة الإمام الحسين في الأربعين.

المعمورة، فتزدان الطرقات المكتظة بالزوار بمحافل الأدب والشعر والنثر الحسيني والثوري، وبالبرامج الدينية والاجتماعية، وبحلقات التوعية الثقافية، وبجلسات العبادة والروحانية، وبلقاء المرجعيات والشخصيات الكبيرة مع الناس والجمهير، تستمع همومها وقضاياها وتتواصل معها وتعظها وتوجهها، كما كانت عادة أئمة أهل البيت في كل عام في الحج والعمرة ..<sup>(١)</sup>



إننا بحاجة إلى المزيد من ترشيد مناسباتنا الدينية وتأمين أفضل توظيف نافع لها لقضايانا الاجتماعية والسياسية والأخلاقية اليوم، والحيلولة دون تحوّلها إلى مجرد عادات لا تحوي مضمونها أو طقوس وبروتوكولات نمّر عليها مرور الكرام، فيصير حالنا - والعياذ بالله - كحال الصائم الذي وصفه الحديث النبوي الشريف بقوله: «ربّ صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش».<sup>(٢)</sup>



ليس كلّما جاءنا شخص بشيء أخذنا به ومشينا في طريقنا، بل مقتضى التحذّر من البدع والخرافات، ومقتضى حماية الدين هو الوعي والسؤال والتبّث والمناقشة الموضوعية للتأكد من نسبة شيء إلى الدين، فمن هنا علينا في هذه الحالات أن نطالب بالتوثيق، وأن نسأل ونهتم كلّما كان في المضمون ما يريب أو يُثير، فهذا الحسّ الاستشعاري ضروريّ لحماية تديّننا من الخرافات والخزعات

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

والمؤامرات والمنامات المختلقة والأقاصيص المبتكرة المكذوبة، همانا  
الله جميعاً من الضلالة والزيغ.<sup>(١)</sup>



من حقّ المؤمن عليّ أن لا أهينه أو أجرح مشاعره أو أسخّفه أو  
أعرض لمقدّساته بطريقة غير أخلاقيّة، لكن ليس من حقّه عليّ  
أن لا أنتقده إذا لم يكن في النقد إهانة وإنّما فيه انزعاج منه بحيث  
هو يعاني من مشكلة عدم تقبّل النقد ولو الأخلاقي. وهذا يعني  
أنّ منعه إيّاي من النقد بحجّة أنّه بات ينزعج منه أو يستفزّه لن  
يؤدّي إلا إلى سلب حقّي في النقد والتعبير، وسلب حقّي في ما أراه  
أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وإرشاداً للآخرين إلى ما أعتقده بيّني  
وبين ربّي صلاحاً، وليس من حقّه عليّ ذلك حتى أتنازل عن حقّي  
في النقد والإصلاح الواجبين عليّ في الأصل، وهذه مسألة مهمّة  
جدّاً.<sup>(٢)</sup>



إنّ النقد حقٌّ شرط أن يكون أخلاقياً من حيث النوع، بحيث لو  
عرضناه على محايدي لما أبدى فيه ممانعةً أخلاقيّة، ولا ينبغي أن نسمح  
للآخرين بسلبنا هذا الحقّ، وإلا فقد يقول الطرف الآخر الناقد بأنّه  
أيضاً بات ينزعج من هذه المقولات التي يذكرونها على المنابر، فهل  
يحقّ لنا أن نمنعهم ونسلب حقّهم بحجّة أنّ الطرف الآخر الناقد  
أيضاً بات يستفزّ وينزعج ويتدمّر من طرح هذه الأمور من على

(١) القسم الثاني، رسائل مثيرة بأعمال دينية خاصّة عبر وسائل التواصل الاجتماعي .

(٢) القسم الثالث، عاشوراء والجدل المتكرّر كلّ عام، ما هو الموقف من هذا الجدل؟

المنابر أو شاشات التلفزة؟ كلا، ليس من حق الطرف الناقد هذا أيضاً.<sup>(١)</sup>



إنّ نقد المنبر وبعض المظاهر الشعائريّة ليس إهانةً لهما، ولا هتكاً للحرّمات، عندما يكون نابعاً من الحرص ومتحلّياً بدرجةٍ عالية من المهنية والأخلاقية، ولا يحقّ لرجال المنبر الحسيني الذين شرفهم الله بهذا المنصب أن يعتبروا نقدهم نقداً للحسين عليه السلام، فلنكفّ عن إسقاط المقدّس على ذواتنا.<sup>(٢)</sup>



إنّني أدعو الناقلين هنا لتقديم بدائل فمن يتمكّن - بحسب إمكاناته المادية والمعنوية - من تأسيس معاهد لإعداد الخطباء وتأهيلهم بالطريقة التي يراها صحيحةً، عليه أن لا يكتفي بالنقد ويعيش عقده أو شهوته، بل يعمل على تأهيل الخطباء، وقبل ذلك لا بدّ من إعداد الموادّ العلميّة والعملية عبر مركز دراسات حسيني حقيقي، يعالج كلّ القضايا الحسينية في التاريخ والشعائر والمسلّكيات بطريقة بحثية جادة، مستمعاً لكلّ الاتجاهات والمقولات على اختلافها وتناقضها.<sup>(٣)</sup>

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

لا يمنع من أن تتنوّع المواقف أحياناً، حسب طبيعة الظروف، فتغدو حسنيةً بعد أن كانت حسينية، أو تتحوّل إلى حسينية بعد أن كانت حسنية، والقصد من ذلك أن لا يتحوّل المذهب الإمامي إلى مذهب زيدي لا يرى شرعيةً إلا للخروج بالسيف، ولا يرى إماماً إلا فاطمياً نهض بسيفه لمواجهة الظلم. ربما لا يكون الأمر كذلك في العقيدة أو الفكر، لكنه قد يغدو كذلك في العقل الجمعي والذهن الجماعي، فتتعدّم في ذاكرة الجماعة تنوّعات الأداء، ويغدو أداء واحد حصراً يمثل شريعة الله ورسوله، بل يتفاقم الأمر إلى حدّ اتهام الناس بتهم قاسية والتجريح بهم، وهم أصحاب رؤى مختلفة.<sup>(١)</sup>



لا أجد تنافياً بين البعد المذهبي والإسلامي والإنساني في الموضوع الحسيني والشعائري، فالموضوع له أبعاد متعدّدة، ولا يصحّ نحر البعد المذهبي المتجلّي في قضية الإمامة لصالح أبعاد آخر، وهناك فرق بين الدعوة لاستحضار البعد الإسلامي والإنساني العام في قضية الثورة الحسينية وشعائرها، وبين استبدال البعد المذهبي بهذين البعدين. أعتقد أنّ الأول هو الصحيح، فنحن اليوم أمام صراع حضارات، ومن يريد أن يدّعي أنّه حضارة وأنّه بديل عن الغرب والشرق، عليه أن يقدم خطاباً ورؤيةً قادرين على عبور القارات.<sup>(٢)</sup>

(١) عاشورائيات ج ١، مقالة: الشعائر الحسينية بين النمذجة والإصلاح.

(٢) القسم الثالث، عاشوراء والجدل المتكرّر كلّ عام، ما هو الموقف من هذا الجدل؟

كيف يجوز لي أن أصنع وعي الناس الثقافي والتاريخي بنصوصٍ مهالكة المصادر وتالفة الأسانيد وما لذلك من تأثير كبير على الفكر الديني، فيما لا يجوز لي أن أثبت كيفية الاستنجاء أو الدخول إلى الحمام إلا بنصّ موثوق وإلا كنت متقولاً على الله؟! يبدو لي هذا شكلاً من أشكال التشطّي المنهجي.<sup>(١)</sup>



إنّ الثورة الحسينية هنا تعيد تظهير المشهد بصورة مختلفة، فقد كان من المتوقع أن تنهار تلك المرأة (زينب) وكلّ من معها من نسوة وبنات، لكنّ الأمور وقعت بطريقة مختلفة تماماً، هذا يعني المرأة في عصرنا إذا أرادت أن تمثل الدور الزينبي فعليها في لحظات الشدّة التي تمرّ بها أمتنا اليوم أن تستنفر طاقاتها في رباطة جأش ليكون لها دورها في الفعل والتأثير، لا أن نطالبها بالسكوت والخضوع والجلوس في البيت لا دور لها في الوقوف بوجه الظلم والعدوان والاحتلال والاعتصاب للأرض والعرض والوطن والقيم والمفاهيم.<sup>(٢)</sup>



إنّ ثورة الحسين ﷺ تعلّمنا أنّ النتائج قد لا تكون في حياتك، بل قد تكون بعد رحيلك. إنّها تعلمنا أحياناً أنّ رحيلنا مقدّمة لتغيير الأوضاع، وأنّ ثورةً وقعت في ٦١ هـ آتت ثمارها بعد عقود وما تزال.<sup>(٣)</sup>

(١) نفس المصدر.

(٢) القسم الثالث، بين يدي عاشوراء، ماذا علينا أن نفعل؟ وكيف نستفيد منها؟

(٣) نفس المصدر.

إنّ شجاعة الحسين وأصحابه وأهل بيته (سلام الله عليهم) تكمن في وجود إرادة وسط إحباط عام في الأمة، هذا موضوع جاد، الحديث عن خلق إرادة وسط مناخ إحباط وخمول وتكاسل عام شيء مهم للنهوض، وشيء ليس بسهولة أبداً، وهذا هو ما يقوم به المصلحون عبر التاريخ.<sup>(١)</sup>



كم نحن بحاجة اليوم لما بات يسمّى بـ «إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين»، حيث بتنا نشهد تديناً عدوانياً صدامياً لا يعرف الرحمة ولا الشفقة ولا المودة ولا الرقّة، حريّ بنا أن نستخرج إنسانيّات الثورة الحسينية لنضياء عليها مقدّمة لإحياء النزعة الإنسانية في حياتنا.<sup>(٢)</sup>



أشير في نهاية الكلام إلى نعمة الاجتماع والتواصل في عاشوراء، فهذه الحشود العظيمة التي تتلاقى كلّ يوم في المجالس والمراقد والحسينيات وفي كلّ مكان، هي بنفسها مظهر تواصل اجتماعي، كيف أستثمره؟ كيف يمكن لأهل البصيرة أن يستثمروا كلّ هذا الحشد الهائل للناس وكلّ هذا الاستعداد للسمع؟ من الصعب أن تجمع كلّ هذا العدد ليستمع في أيام معدودة، فكيف يمكنني أن أستفيد من هذا الاجتماع البشري مترامي الأطراف؟<sup>(٣)</sup>

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

إنَّ عاشوراءَ فرصةٌ لإيصالِ الرسائلِ، فلو يكونُ هناكُ مجلسٌ عالميٌّ أو وطنيٌّ للخطباءِ الحسينيينِ أو غيرهمِ ممَّن لهم نشاطٌ في هذه الأيامِ، وتكونُ هناكُ خططٌ استراتيجيةٌ لتحديدِ الموضوعاتِ والأولوياتِ العامَّةِ والمناطقيةِ لتداولها، فستكونُ لدينا قدرةٌ تأثيرٍ كبيرةٌ جداً، لأنَّ طاقةَ الاستماعِ عندِ الناسِ مضاعفةٌ في هذه الأيامِ.<sup>(١)</sup>



ما صارَ رائعاً اليومَ من أنَّه كلُّما كانَ الحديثُ عن أهلِ البيتِ عليهم السلام وفضائلهمِ فلا حاجةَ معه لدليلٍ، بل يكفي منامٌ هنا أو قصَّةٌ هناكُ أو حديثٌ ضعيفٌ هنا أو اطمئنانٌ قلبي غير معقلن هناك، فهذا شيءٌ خطرٌ للغاية على سلامةِ البناءِ العقائدي في الدينِ والمذهبِ، فعلينا أن نحتكمِ دوماً في كلِّ الأمورِ للدليلِ من عقلٍ أو نقلٍ.<sup>(٢)</sup>



ليس لأنَّك تريدُ خدمةَ أهلِ البيتِ أو الصحابةِ فهذا مبررٌ لك للكذبِ أو للتلفيقِ أو لغضِّ الطرفِ عن المنطقِ والعقلِ والبرهانِ والدليلِ أو للتلاعبِ بعواطفِ الناسِ، فهذه مفاتيحٌ يمكنُ أن تؤدِّيَ بعدَ عدَّةِ عقودٍ من الزمانِ - لو استشرت - إلى الإطاحةِ بالمنظومةِ العقلانيةِ لعقائدِ الإماميةِ أو للعقائدِ الإسلاميةِ.<sup>(٣)</sup>

(١) نفس المصدر.

(٢) إضاءات ٣: ٩٣.

(٣) نفس المصدر.



على كلِّ مؤمن غيور أن يدافع عن المنهج المنطقي والاستدلالي في مختلف علوم الدين من الكلام وحتى الحديث والتاريخ، ويرفض أيَّ محاولة - من مؤمن جاءت أم من ملحد - تريد إثبات شيء في الدين أو نفي شيء آخر منه بمنهج غير علمية. (١)



بالنسبة لي أرى أن ثقافة أهل البيت عليهم السلام - تقضي من خلال مراجعة نصوصهم - بتميز ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام عن سائر المناسبات الحزينة، بما فيها ذكرى وفاة الرسول الأكرم (صلوات الله عليه وعلى آله)، وهذا ما أفهمه من مجمل نصوصهم - عدداً ونوعاً - في أنهم كانوا يريدون لذكرى الإمام الحسين أن تكون متميزة، مع الاحتفاظ لسائر المناسبات بحقها الطبيعي، ولهذا أعارض - بحسب فهمي القاصر - جعل أيِّ ذكرى حزينه أخرى مثل ذكرى الحسين عليه السلام، فإن هذا يخالف روح النصوص الكثيرة التي استحضرت قضية الحسين دون أن تستحضر غيرها بالطريقة عينها، بما يفهم منه أنه يراد لقضية الحسين أن تكون لها خصوصيتها، ومن الضروري أن نحفظ لها خصوصيتها (٢)



إننا ندعو إلى إحياء شامل لتاريخ الإسلام والإمامة، شرط أن لا يعطل حياة الناس، ليس لأن حياة الناس أهم منه والعياذ بالله، بل لأن إحياء مناسباتهم وُضع لتقديم حياة الإنسان في الدنيا والآخرة،

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر، ص ٨٧.

فإنه يدفع الشيعة لكي يتقدموا في مجتمعاتهم اقتصادياً وثقافياً وفكرياً وعلمياً وجامعياً وسياسياً واجتماعياً ودينيّاً، بدل أن نفتح مجال العطل ونؤسس لثقافة العطل الكثيرة التي حاربها غير واحد من علمائنا.<sup>(١)</sup>



المطلوب اليوم عموماً، وفي النطاق التاريخي خصوصاً، خطاب علمي منفتح يثبت أمراً دون أن يُشبع إثباتاته بجزم تعسفي أو يسد الباب على إثارة احتمالات أو تصوّرات متعدّدة، وعبر هذه الطريقة يمكن تخفيف ردّات الفعل السلبية إلى حدّ ما.<sup>(٢)</sup>



هناك حاجة لنشر ثقافة الجهاد الصحيح المتوازن في الأمة، الذي يقدر حساب الأمور دوماً، ويزن المصالح والمفاسد بوعي، فلا يتهوّر في اندفاعه، ولا يجبن في انكفائه، وبهذا تتمكّن الأمة من النهوض — بمختلف الأشكال — للدفاع عن نفسها من ظلم وجور الجائرين الفاسدين، بحولٍ من الله سبحانه.<sup>(٣)</sup>

لقد جرت أحياناً كثيرة قراءة الحدث التاريخي من زاوية محدودة، غلب عليها السجّال المذهبي، فعلى سبيل المثال، سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، جرت قراءتها بطريقة مجتزئة في بعض الأحيان هدفت

(١) نفس المصدر، ص ٨٩.

(٢) مسألة المنهج في الفكر الديني، ص ٣٦١.

(٣) من مقالة: فقه الجهاد في الإسلام، حاجات التجديد وضرورات المنهجية، العدد الثالث من مجلة الاجتهاد والتجديد، صيف ٢٠٠٦م.

-فقط وفقط- إلى إبراز الجوانب الشخصية، ودراسة الإمام ﷺ بوصفه ظاهرةً مستقلةً عن المحيط، وقد أدّى هذا التغييب لوقائع تاريخية محيطة، وكذلك التغييب لبعض المصادر التاريخية تحت مسوّغات هي في العمق مذهبية.. أدى إلى صور منقوصة غلب عليها طابع الإسقاط.<sup>(١)</sup>



المطلوب قراءة شمولية للتاريخ - كما التراث كله - من جهة، ومعالجات محايدة من جهة أخرى، لم يعد يجذب ذاك المؤرّخ الذي يرسم تأريخه على صفحات كتابه الأولى، ليرى القارئ أنه حدّد مسار تأريخه أو دراسته سلفاً، الأمر الذي بات يفقد العقلية الجديدة ثقتها بالتأريج.<sup>(٢)</sup>



وانطلاقاً من هذه الأسباب وغيرها، يجدر بنا تفهّم ظاهرة الشك المعاصرة، والتعامل معها بروح أبوية، كما واعترافاً بما تقدّم، يتم الميل أكثر فأكثر إلى الإقرار بضرورة إعادة قراءة التاريخ الإسلامي، لكن مع حذر هذه المرّة من الانطلاق من عُقد أو تصفية حساب.<sup>(٣)</sup> إن موجة الإطاحة بالتاريخيات الدينية، تحت ستار التجديد والقراءة الجديدة، وبطريقة تعسفية أحياناً، لا تصلح الأمور بقدر ما تزيد في تعقيدها، من هنا؛ كان المطلوب إحلال الاستقرار النفسي

(١) مسألة المنهج في الفكر الديني، ص ٣٦٣.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٦٤.

(٣) نفس المصدر.

للباحثين، وإزالة أسباب التوتّر المضرّ بموضوعية البحث التاريخي، مع الإقرار بأن حالة كهذه، على رفضها من الزاوية المنهجية والقيمية معاً، مترقبة من الزاوية السييسولوجية بشكل لا يجدر بنا استغرابه واستهجانَه. <sup>(١)</sup>



إن القارئ للتاريخ اليوم يفترض تحليه بمنهج واضح ومحدد، أما ما نجده أحيانا من تبعية بعض المؤرخين المعاصرين للنتيجة المقررة عنده سلفاً وضرورة المنهج خادماً للنتيجة دون العكس، فهم ينم -في أكثر الأحيان- عن عدم وجود منهج أساساً، وهذه نقطة بالغة الحساسية، وكثيرة الحضور في الأوساط التاريخية المذهبية، فلا يكاد نص تاريخي يحضر لصالح الطرف الآخر، إلا ويصار إلى التشكيك فيه، كما لا يكاد نص آخر يطرق الأسماع مؤيداً للتوجهات المذهبية إلا ويجري قبوله والترحاب به. <sup>(٢)</sup>



إن البحث الذي يستهدف الحقيقة يرجّح أن يكون هادئاً؛ لأن الصخب قد يعيق تصاعد التفكير وبشكل منتظم ومنهج، فكلما كان التفكير هادئاً كلما استطاع أن يحيط بجوانب الموضوع، وكلما كان أقدر على قطع منافذ التوتّر والإرباك، فالتفكير ممارسة كباقي ممارسات الإنسان التي يطالها الفشل والشلل والخلل عند ارتباك صاحبها أو توتّره. <sup>(٣)</sup>

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

البحث العلمي داخل الدائرة الإسلامية من المطلوب أن تحكمه حالة الهدوء والتفاهم والاستقرار، انطلاقاً من القاعدة القرآنية القاضية: ((رَحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ)) (الفتح: ٢٩)، هذه القاعدة — حسبما يفهم من النص القرآني — لا يخرج عنها سوى في حالة الصراع السياسي المتمثل في مفهوم البغي الذي يستدعي إثارة الهيجان في الدائرة الإسلامية ككل، وقد يعثر في النصوص على أمور أخرى، كحالات البدعة أو ما شابه ذلك، مما يتوقف عليه أحياناً حفظ الدين، وإلا فالأصل في علاقة المسلم بالمسلم هو علاقة الرحمة، وهي علاقة تجعل من أي نشاط فكري داخل هذه الدائرة نشاطاً هادئاً مستقراً.<sup>(١)</sup>



الحدث الزينبي وما حاطه من وقائع نسويّة هو بالتأكيد رسالة ضمنيّة للنصف الآخر من المجتمع أن بإمكانك أن يكون لك دور في اللحظات الحرجة على الأقلّ، فعندما أقدم في المشهد التاريخي دور المرأة في لحظات الانهيار بشكل معاكس تماماً للنواح والعويل، ليبدو وكأنّه عصامية غير عادية، تقف في وجه أكبر حكامّ العصر - عنيت يزيد بن معاوية وغيره من رجاله - فهذا يعني أن المرأة ليست وظيفتها في الحياة النوح على القتلى من الرجال، بل خلق الحدث في لحظات الحزن، الحدث الإعلامي والسياسي والاجتماعي، هذا مفهوم بالغ التأثير اليوم يمكنه النهوض بالمرأة لتلعب دوراً في لحظات الشدّة، بدل أن نعلّمها النحيب واللطم على الوجه على ما افتقدت من أسرة وعيال.<sup>(٢)</sup>

(١) نفس المصدر.

(٢) القسم الثالث، بين يدي عاشوراء، ماذا علينا أن نفعل؟ وكيف نستفيد منها؟

إنني أدعو إلى تطوير الخطاب الديني، وتطوير الحوزات العلمية، وتطوير الفكر الديني والفهم الديني، تطويراً جاداً حقيقياً وعميقاً، ولا أرى في ذلك جنايةً أو ابتداءً، بل أرى فيه الرضا لله تبارك وتعالى، وهو الذي سيسألنا يوم القيامة عما فعلناه في هذا الدين، عندما تركناه عرضةً للخرافة والبسطة وهجمات الخصوم الحضاريين، وإذا كنت استخدمت منهج النقد في غير كتاب أو مقالة مما سطرت، فإن ذلك لأنني أعتقد بأن الواقع الفكري الذي نعيش يحتاج لحركة نقدية قبل إصلاحه، وأنه لا إصلاح بدون نقد، ولا يمكن الدفاع عن الفهم الذي نملكه للدين قبل أن تكون لدينا جرأة إصلاح الصورة، لكي ندافع عما هو حق لا عن ما هو واقع، فالمنهج التبريري الذي يستخدمه الكثيرون لا يصلح في كل لحظة.<sup>(١)</sup>



إرضاء الساحة من العلماء والناس ليس معياراً قطّ، ما لم يبلغ الأمر حدّ الضرورة والعذر الشرعي، لا حدّ الجبن والخوف للذين امتلكا أعداداً وأسراباً من الباحثين والعلماء والكتّاب والناقدين اليوم. بل المعيار هو مبدأ الشجاعة المسؤولة والإرادة الواعية في بيان ما هو الحقّ من وجهة نظرك من جهة، ومبدأ الغائية الذي يعني أنّ بيان الحقّ يجب أن تكون غايته خدمة الحقّ ولو على المدى البعيد من جهة أخرى، وليس خدمة الحقّ على المدى القريب، إذ أغلب تجارب المصلحين والنقاد عبر التاريخ كان بيانهم للحقّ مضرّاً بالحقّ على المدى القريب، لكنّ مرور الزمن جعل ما قالوه فرصةً

(١) إضاءات ١: ٤٩٧

تاريخية للتغيير، ولو أنهم ظلوا ساكتين لما جاءت تلك الفرص ولو للأجيال القادمة.<sup>(١)</sup>

المعيار هو أن تحمل همّ الحقّ وتقدّمه على همّ رضا الناس والمؤسسات العلميّة والاجتماعية والسلطوية، وفي الوقت عينه يدفعك همّ الحقّ لخدمته، فليس إبراز ما تعرف هو قيمة مطلقة، وإنما ذاك الإبراز المفضي إلى خدمة الشيء الذي تعرفه في أفقٍ منظور ولو لم يكن قريباً. وليس أصلٌ وجود ردود من أفعال الناس ولا تسبّبُ فكريّ بجدلٍ بأمورٍ توقف عن بيان الحقّ الذي تراه، إذ ما من حقّ عبر تاريخ الأنبياء والأوصياء والأولياء والصالحين والعلماء والمفكرين إلا وأوقع جدلاً وانقساماً، فهذه سنّة الله في التاريخ والاجتماع، وأولئك الذين يريدون منّا التغيير الصامت ما قدّموا يوماً شاهداً على نجاح هذه الطريقة في تاريخ الشعوب والأمم والأفكار، ولو كان الصمت طريقاً لكان في حالاتٍ نادرة جداً. وكثيرون يريدون أن يغيّروا لكنّهم يتذرّعون بهذه الذرائع خوفاً تارةً في لا وعيهم، وعدم اقتناع - أخرى - بفكرهم التغييرى اقتناعاً حقيقياً، وعيشهم - ثالثة - الهواجس من الجديد، فقط هواجس، وكأنّه يمكن تقديم ضمانات قطعيّة لحصول تغيير مجتمعي دون أضرار.<sup>(٢)</sup>

اليوم تعصف بأجياننا شكوك وتساؤلات رهيبية لا تكفي معها

(١) إضاءات ٤: ٤٦٥

(٢) إضاءات ٤: ٤٦٦

المواعظ العابرة ولا أساليب الاستهزاء الساخرة، وعندما نهتمّ بالجانب الفكري ونخلق فيما بيننا مناخاً تنافسياً في العطاء الفكري فسيشعر الجميع بأنّ مشاركته في العمل البحثي والفكري تحقّق له وجوده الاجتماعي، وتعميق هذا الوجود الاجتماعي للباحثين والمحقّقين وتوعية الناس على أنّ الباحثين والمحقّقين هم أشخاص مقدّرون ومحترمون، وليس فقط أصحاب النفوذ الاجتماعي هم المحترمون، فسنوجد عناصر تشويق وتشجيع تضمن استمرار العمل الفكري في مؤسّساتنا العلمية إن شاء الله.<sup>(١)</sup>

---

(١) حوارات ولقاءات في الفكر الديني المعاصر ج١، ص ١١٢.



## المصادر

١. حب الله، حيدر، دراسات في الفقه الإسلامي المعاصر، مؤسسة الفقه المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١-٢٠١٥م.
٢. حب الله، حيدر، إضاءات في الفكر والدين والاجتماع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٣-٢٠١٥م.
٣. حب الله، حيدر، رسالة سلام مذهبي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
٤. حب الله، حيدر، مسألة المنهج في الفكر الديني وقفات وملاحظات، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
٥. حب الله، حيدر، حوارات ولقاءات في الفكر الديني المعاصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
٦. مجلة الاجتهاد والتجديد، بيروت، العدد ٣، ٢٠٠٦م.
٧. مجلة الاجتهاد والتجديد، بيروت، العدد: ٢٤، ٢٥، لعام: ٢٠١٢-٢٠١٣م.
٨. مجلة المنهاج، بيروت، العدد ٣٣، ربيع عام ٢٠٠٤م.
٩. الموقع الرسمي للشيخ حيدر حب الله [www.hobbollah.com](http://www.hobbollah.com)

## صدر للمؤلف/ الشيخ د. حيدر حب الله

### تأليف

١. التعددية الدينية، نظرة في المذهب البلورالي
٢. نظرية السنة في الفكر الإمامي الشيعي، التكوّن والصيرورة
٣. بحوث في الفقه الزراعي (تقرير بحث المرجع الديني السيد محمود الهاشمي الشاهرودي)
٤. مسألة المنهج في الفكر الديني، وقفات وملاحظات
٥. علم الكلام المعاصر، قراءة تاريخية منهجية
٦. بحوث في فقه الحج
٧. حجية السنة في الفكر الإسلامي، قراءة وتقويم
٨. فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٩. دراسات في الفقه الإسلامي المعاصر (خمسة أجزاء)
١٠. دروس تمهيدية في تاريخ علم الرجال عند الإمامية
١١. إضاءات في الفكر والدين والاجتماع (خمسة أجزاء)
١٢. حوارات ولقاءات في الفكر الديني المعاصر
١٣. المدخل إلى موسوعة الحديث النبوي عند الإمامية، دراسة في الحديث الإمامي
١٤. رسالة سلام مذهبي
١٥. حجية الحديث
١٦. الحديث الشريف، حدود المرجعية ودوائر الاحتجاج (مجلدين)
١٧. منطق النقد السندي، بحوث في قواعد الرجال والجرح والتعديل (ثلاثة أجزاء)
١٨. شمول الشريعة، بحوث في مديات المرجعية القانونية بين العقل والوحي
١٩. فقه المصلحة، مدخلاً لنظرية المقاصد واجتهاد المبادئ والغايات
٢٠. قواعد فقه العلاقة مع الآخر الديني، دراسة في ضوء النص الإسلامي والمسيحي
٢١. فقه الأطمعة والأشربة (ثلاثة أجزاء)
٢٢. الاجتهاد المقاصدي والمناطبي - المسارات، والأصول، والعوائق، والتأثيرات (اجتهاد المعنى في أصول الفقه الإسلامي)
٢٣. مدخل إلى الوحي وبشرية اللفظ القرآني

### مختارات

١. رمضانيات
٢. عاشورائيات (جزأين)

### ترجمة

- ١- ابن إدريس الحليّ رائد مدرسة النقد في الفقه الإسلامي
- ٢- الأسس النظرية للتجربة الدينية، قراءة نقدية مقارنة لأراء ابن عربي ورودلف أتو
- ٣- بين الطرق المستقيم والطرق المستقيمة، وجهات فلسفية في التعددية الدينية.
- ٤- مقاربات في التجديد الفقهي

- ٥- المجتمع الديني والمدني
- ٦- الحج رموز وحكم
- ٧- الدولة الدينية، تأملات في الفكر السياسي الإسلامي
- ٨- الفكر السياسي لمسكويه الرازي، قراءة في تكوين العقل السياسي الإسلامي

#### تحقيق

١. بحوث في فقه الاقتصاد الإسلامي (تقاريرات الشهيد محمد باقر الصدر)

#### إعداد وتقديم

١. المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة الدينية
٢. سؤال التقريب بين المذاهب أوراق جادة
٣. أسلمة العلوم وقضايا العلاقة بين الحوزة والجامعة
٤. اتجاهات العقلانية في الكلام الإسلامي
٥. المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر، قضايا وإشكاليات
٦. العنف والحريات الدينية، قراءات واجتهادات في الفقه الإسلامي
٧. مطارحات في الفكر السياسي الإسلامي
٨. فقه الحجاب في الشريعة الإسلامية، قراءات جديدة
٩. الوحي والظاهرة القرآنية
١٠. الإمامة، قراءات جديدة ومنافحات عتيقة
١١. الشعائر الحسينية، التاريخ الجدل والمواقف

#### إشراف

١. الموضوعات في الآثار والأخبار للسيد هاشم معروف الحسني (طبعة جديدة محققة ومنقحة)
٢. المعتبر من بحار الأنوار (ثلاثة أجزاء)

إضاءات حيدر حب الله



# عاشورائيات

سبق لي - والتوفيق من الله - أن كانت لديّ بعض المشاركات والكتابات المتواضعة المتفرّقة حول القضية الحسينية وما يتصل بها من وقائع تاريخية وشعائر دينية، وقد حاولت في هذه الأعمال أن أقدم فهمي البسيط لهذه الأمور من بعض الزوايا، وإلا فالدراسات والبحوث ذات الصلة أوسع من أن تختصرها بضع كلمات.

يسعدني أن تلقى هذه المشاركات نصيبها من التأمل والتقويم والنقد من قبل القراء الأعزاء؛ علّ ذلك يسهم في تطوّر أفكارنا جميعاً إن شاء الله، والله ولي التوفيق.

حيدر حب الله

ISBN 978-614-420-663-8



9 786144 206638

دار الولاء  
لصناعة النشر



الرويس، شارع الرويس، بيروت - لبنان

Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133

info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com

P.O. Box: 307/25 | www.daralwalaa.com